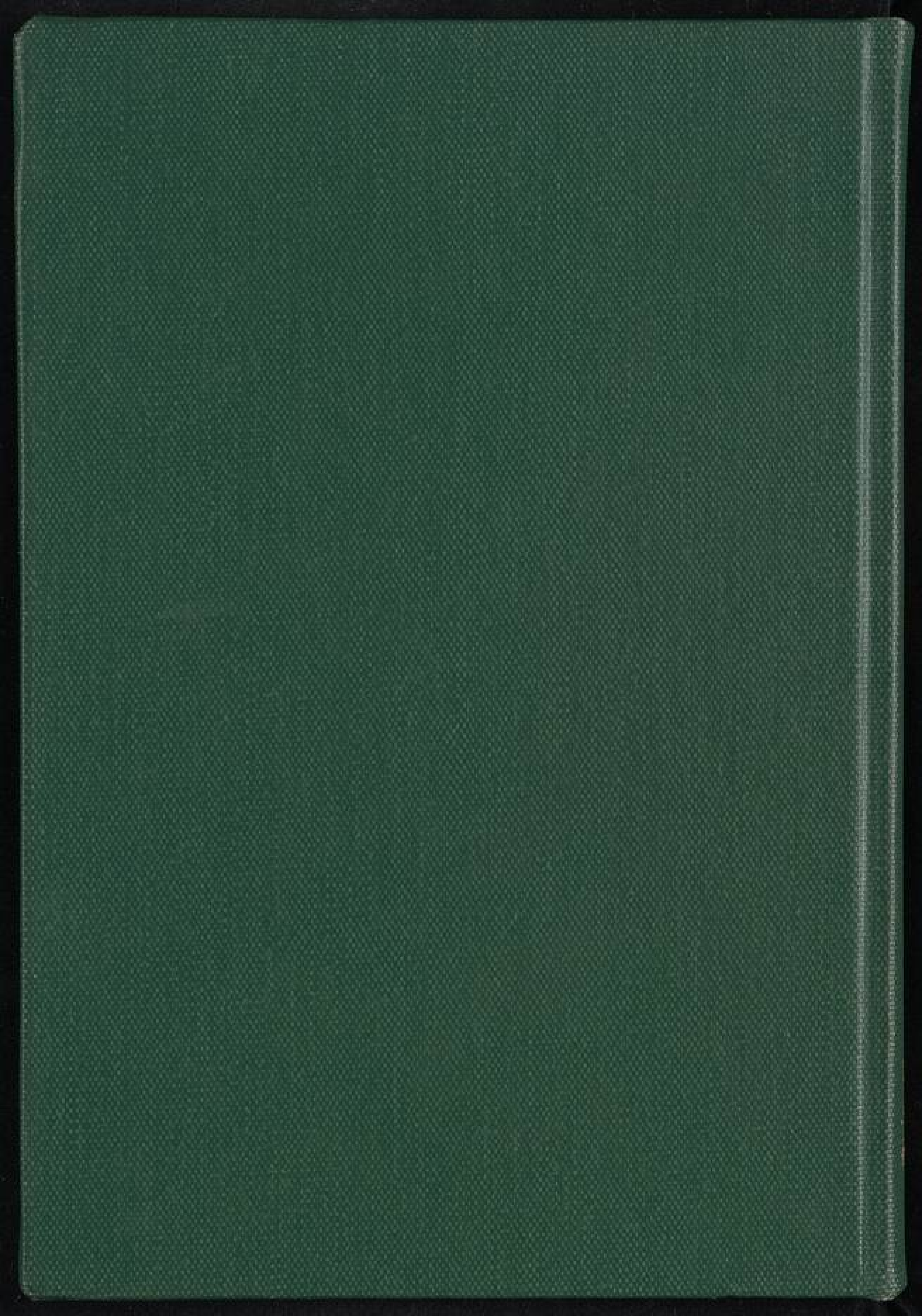
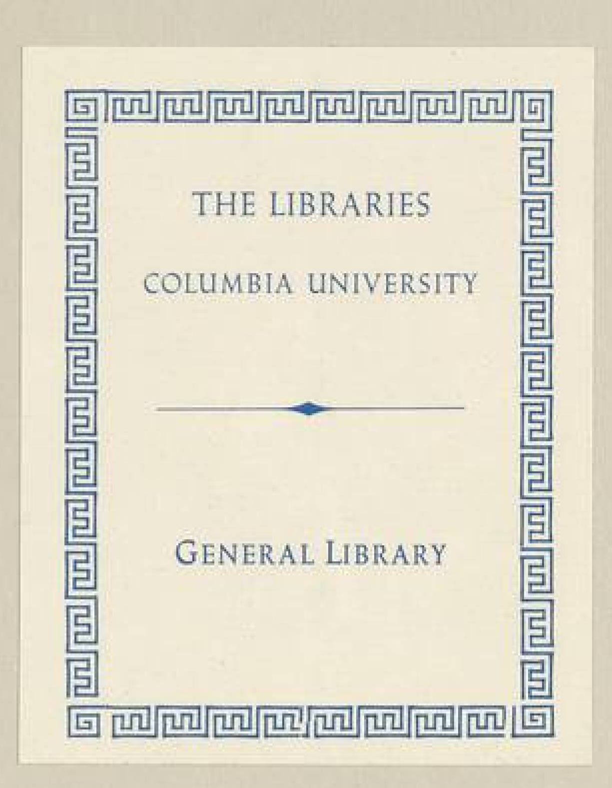



THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY
GENERAL LIBRARY

دكتور حسن سليمان محمود
استاذ بجامعة بغداد



ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه

دكتور حسن سليمان محمود
استاذ بجامعة بغداد

تاريخ
اليمن السياسي
في العصر الاسلامي

الطبعة الاولى
١٩٦٩

ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه

تقـديـم الكتـــاب

نظرا لان اليمن انزوت لفترة طويلة ، بسبب جمود حكامها السابقين، وان هذا الانزواء القهرى ادى الى ضياع صورتها في الاذهان ، ليس فقط في عالمنا العربى ، بل فى انحاء العالم المتحضر لذلك قررت ـ وقد سبق لي القيام بعمل دراسات عن اليمن (١) ، ان اقوم بالقاء بعض الاضواء على تلك الصورة لكي يعرف العرب والمسلمون ، بل لكي يعرف القريب والبعيد من أهل العلم ، بان بلاد العرب السعيدة ، لم تشكل بتاريخها القديم ، ينبوعـا غزيرا من ينابيع الحضارات العالمية الخالدة فحسب ، بل ان شجاعة اهلها كانت الدعامة التي ارتكز عليها الاسلام عند ظهوره ، فهم الذين آووا النبي ونصروه في حروبه وغزواته حتى ثبت دين الله في الارض ، هذا فضلا عـن ان اليمنيين كانوا اكثر مادة الجيوش ، التي افتتح بها العـرب ملـك كسرى وقيصر فى فارس والعراق والشام ومصر وافريقية والاندلـس ، فعلى اكتافهم قامت دولة بني امية ، وبسواعدهم تم بنـاء الامبراطورية الاسلامية الاولى ، وبالتالي كان لهم الفضل في نشر دعوة الاسلام في ارجـاء العالم ، وتعريب عالمنا العربي . وظهر كثير من رجالات اليمن في تاريـخ الثقافة والحضارة الاسلامية وفى الادارة والحكم والقضـاء في العصور المختلفة ، وبعضهم ممن له شهرة عالمية عند اهل الشرق والغرب اليـوم كالخليل بن احمد الفراهيدي الازدى (ت ٢٤٦) أعظم علماء العربية على الاطلاق ، والكندى (ت ١٧٥) فيلسوف العرب المشهور ، والحسن بـن

---

(١) قمت بتأليف ونشر الكتب الآتية عن اليمن :

أ ـ الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن — القاهرة ١٩٥٥

ب ـ تاريخ اليمن لعمارة اليمنى تحقيق وتعليق — القاهرة ١٩٥٧

ج ـ الملكة أروى سيدة ملوك اليمن — القاهرة ١٩٥٨

احمد الهمداني (ت ٣٣٤) صاحب الاكليل وصفه جزيرة العرب ، ونشوان الحميرى (ت ٥٧٣) صاحب الموسوعة الضخمة في اللغة والادب ، وابـــن خلدون (ت ٨٠٨) صاحب التاريخ والقدمة ومبتدع علمي الاجتمــــاع وفلسفة التاريخ ، ومن المتاخرين من نوابغهم ، السيد محمـــد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٦) ، صاحب تاج العروس ، اكبر معاجم اللغة واعظمهـا شانا . وقد انجبت اليمن من اكبر شعراء العربية ، امرىء القيس الكندى . والمتنبي الجعفى وابى العلاء المعرى التنوخى .

وفي عصرنا هذا ينتسب الى اليمن اساتذة اجلاء نالوا حظا كبيرا من الثقافة العربية والغربية في شتى نواحيها وهم الحجة الناطقة بان هــذا الشعب اليمنى لايزال محتفظا بكثير من الصفات الممتازة القوية التي ميزت نابغيه في الماضي : بالذكاء وسعة العقل ، والميل الى الابتكار والاستقصاء في كل مايتناولونه من عمل مادي او فكري ، وفي الشرق القريب والبعيــد جاليات من اليمنيين والحضارمة ركبوا البحار ومارســوا الاســفار والاخطار ، ونجحوا في ميادين المال والاقتصاد نجاحا يؤذن بحظوظهم القوية من الذكاء والشجاعة ، والثقة بالنفس في كثير من بقاع الارض .

ويلاحظ المشتغلون بالدراسات اليمنية ان كثيرا من المسائل التي تتعلق بتاريخ اليمن يكتنفها الغموض ، ومرد ذلك يرجع الى قلة المعلومات عنها ، واضطراب مصادر التاريخ وبلبلتها واحيانا الى تناقض المؤرخين والكتاب في سرد الحوادث ، ولا يقتصر هذا على احوال اليمن في العصر الحديث ، بل تبدو الحالة اكثر غموضا ، اذا كان موضوع البحث يتعلق بالعصور القديمة والوسطى وذلك يرجع ـ كما نعتقد ـ لعدة اسباب منها : ان تاريخ اليمن القديم ظل مجهولا حتى تنبه علماء الاثار والمستشرقون في القرن الثامـن عشر ، الى اهمية بلاد اليمن واتجهت انظارهم نحوها للبحث في اثارهــا والتنقيب في كنوزها التاريخية ، خدمة للعلم .

ونتيجة الى مجهوداتهم المضنية في هذا الميدان ، القيت بعض الاضواء الخافتة على جوانب حضارة اليمن القديمة . ولكننا لانشك في ان الاثار التي لاتزال مطمورة تحت ارض اليمن ، والنقوش التي لاتزال مســتورة تحت انقاضها ، كفيلة ـ فيما لو قدر لها ان ترى النور ـ بان تعطينـــا الصورة الواضحة المرجوة للحضارة اليمنية القديمة ، وهذا مانرجو تحقيقه على يد علمائنا وجامعاتنا العربية خاصة بعد ما تحررت اليمن من قيــود الحكم السابق .

اما في العصور الوسطى الاسلامية ـ وهي التي يتضمنها هـــذا

الكتاب ـ فان غموض تاريخ اليمن فيها يرجع الى تمزيق البلاد الى دويلات صغيرة متنافسة وانشغالها بالحروب المتتالية ثم انهيارها بهلاك منشئيها واصحابها ، ولان اليمن لم تتحد تحت راية حكومة قوية مستقلة الا في مدة وجيزة من الزمن ، او في جزء او منطقة منها . وقد دأب المؤرخون لهذه الدويلات على ان يصوروا منافسيهم ومخالفيهم . في الحكم والعقيدة ، بابشع صورة .. وكانت المنافسات منذ تلك العصور ـ تاخذ صبغة دينية وينشا عن ذلك حزازات ومنافرات تؤدي في الغالب الى تاليب جماعة المسلمين بعضهم على بعض ، والى تمجيد اصحاب المقالات .

بذلك كله يمكن للقارىء ، ان يقدر مبلغ الجهد المبذول ، في جمع مادة هذا الكتاب حتى ظهر على هذه الصورة ...

وكتابي : ((تاريخ اليمن السياسي في العصر الاسلامي)) الذي اضعه الآن بين يدى القارىء هو عبارة عن محاولة جادة للتعريف باليمن في هذا العصر واني لا انكر ان هذا البحث لايخلو من الجفاف وذلك يرجع احيانا الى عدم توافر المصادر ، واحيانا الى عدم وجود الابحاث السابقة او القضايا المسلم بصحتها ، واحيانا الى حرصي على الا يتكلم الا المصدر وحده بدون تعليق لذلك فانني اعترف بان بعض المعلومات ، التي تضمنها هذا الكتاب غير كافية لاشباع النهم لكني اردت ان اقوم بوضع النواة للبحث الشامل العميق عن اليمن راجيا ان يحمل عملي هذا ، بعض شبابنا العربي الواعي على تناول عناصر الكتاب ـ بالدراسة المستفيضة المتانية العميقة ـ خاصة بعد ان انفتحت ابواب اليمن على مصراعيها لكل مواطن عربي مخلص ـ يريد ان يسهم في اعادة بناء صرح العروبة ـ وبذلك اكون قد بلغت الغاية التي ارجوها وشعرت بالارتياح الذي ينشرح له صدر كل من يوفق بالقيام ببعض الواجب الوطني .

والله ولي التوفيق ..

بغداد في : مايو / ١٩٦٩

دكتور / حسن سليمان محمود

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة تاريخية

اليمن قبل الاسلام

أ ـ التسمية والحدود.

يراد باليمن في التاريخ القديم مايسميه اليونان Arabia Felix اي العربية السعيدة . ويحدها عندهم خليج العجم « خليج العرب » من الشرق ، وبحر العرب من الجنوب ، والبحر الاحمر من الغرب ، اما في الشمال فتحدها بادية الشام والعراق وبلاد العرب الصحراوية .[1]

ويبلغ طول هذا الاقليم من خليج عدن جنوبا ، حتى نجران شمالاً حوالي ٥٥٠ كيلومترا وعرضه من الحديدة حتى قلب بلاد حضرموت القديمة نحو الف كيلومترا[2] .

والنصوص السبائية القديمة أطلقت اسم (يمنات او يمنت) على جزء من بلاد اليمن الحالية . ولكن جلازر ، يرى ان (يمنت) كلمة عامة ، أطلقت على الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية ، من باب المندب الى حضرموت[3] .

وقيل ان اليمن سميت باسم يمن بن قحطان ، وقيل سميت بذلك لانها عن يمين الكعبة ، وذهب بعضهم الى عدم صحة هذه التسمية ، لان الكعبة مربعة وانه لا يمين لها ولا يسار ، وقيل سميت كذلك لتيامن الناس اليها ، وسميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها .

---

(١) زيدان ١١٩ (جورجي زيدان : العرب قبل الاسلام) ،

(٢) (هومل) / المترجم ٧٦ . (التاريخ العربي القديم ترجمة د . فؤاد حسنين)

وكانت اليمن قبل ثلاثة آلاف سنة من اليوم تختلف عما هي عليه الآن ، اذ ان المناطق الداخلية منها وهي شبه صحراوية اي حضرموت العليا ومنطقة شبوة ومأرب وحريب وتمنه ، وكانت في تلك الحقبة ، لاتقل ازدهارا وخضرة عن مناطق الجبال المرتفعة التي تشرف على تهامة البحر الاحمر ، وعلى السهول والهضاب الخضراء ، التي تحيط بها جبال السراة المتاخمة للمحيط الهندي والبحر الاحمر •

وكانت المناطق الجافة المتاخمة للربع الخالي ، على جانب عظيم من الازدهار والعمران ، اذ كانت تقوم على سفوح الجبال وباتجاه الصحراء الشاسعة مدن ذات مجد وثراء وعمران منها : تريم وشبوة ومأرب وحريب وظفار وغيرها • وكانت هذه المدن تلعب دورا هاما في التجارة كموانىء على شواطىء الصحراء • يرتبط مدى ازدهارها ونموها على درجة تعاملها مع البلدان ، وعلى القوافل المستعملة لتأمين النقل ، وعلى القوة والحكمة اللازمتين للمحافظة على مسالك الطرق البرية ، وكانت هذه الموانىء تستند في تموينها الى ما يصلها من المحيط الهندي ، والبلدان المحيطة به ، ومما لديها من موارد طبيعية ، ولكن

ما لبثت رمال الصحراء ، ان ابتلعت هذه المدن ، واصبح من المتعذر علينا الآن ان نتصور كيف كانت تريم وشبوة ومأرب وتمنة ، مدنا زاهرة ومراكز لحضارة براقة ذات ثراء خيالي ومجد نادر مع العلم ان بعضها قد اندثر تماما ، ولم يعرف مكانها بالضبط ، الا اخيرا بفضل جهود العلماء المستكشفين ••

اما اليمن الآن فقد تغيرت معالمها تغيرا تاما ، وتقلصت مساحتها فاصبحت ٧٥٫٢٨٠ ميلا مربعا (٩٥ الف كم ٢) وقد كانت مساحتها ، كما حددها الهمداني تزيد على مليون ونصف مليون من الكيلومترات

المربعة (٤) • واصبح عدد سكانها الآن يتراوح بين اربعة ملايين وخمسة ملايين نسمة ، بعد ان بلغ عددها في يوم من الايام ، حوالي ثلاثين مليون نسمة • واصبح يحدها شمالا اقليم عسير في السعودية ، وجنوبا محمية عدن وشرقا صحراء الربع الخالي وغربا البحر الاحمر ، وتمتد سواحلها على البحر مسافة ٣٠٠ ميلا •

ب ـ الكشف عن تاريخ اليمن القديمة :

كل ما كتب عن تاريخ بلاد العرب ، او الشعوب العربية في العصور القديمة لا يتعدى محاولات جاءتنا نتيجة جهد مضني ، قام به جماعة المشتغلين بالدراسات الشرقية ، من لغوية ودينية • وظلت الحال كذلك حتى ظهرت الديانات السماوية ، وظهرت لها كتب مقدسة هي : التوراة والانجيل والقرآن الكريم ، وهذه الكتب مجتمعة تكون مصدرا تاريخيا ، من اهم المصادر التي وصلتنا فهي تؤرخ الشعور الديني العربي ، في فترة تبلغ من عمر تاريخ الشرق نحو ١٥٠٠ سنة ، وهذه فرصة لم تتح لشعب من شعوب العالم • ولكننا نلاحظ ان الاسلام ، حارب الوثنية العربية الجاهلية ، حربا شعواء ، كما حارب كل ما يتصل بالجاهلية حتى الشعر الذي هو ديوان العرب ، فقد سخر القرآن منه ومن قائليه • فاذا كان الامر كذلك مع اللغة ، التي نزل بها القرآن ، فموقفه من لغة الوثنية يجب ان يكون امر وأشد ، لذلك اهمل المؤرخون

---

(٤) هذا الكلام طبعا مبالغ فيه حتى مع ان بلاد اليمن كانت قديما عندما اطلق عليها اليونانيون اسم بلاد العرب السعيدة Arabia Felix كانت تشمل كل المناطق التي يقال لها شبه جزيرة العرب (راجع ذلك مفصلا في كتاب الدكتور جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ١ ص ١١٨ وما بعدها ففيه الكثير من المعلومات والمصادر المهمة) راجع كذلك المصادر العربية الآتية :

١ ـ اليعقوبي : البلدان جـ ٥ ص ٨١ ، ٥٢٢/٨ ـ ٥٢٣

٢ ـ الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٧٥ ، ١٨٨

٣ ـ البكري : معجم ما استعجم ١٦/١

٤ ـ ابن خرداذبه ص ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٨٩

(٥) امثال : الهمداني ، ابن هشام ، الكلبي ، ابن الاثير ، وهب بن منبه ، عبيد بن شريه • كما كتب الجغرافيون اليونانيون كبطليموس واسترابو وغيرهم •

المسلمون عامدين رغبة الكتابة عن تاريخ العرب ، والجزيرة العربية ففقدوا مصدرا هاما من مصادرها التاريخية •

اعني الكتابة العربية القديمة ، التي كانت موجودة على النقوش• ونتيجة لهذا الاهمال شحنت كتبهم بالقصص والاساطير ، التي لا تمت الى الاسس التاريخية العلمية بصلة • وعلى المؤرخ الحديث ان يكون حذرا ، عند محاولة الاستفادة من هذه الكتب العربية •

ظل تاريخ اليمن الحقيقي مجهولا حتى تنبه علماء الآثار والمستشرقون في القرن الثامن عشر ، الى اهمية بلاد اليمن ، واتجهت انظارهم نحوها للبحث في اثارها والتنقيب فى كنوزها التاريخية ، خدمة للعلم • ولكن ما لاقاه بعضهم في اليمن حيث فقدوا او قتلوا ، على يد الاهالي ، قلل من حماس اولئك العلماء ، للتوغل في تلك البلاد ، ودراسة اثارها • ورغم هذه المخاطر ، فان البعثات العلمية توالت على بلاد اليمن ، ومن اهمها : —

اولا : بعثة العالم الدانمركي كارستن نيبور (عام ١٧٦١ — ١٧٦٧ م)

ومن نتائجها ان ملاحظات (نيبور) الطوبوغرافية وخريطته الخاصة للجهات المجهولة من بلاد العرب السعيدة ، قوبلت فيما بعد بتقدير عظيم من الرحالة الآخرين [٦] بل كانت هذه النتائج هي العامل الرئيسي الذي دفع غيره من المستشرقين لزيارة اليمن • هذا فضلا عن انها قدمت للباحثين كتابين : الاول (وصف العربية) الذي مازال الى اليوم مصدرا هاما من مصادر هذا النوع من الدراسات [٧] والثاني (رحلة العربية) • [٨]

ثانيا بعثة العالم الالماني (سيتزن) عام ١٨١٠ :

وقد عثر على النقوش التي اشار اليها (نيبور) واستطاع ان ينسخ بالقرب من المدينة الحميرية (ذمار) النقوش العربية الجنوبية الاولى

---

(٦) نيلس / المترجم ١—٤ • (٧) صدر في كوبنهاجن عام ١٧٧٢

(٨) صدر في امستردام عام ١٧٧٤

٣٠ عاما ٠

ولكنه اختفى في ظروف غامضة ، فتوقفت البعثات الى اليمن حوالـــى

ثالثا كشوف انجليزية : وقد جاء معظمها عن طـريق المصادفـــة ومنهـــا :

١ ـ في سنة ١٨٣٠ زار الانجليزي HuLton مأرب ونجران وتمكن من الحصول على ٦٨٦ من نقوشـــ ونصوص والواح على اختلاف في احجامها ٠

٢ ـ فى سنة ١٨٣٤ كشف الضابط الانجليزي (ولسند) حصـــن (الغراب) كما عثر على بقايا حصن (ميفعة) ٠

٣ ـ فى سنة ١٨٣٦ زار الدكتور (ماكل Mackell الانجليزى اليمن وحصل على خمسة نصوص سبئية وطبعت رحلتـــه سنة ١٨٣٨ تحت عنوان (صنعاء عاصمة اليمن) ٠

٤ ـ في سنة ١٨٣٨ استطاع الانجليزيان (هلتون Hulton كروتندن Cruttenden الوصول الى صنعاء وتمكن الثانى منهما ان ينشر نتائج هذه الرحلة ومن بينها خمسة نقوش سبئية قصـيرة وجدها في صنعاء ٠

رابعا : الكشوف الفرنسية

١ ـ بعثة الصيدلى الفرنسي توماس يوسف أرنود عـــام ١٨٤٨ J.Arnaud وقد ظهرت نتائج هذه البعثة عندمـا نشرت المجلة الاسيوية الفرنسية سنة ١٨٤٥ ، النقوش التي حصلـــت عليها ، فكانت اول مجموعة اثار اصلية عن مملكة سبأ ٠

٢ ـ بعثة المستشرق اليهودي الفرنسي يوسف هاليفى سـنة ١٨٧٠ J.Halevy وقد قدم لاكاديمية الفنون الجميلة الفرنسية التي كلفته بالرحلة ، ٦٨٦ نقشا وقد اسفرت النقوش عن وجود الحضارة المعينية بكل مقوماتها من حصون واسوار وابراج ومعابد واعمدة ... الـــخ ..

خامسا : رحلات العالم النمساوي ادوارد جلازر ، ١٨٨٢ـ ١٨٩٢ A.GLazer

قام هذا العالم باربع رحلات فى بلاد اليمن عثر فيها على نقوش سبائية ، ثم عثر على ما يقرب من مائة وخمسين من النقوش الجنوبية . هذا فضلا عن الكثير من القطع الاثرية الاخرى والنقود والخواتم [٩] ، كما استطاع عن طريق البدو ان يحصل على كثير من النقوش المعينة في اقليم الجوف ـ كما حصل على نقش صرواح العظيم وهو يشتمل على اكثر من الف كلمة [١٠] .

ولما جاء القرن العشرين لم تتوقف البعثات الى اليمن فقد زارها العالمان (راثين Rathyn و (ويزمان Wiseman بين عام ١٩٣١ ـ ١٩٣٢ ويرجع لهما الفضل في القيام باول حفائر في اليمن فى منطقة (النخلة الحمراء وغيمان وحجة) . وقد نشرت نتائج رحلتهما وابحاثهما في كتاب يعتبر من خيرة الكتب عن اليمن .

وفي سنة ١٩٣١ زارها العالم الايطالي انسالدى G. Anosalde وكتب عنها كتابا سماه Elyemen نشرته وزارة المعارف الايطالية سنة ١٩٣٤ .

وقد زار الانجليزى هارولدا انجراس H.ingrams حضرموت ثم وصل صنعاء سنة ١٩٣٦ وله كتاب بعنوان : Arabi and Isles

وفي سنة ١٩٣٦ قام الانجليزى فيلبو B. Philby بزيارة حضرموت والشحر ونشر ما حصل عليه في كتاب اصدره عام ١٩٣٩ تحت عنوان : Sheba's Daughters

وفي سنة ١٩٣٩ زار اليمن الانجليزى برترام توماس B.Thomas وله كتاب العربية السعيدة عبر الربع الخالي .

هذا وقد ادلى العلماء العرب بدلوهم في هذا الميدان فارسلت

---

(٩) نيلس / المترجم ٢٠

(١٠) نفسه : ٢٢

الجامعة المصرية عام ١٩٣٦ بعثة اثرية الى بلاد اليمن ـ نشرت النقوش التي حصلت عليها عام ١٩٤٣ ، ولكن نتائجها العلمية لم تنشر الى اليوم. وفى نفس السنة قام مؤيد نزيه العظم برحلة الى صنعاء ومنها الى مأرب ونشر نتائج رحلته بالقاهرة سنة ١٩٣٨ تحت عنوان « رحلة الى بلاد العرب السعيدة » • اما النقوش التي عثر عليها فقد نشرها (ج• ريكمنز عام ١٩٤٢) •

وبعد زيارة الاستاذ محمد توفيق المصري لليمن في سنوات ١٩٣٦ ، ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ ، نشر نتائج رحلاته في كتاب سمى (آثار معين في جوف اليمن) ظهر منه جزءان نشر الاول عام ١٩٥١ • الثانى ١٩٥٢ •

وفي عام ١٩٤٧ زار الدكتور احمد فخري مناطق صرواح ومأرب والجوف في اليمن ونشر نتائج رحلته في عدة مقالات تضمنها كتاب اسمه : ArchaelogicaLJourney to yemem 1952

ج ـ دول اليمن القديمة :

١ ـ دولة معين :

(معين) هي اسم البلد الذى ينسب اليه المعينيون ، وقد كشفها المستشرق هاليفى عام ١٨٦٠ ، فى بلاد الجوف الجنوبى ، شرقي صنعاء ، وقرأ اسمها عليها بالمسند ، وبجانبها (براقش) • ويؤيد ذلك ورود اسميهما في كتاب الاكليل [١١] من انهما عبارة عن محفد من محافد اليمن في الجوف • ويعتبر هذا مصداقا لما قاله مؤرخو اليونان ، فقد ذكر استرابو في كلامه عن بلاد اليمن : « يشمل القسم الجنوبي من جزيرة العرب اربعة شعوب : المعينيون وعاصمتهم (قرنا) والسبائيون وعاصمتهم (مأرب) ، والقتابيون وعاصمتهم (تمناء) ، والحضرميون

---

(١١) الهمداني : الاكليل ١٢٤/٨

وعاصمتهم (شبوة) •• والمعينيون يحملون التجارة من (بطرا) عاصمة الانباط [١٢] •••

وذكر بلينيوس ان المعينين يقيمون في بلاد كثيرة الغاب والاغراس [١٣] •

واختلف العلماء المحققون في تحديد زمان نشوء دولة معين ، فيقول جلازر « انها كانت في الالف الثالث قبل الميلاد » ويقول هاليفي : « انها كانت في اواخر الالف الثاني واوائل الالف الاول قبل الميلاد » وقال فلبى « انها حكمت من ١١٢ ق•م• الى عام ٦٣ ق•م» [١٤] •

ويقول حتى « انها ازدهرت حوالي ١٢٠٠ ـ ٦٥٠ ق•م » [١٥] •

وجاء ذكر المعينيين في سفر الاخبار الثانى حيث يقول : « واعانه الله (عزيا) على الفلسطينيين وعلى العرب المقيمين بجوار بعل ، وعلى المعونيين » •

ومهما يكن من امر تاريخ وجودهم ، فالمرجح ان اصل المعينيين من عمالقة العراق بدو الاراميين ، الذين كانوا في اعالي جزيرة العرب ، قبل ظهور دولة حمورابي بعدة قرون • فلما ظهرت هذه الدولة في بابل ، و قتبست ديانة السومريين وشرائعهم ونظمهم ، وسائر احوالهم الاجتماعية ، كان المعينيون في جملة القبائل التي نالت حظا من ذلك كله •

وتنوعت لغتهم بالحضارة ، ومخالطة السومريين او الاكاديين وغيرهم من سكان مابين النهرين الاصليين •

---

(١١) Strabo IIIp. 355

(١٢) زيدان ١٣٠

(١٤) طلس ١٠٤ ، ويقول هومل : « هذه الدولة حكمت بين عامي ١٥٠٠ او ١٢٠٠ حتى ٧٠٠ ق•م » (دائرة المعارف الاسلامية) ٢/١٤ ،

(١٥) حتى ١/١٦٨ ، Philby : Backgro undof Islam. P. 141
يقول هذا المصدر انها بدات سنة ١١٢٠ ق•م

فلما ذهبت دولة العرب في العراق ، نزح المعينيون في جملة القبائل التي نزحت ، وقد تعودوا الحضارة ، فلم يعد يطيب لها التجوال في البادية ، فالتمست مقرا تقيم فيه فنزلت اليمن ، حيث استقرت في منطقة الجوف . وشادت القصور والمحافد على مثال ما عرفته في بابل . واشتغل اهلها بالتجارة واضطروا الى الكتابة لتدوين حساباتهم التجارية . او المخابرات السياسية، فاقتبسوا الابجدية الفينيقية لسهولة استعمالها، وقرب تناولها بالنسبة الى الحرف المسماري ، ولكن هذه الابجدية ما لبثت ان تحورت ــ بمرور الزمن ــ الى الحرف المسند المشهور (١٦) .

والمعلومات التي يمكن استخلاصها من أقوال العلماء عن المعينيين يمكن تلخيصها فيما يلي : عثر المؤرخون المستشرقون في خرائب معين، على قوائم اسماء الملوك ، الذين حكموها ، وربما كان هناك اسماء ملوك آخرين ، لم يعثر عليهم بعد ، خاصة وان تلك المنطقة لاتزال بحاجة ملحة الى الحفريات ، لكشف باقي آثارها . ولم يتمكن المؤرخون ، من الوقوف على أزمنة حكم هؤلاء الملوك ، ولم يستطيعوا ترتيبهم ترتيبا مسلسلا . وقد حاول المؤرخ هومل (١٧) ان يضعهم على شكل طبقات ، ولكن يظهر ان الموضوع مازال في حاجة الى بحث وتنقيب ، حتى يمكن عمل تصنيف علمي صحيح . ودقق مولر في اسماء ملوك معين ، فحقق منها ٢٦ ملكا ، واستدل من تحقيقه ، على ان نظام الحكم كان وراثيا ، ويجوز ان يتولى الملك او يحمل لقب ملك ، الاخ والابن في آن واحد (١٨) ..

كذلك استخلص العلماء ان نظام الحكم فى الولايات ، كان لا مركزيا ، ويمثل الملك في كل مقاطعة ممثل يحمل لقب (كبر) . ولكن

---

(١٦) زيدان : ١٢٢ ، ويقول حتى (٧١) « واللغة المعينية تشاكل لغة سبأ التي قامت بعدها فلا تختلف عنها الا في اللهجة » ، (جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ٢٨٤/١)

(١٧) مولر / ٦٠ ــ ٧٦

(١٨) حتى : ٧١/١

ولاية مجلس نيابي يقال له (سود) يدير شؤونها ، حيث يجتمع فيه الاشراف للحكم بين الناس ، وتقرير القوانين والضرائب واعلان الحرب.

وقد استقر مؤرخو العرب قبل الاسلام على ان (قرن او قرناو) عاصمة الدويلة المعينية ، كانت في مكان مدينة (معين) الحالية ، وان العاصمة الدينية لتلك الدولة (يثيل (كانت في مكان مدينة (براقش) الحالية .. والعاصمتان تقعان في الجوف الجنوبي ، شمال شرقى صنعاء ، عاصمة اليمن الحالية .

وكان لدولة معين صلة كبيرة باليونان ومصر ، وقد جاءت هذه الصلة نتيجة لتجارة معين النافقة ، فلقد كانت اليمن في عهدهم ، قنطرة تجارية بين الشرق والغرب ، تصدر منها البخور والتوابل بواسطة موانيها في البحر العربى جنوبا ، وفى خليج (فارس) غربا وبواسطة موانيء البحر المتوسط في الشمال ، واهم ميناء (غزة) [19] ، كما كانت همزة الوصل انقل بضائع الهند والصين القادمة من المحيط الهندى بواسطة القوافل البرية ويقول الدكتور جواد علي [20] : وتشير النصوص التي عثر عليها في مصر والجيزة وموضع قصر النبات في مصر، الى الصلات التي كانت تربط مصر باليمن والمعينيين . ويظهر من كتابة (الجيزة) ، وهي مؤرخة في السنة الثانية والعشرين من حكم (بطليموس بن بطليموس) ان جالية معينية كانت في مصر فى هذا الوقت ولعلها من ايام حكم بطليموس الثاني ، وعندما كان المعينيون يقومون بتزويد معابد مصر بالبخور .

« وللنصوص التي عثر عليها في جزيرة (يلوس) اهمية كبيرة ، لانها تشير الى العلاقة التجارية التي كانت بين المعينيين واليونان ويظهر من كتابة العلا (الديدان) Dadan ان هذا الموضع

---

(19) History of Nations

(20) ٢٩٧/١ - ٢٩٨

كان مأهولا بالمعينيين ، او من جملة الارضين التابعة لها •

« وقد بلغت حدود هذه الدولة اعالي الحجاز وجنوب فلسطين واعل المستقبل يكشف لنا عن كتابات معينية في اماكن اخرى في المنطقة بين فلسطين واليمن • »

٢ ـ دولة سبأ :

يقول المؤرخون العرب ، اذ سبأ من قحطان [٢١] ويسمونهم العرب المستعربة ، ولم يقولوا لنا من اين اتوا ، ولكنهم ذكروا ان قحطان ابو اليمن كلها ، وانهم كانوا يتكلمون غير اللغة العربية ، فلما نزلوا اليمن ، كان فيها العرب العاربة ، فتعلموا العربية منهم • ويقول القلقشندي [٢٢] : ولما مات قحطان ملك اليمن بعده ابنه يعرب دون سائر بنيه ، وكان يعرب هذا أول من تكلم العربية من بني قحطان •

ويكاد المؤرخون الثقاة يجهلون الى الآن ، مبدأ قيام دولة سبأ ، الا انهم يجمعون على ان كلمة (سابو) او (سابوم) ، الواردة في بعض النقوش السومرية ، والتي ترجع الى الالف الثالث قبل الميلاد ، اي حوالي سنة ٢٥٠٠ ق•م ، يراد بها دولة سبأ اليمنية •

ثم ذكرها مؤرخو اليونان حوالي تاريخ الميلاد ، في جملة الامم الاربع ، التي قالوا انها اكبر امم اليمن وهي : المعينيون والسبائيون القتابيون والقريون • وقالوا ان عاصمتهم ماريا با (مأرب) ، كما ذكر استرابو كثيرا عن احوالها الاقتصادية والاجتماعية [٢٣] ولكنه اغفل ذكر ملوكها ، الذين كشفت عنهم الآثار ، التي عثر عليها العلماء في القرن الثامن عشر الميلادي •

---

(٢١) سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان • واسم سبأ الحقيقي هو عبد شمس • ولما ملك اليمن بعد ابيه واكثر الغزو والسبي سمي سبأ ، وغلب ذلك عليه ، ثم اطلق الاسم على بنيه بعده على عادتهم في القبائل (القلقشندي : قلائد ٣٩)

(٢٢) نفسه

(٢٣) ٣٥٥/٣

ومهما يكن من امر أصل السبائيين وتاريخ قيام دولتهم ، فقد ثبت انهم انشأوا في اليمن ، دولة كبرى ، جاء ذكرها في آثار سرجون ملك آشور (٧٢٤ ـ ٧٠٥ ق•م) • فقد ذكرت الاثار « انه في السنة السابعة من حكمه ، اخضع اقواما من جملتهم قبيلتا ثمود (هود) واباديد (البادية) ، وتلقى في الوقت نفسه من ملوك مصر ، وسمسية ملك بلاد العرب ، واتعسرا (شيعى امرا) زعيم سبأ ، جزية من الذهب وحاصلات الجبل ، والحجارة الكريمة والعاج وانواع الحشائش والخيل والابل •[٢٣]

وهذا يدل على وجرد السبائيين في بلاد العرب في القرن الثامن قبل الميلاد • والظاهر ان (اتعسرا) هو أحد آل (يثعى امران) ، الذى كان واحدهم يسمى (مكرب) في نقوش عرب الجنوب الحجرية ، وكذلك خلفه (كربي ايلو) زعيم سبأ • الذي ادعى سرجون الثانى ، ان اخذ الجزية منه ، فانه كان من عرب الجنوب الغربى ، وينطبق اسمه بما جاء في النقوش ـ على اسم (كرب ايلو) •

ولعل اقدم فترة يمكننا تأريخها تاريخا صحيحا لهذه الدولة هي فترة (المكارب)[٢٤] ثم تليها فترة الملوك •

الفترة الاولى ـ عهد المكارب (٨٥٠ ـ ٦٥٠ ق•م)

كانت الدولة السبائية في هذه الفترة ، تعاصر الدولة المعينية السابقة ، وذلك لمدة قرنين من الزمان •• وكان يلقب الحاكم في هذه الفترة بلقب (مكرب) • والظاهر ان هؤلاء المكارب ، ظلوا زمنا طويلا ، مقامهم مقام (المزواد) ، واصحاب القصور والمحافد كما كان المعينيون في اوائل حكمهم[٢٥] ، حتى اذا نبغ (سبأ) صاحب قصر صرواح ـ شرقي صنعاء وكان قويا طامعا ، استولى على جيرانه ••

(٢٣) حتى : ٤٦ •

(٢٤) جواد علي : ١٠٠/٢ قال مكرب معناها المقرب من الالهة •

(٢٥) نفسه ١٠٨/٢

وذكر جواد علي ، ان اول مكرب هو (سمه علي) الذي ذكر جون فلبي ، ان مبدأ حكمه كان حوالي ٨٢٠ ق٠م ، وتبعه بعد ذلك سبعة عشر مكربا ، اتخذوا صرواح [٣٦] عاصمة لهم ، واليهم يرجع الفضل في استصلاح الاراضي ، التي عرفت فيما بعد بسد مارب ، ثم هاجم المكرب (يثع أمر بين) بلاد القتابيز ، ومملكة معين ، كما وسع مساحة بلاده الى ارض نجران وبنى كذلك بابين لمدينة مأرب وحصنها بحصون وبروج [٣٧] .

وفي النصف الاول من القرن الثامن قبل الميلاد ، حيث قوى نفوذ المكارب ، واصبحت بلادهم واسعة الارجاء عظيمة الرخاء ، انتقلوا من عاصمتهم صرواح (غرب مأرب) الى عاصمة جديدة هي مأرب ، وتقع على ارتفاع ١٣٠٠ مترا ٠٠ ويظهر ان هذا الانتقال الى العاصمة الجديدة ، تم على اثر زوال ملك دولة معين ، وانفصال حكومات المدن الخاضعة لها وضم مكارب سبأ لها ٠٠

كان هذا هو السائد والمعروف الى ان اكتشفت لوحة تاريخية بجبل اللوز ، عثر عليها في السنوات الاخيرة ، ضمن الآثار المكتشفة على ذلك الجبل المشرف على مدخل الجوف ، عرفنا منها انه تم في وقت ما اتحاد بين دولتي معين وسبأ قبل ان تأخذ سبأ دور معين بكامله [٣٨]

الفترة الثانية ــ عهد الملوك (٦٥٠ ــ ١١٥ ق٠م) :

تجرد حكام سبأ في هذا العهد من صفتهم الكهنوتية ، وحمل الواحد منهم لقب ملك ، واول من ترك لقب مكرب الى لقب ملك سبأهو المكرب (كرب ايل وتر) [٣٩] وهو الملك العظيم الذي سجل

---

(٣٦) نزيه المؤيد : رحلة الى العربية السعيدة ٢/٢٤٠ به وصف لاطلال صرواح

(٣٧) جواد علي : ٢/١٠٠ ، ٢١٢

(٣٨) عدنان : ٢٠ ــ ٢١

(٣٩) كان لملوك سبأ القاب خمسة هي : وتار (العظيم) ، بين (الممتاز) ، ذرح (الشريف)، يوهنعم (المحسن) ، ينوف (السامي) ، (زيدان ١٣٩) .

انتصارات عظيمة لبلاده ، بضم الحكومات الصغيرة التي كانت تابعة لدولة معين ، وقد خلد انتصاراته في نقوش اهمها : نص صرواح ، الذى شكر فيه الاله (المقه) [30] على تلك الانتصارات • ولذلك يعتبره المؤرخون مؤسس الملكية في سبأ ، والتي تضم عناصر مختلفة من قبائل المنطقة •• وبدأ يظهر مجتمع جديد لا يعتمد على النظرة القبلية ، وانما على نظرة اوسع واعمق ، وهي فكرة المواطنة للدولة السبائية ، اي جميع الافراد مهما اختلفت مواطنهم وقبائلهم ، فهم مواطنون في هذه الدولة•

والمشهور عند كتاب العرب ، ان سبب انقضاء دولة سبأ ، يرجع الى انفجار سد مأرب (سيل العرم) ، ونزوح القبائل الى العراق والحجاز دفعة واحدة حوالي تاريخ الميلاد ، ولكن المعقول ان دولتهم ذهب ريحها تدريجيا ، بذهاب اسباب قوتها • فقد كان اعتمادها الكلى على التجارة ، كما كان الحال بالنسبة لدولة معين ، وعندما تحولت طرق التجارة من البر الى البحر ، اخذ نجمها في الافول • وكان اصحاب ريدان — وهي اقرب الى البحر جنوبا — قد اشتد ساعدهم ، وهم من حمير (فرع سبأ) فغلبوهم على مدينتهم ، او اتحدوا معهم دولة واحدة ، وكان يقيم ملوكها تارة في مأرب وطورا فى ريدان (ظفار) على التوالى ، ثم اقتصروا على الاقامة في ظفار • وذلك دليل على ان ملك سبأ وريدان ، حدث في اواخر الدولة ، بعد ان وجهت عنايتها نحو الجنوب ، على اثر تداعى السد •

ومهما يكن من امر فان قصبة السبائيين ، كانت قبل انشاء دولتهم في صرواح ، ورئيسهم يسمى (ذو صرواح) فلما انشأوا الدولة ، بنوا مأرب واسمها ايضا سبأ ، فصار كبيرهم يسمى (مكرب سبأ) ، ثم صار (ملك سبأ) ثم صارت القابهم (ملك سبأ وريدان) ثم (ملك سبأ وريدان وحضرموت) ، وذلك في العصر الحميرى [31] •

(30) جواد علي ، ١٠٠/١ — ٢١٢ •

(31) الحميريون هم فيما يظهر شعب (اوسان) القديم ، الذي نجح في القضاء علي

٣ ـ دولة حمير (١١٥ ق٠م ـ ٥٢٥م)

حمير هو ابن سبأ ، وذلك ما حكاه مؤرخو العرب ، ويؤيد ذلك ان اليونانيين لم يذكروا الحميريين في كتبهم حتى عام ٢٠ ق٠م[٣٢] والظاهر انهم كانوا يقيمون في ريدان (ظفار) قبل ذلك التاريخ باجيال وهم اقيال او اذواء[٣٣] وكبيرهم يسمى (ذوريدان) حتى سنحت لهم الفرصة ، فتغلبوا بها على اخوانهم السبائيين ، او اتحدوا معهم ، في اواخر عهد دولتهم فصار لقب كبيرهم (ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت) ٠

واذا كانت دولة سبأ اشتهرت في التاريخ بانها ليست دولة فتح ، بل هي دولة قوافل وتجارة ، فان دولة حمير تختلف عنها ، اذ انها تعد من الدول الفاتحة ٠٠ فقد نبغ من ملوكها قواد فتحوا الممالك وحاربوا الفرس والاحباش وغيرها ٠

وتنتهي دولة حمير (بذى نواس) عام ٥٢٥ ميلادية ، فكأنها حكمت ٦٤٠ سنة ، قسمها المؤرخون الى فترتين متساويتين تقريبا ٠ كان ملوكها في الفترة الاولى يلقبون بلقب (ملك سبأ وريدان)[٣٤] ، وتنتهي هذه المدة بضم حضرموت الى القابهم ، وبضمها تبتدىء الفترة الثانية ، يصبح اسم الملك (ملك سبأ وريدان وحضرموت ويمنات) ٠ واول من نال هذا اللقب هو (الملك شمر يرعش) فهو آخر ملوك الفترة الاولى ، واول ملوك الفترة الثانية من حمير ٠

ثم غلب فيما بعد اسم (يمنات) على المملكة كلها ، واصبح جنوبي عسير من جزيرة العرب يسمى يمنات او اليمن ٠٠٠

دولة الملك (جودرت) بالحبشة على الشاطىء الذي تنمو عليه انواع البخور ، وبلادهم هي الوطن الاصلي للاحباش الافريقيين ، وقد استوطنه السبائيون من قبل ، ويدل على ذلك بعض الظواهر اللغوية (حومل / المترجم ٩٣) ٠

(٣٢) د ٠ جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٢ ص ٢١٤

(٣٣) ابن كثير : ١٥٩/٢

(٣٤) زيدان ١٢٨ ـ ١٢٩

ولم يتم التوسع لدولة حمير ، الا بعد حروب طويلة ، بين ملوك سبا ورؤساء النواحي التي ضموها الى بلادهم بالتدريج • وهذه الحروب المستمرة ، هي التي ادت الى ضعف البلاد عامة وصرفت ملوكها عن العناية بالسدود مما ادى الى تهدمها ، وهي التي جرأت الاحباش والفرس على غزو البلاد •

وقد تعاقبت على العرش اسر مختلفة اولاها من ناحية سبأ ، استمرت في حرب مع رؤساء ريدان حتى تمكن هؤلاء في اواخر ايام (علهان نهفان) [٣٥] ملك سبأ من التغلب عليها • وصارت رياسة المملكة لملوك من اصل حميرى ، وغلب بالتالي اسم حمير على المملكة من ذلك الحين •

اما عن ملوك حمير ــ كما ذكرتها النقوش التي عثر عليها ، وكما ذكرتها بعض الكتب التي وقعت تحت ايدينا ــ فانه ليس من اليسير ايراد جدول تاريخي ترتيبى لهؤلاء الملوك •

٤ ــ مملكة قتبان واوسان : (٨١٥ــ٥٤٠ ق٠م)

عاصر دول اليمن القديمة الكبرى (معين وسبأ وحمير) ، دولة صغرى او امارات منها الدولة القتبانية ، وهي دولة عربية جنوبية • لم يتفق العلماء الاثريون حتى الآن على تعيين مبدئها ونهايتها ، ولكنهم جزموا بانها قد عاصرت دولتى (معين) و(سبأ) [٣٦] •

وقد ذكر المستشرق هومل [٣٧] اسماء (مكارب قتبان ، كما ذكر بعض اسماء ملوكها وذهب الى ان هذه الدولة ، وجدت في حوالي الالف الاول قبل الميلاد • ويرى جلازر [٣٨] ان نهايتها كانت بين سنتى ٢٠٠ ، ٢٤ ق٠م •• ويرى مولر ان القتبانية بطن من سبأ ، خرجوا من

(٣٥) د . جواد علي : نفسه ٢/٢٢٤
(٣٦) سترابو : ٣/٣٨٢
(٣٧) هومل / المترجم ٩٩ ــ ١٠٧
(٣٨) طلس ١٠٨ نقلا عن جلازر ١١٤

ناثار بلاد حمير ، ودخلوا في حوزة السبائيين ، ثم زحوا الى مأرب ..

ويرى الدكتور جواد علي [٣٩] ان الوقت لم يحن بعد للحكم بان المكرب الفلاني ، او الملك الفلاني ، قد حكم من سنة كذا ، او قبل هذ أو ذلك ، لاننا لانزال نطمع فى الحصول على اخبار حكام ، لم تصل اسماؤهم الينا . وان خير ما يستطاع عمله في الوقت الحاضر ، هو جمع مايمكن جمعه من اسماء حكام (قتبان) على اساس الصلة والقرابة . وارى ان القوائم التي وضعها علماء العربيات الجنوبية لحكام قتبان ، او حضرموت او معين هي في نظري قوائم غير مستقرة .

واقدم مكارب القتبانيين هو (سمه على وتر) ، وابنه (هون عم يهنعم) ، الذين حكما في حوالي القرن التاسع قبل الميلاد ، ويذكر (جروهمان) [٤٠] تسعة مكربيين آخرهم (سمهووتر) .

واهم مدن قتبان هي (تمنع) ، وتقع في وادي بيجان الخصيب . وتعرف الآن باسم كحلان ، ولا تزال اطلالها موجودة الى الان ، كما لاتزال الحفريات تكشف عن جديد فيها ، من النقود الذهبية والتماثيل والمرمر والنحاس والبرنز [٤١] .

ومن مدنهم كذلك (شوم اوشور) ، وهي مدينة كانت تسكنها قبيلة تسمى (هرية) ، وقد بنيت فيها الكثير من الحصون والمعابد في عهد الملك دروال غيلان يهنعم [٤٢] .

اما (أوسان) فيظهر انها كانت جزءا من مملكة قتبان ، ولو ان بعض الباحثين [٤٣] يرى ان اوسان ثارت على قتبان وانفصلت عنها فكونت مملكة اوسان ، حتى جاءت دولة ملوك سبأ فادخلت الاثنين في حوزتها . اما ملوك اوسان الذين عثر على تماثيلهم فهم اربعة ، نشرت

---

(٣٩) جواد علي ١٣/٢
(٤٠) هومل / المترجم ١٠٠
(٤١) جواد علي : ٤٣/٢ ،
(٤٢) نفسه : ٤٥/٢
(٤٣) هومل / المترجم ١٠٦ نقلا عن جلازر ١٠٠/١

صورهم في كتاب الدكتور جواد علي وهم :ـ

١ ــ يصدق ال ملك اوسان بن معد ال ملك اوسان ٠

٢ ــ زيدم سيلان ملك اوسان بن معد ال ملك اوسان ٠

٣ ــ معد ال سلعان ملك اوسان بن يصدق ال ملك اوسان ٠

٤ ــ يصدق بن فرعم شرح عثت ملك اوسان بن معدال ملك اوسان ٠

٥ ــ الدولة الحضرمية :

ظهرت هذه الدولة العربية الجنوبية في الميدان قبل عام ٠٥٠ ق٠م [٤٤] فعاصرت بذلك دولة قتبان ٠ والدراسات العلمية التي جرت عليها حتى الآن تعتبر دراسات قليلة جدا ٠ واسفرت هذه الدراسات الى وضع قائمة باسماء ملوكها ، وتوصل البروفسير (البرايت) لذلك ، وجعل في طليعة ملوكها اسم (يدع ايل) الذى حكم حضرموت حوالى نصف القرن الخامس قبل الميلاد [٤٥]

وذكر جلازر في كتابه عن الحبش [٤٦] اسم ملك حضرمي يدعى (ايلى عزه بليط بن سلمان) حكم في حوالى عام ٢٩ ميلادية [٤٧] كما ذكر في مكان آخر ان لملك ايل يبن بن ربى شمسم هو آخر ملك لحضرموت [٤٨] ٠ ويرى هومل ان دولة حضرموت قد دالت في حوالى عام ٣٠٠ ميلادية ، بعد ان ورثها السبائيون ، في عهد ملكهم (شمر يهرعش) [٤٩] ٠

وقد كانت مدينة (شبوة) العاصمة الجديدة لهذه الدولة ، وكانت زاخرة بالمعابد الفخمة ٠٠ وقد كانت في الاصل مقرا للمكارب ، ثم صارت مقرا للملوك ٠ وقد ورد اسمها في التوراة باسم (سبت) ، وقد

---

(٤٤) طلس : ١١١ نقلا عن البرايت ١٤

(٤٥) جلازر : الحبش ٢٩ ــ ٣٤

(٤٦) هومل / المترجم ١٠٦ في كتاب « التاريخ العربي القديم » ترجمة د. فؤاد حسنين

(٤٧) نفسه ١٠٧

(٤٨) نفسه ١٠٧

(٤٩) طس : ١١٢

ذكرها صاحب صفة جزيرة العرب ، وعدها من حصون حضرموت ومحافدها [٥٠] ، اما العاصمة القديمة فهي (ميفعة) ، وقد كانت مدينة محصنة ذات معابد • وكانت دولة حضرموت دولة تجارية ، احتكرت تجارة اللبان والطيب مدة طويلة ، وقد عبد اهلها الالهة المتعددة منها : عشتر ، سين ، شمس ، حويل •

٦ ـ فترة الحكم الحبشي والفارسي :

دخل الاحباش اليمن اعوانا لبنى همدان ، ثم ما لبثوا ان اصبحوا فاتحين ثم نشأ منهم جيل جديد استعمر الارض واستأثروا بها من سنة ٥٢٥ حتى سنة ٥٧٢ م [٥١] • وفي عهد مسروق آخر حكام الاحباش على اليمن ، مل الحميريون سلطته ، وقام سيف بن ذي يزن يستنهض العرب ضد الاحباش رغبة منه في تخليص البلاد من الاستعمار الاجنبي واستنجد بكسرى انو شروان ملك الفرس ، فساعده بحملة قوامها ثمانمائة رجل بقيادة (وهرز) [٥٢] وادت هذه المساعدة الى طرد الاحباش من اليمن ، بعد ان حكموها حوالي ٧٢ سنة •

ونشأت على انقاض ذلك حكومة مشتركة ، تقلد سيف فيها ولاية اسمية على البلاد ، واقام لنفسه مجلسا في قصر غمدان القديم [٥٣] ، وقد طمست معالمه في ايام الاحباش ، وكان الفرس يتدخلون فى شؤون اليمن ، حتى جعلوها ايالة خاصة لملكهم ، ففهم العرب موقفهم وادركوا

---

(٥٠) الهمداني : صفة جزيرة العرب ٨٧ ، ٩٨

(٥١) حتى ٨٦/١

(٥٢) الهمداني : الاكليل ١٧/٨

(٥٣) قبل قرن من المسيحية تقريبا استعان بنو همدان بزعامة (علهان نهفان) بالاحباش وتحالفوا مع ملكهم (جدوت) وكان هذا التحالف هجوميا دفاعيا ، ونتيجة لهذا التحالف انتصر بنو همدان على الحميريين (بنو ريدان) وظل الاحباش مخلصين لحلفائهم حتى نهاية الحرب ، واتخذوا لانفسهم مدينة (سحرت) قاعدة لهم في اليمن ، وطلبوا من ملكهم السماح لهم بجيش بحري في اليمن ، ولكنه لم يقبل (راجع : د • عبدالمجيد عابدين : بين العرب والحبشة (القاهرة ١٩٥٥) وراجع : كتاب المؤلف عن علاقات اليمن الخارجية (تحت الطبع)

انهم بدلوا سيدا اجنبيا بآخر ...

وفي اخبار العرب التقليدية – التي تتعرض لتلك الحقبة – آثار بينة لما نشب من نزاع بين الدولتين المتاخمتين للجزيرة ، فارس الزردشتية، والحبشة النصرانية(تعضدها الدولةالبيزنطية) وهما يكافحان في سبيل الاستئثار ، بما فقدته دولة الجنوب العربية من مجد وعمران . واظهر نصارى العرب ، ميلا الى الدولة البيزنطية ، فتوسل الاحباش بذلك الميل الى التدخل في امور البلاد . .

وهكذا اتخذت فارس الى التوسع في البلاد وسيلة مما رأته من مؤازرة يهود العرب ووثنيتهم لمصالح امنها . وانه وان حالت بادية الشام في الشمال ، دون توسع الدول الكبرى في الجزيرة ، فقد اصبحت ارض الجنوب مدخلا لتلك الدول بوصلها الى قلب البلاد .

واتت سنة ٦٢٨ وهي السادسة للهجرة ، فاعتنق باذان – عامل الفرس على اليمن دين الاسلام ، وما بزغ نور الاسلام ، حتى انتقل مركز الجزيرة الخطير ، الى الشمال وصارت حوادث التاريخ العربي بعد ذلك ، تجري في مواطن شمالية . وقام الحجاز مكان اليمن . واليه آلت مكانة ذلك القطر الجليل ، وطوال العصور الوسطى كان شأن الجنوب ضئيلا ، واموره ثانوية في نظر حكومات الخلفاء المتعاقبة لانها امور قطر سحيق ، قليل الاثر في حياة الدولة .

د – حضارة عرب الجنوب :

ان المصادر الوطنية التي تحدثنا عن الحياة الاقتصادية والتشريعية والادارية للدول العربية الجنوبية ، عبارة عن نقوش فقط ، وقد ازالت هذه النقوش العالم على قوانين وانظمة ومعلومات عامة ، ووثائق تتصل بالاهداء والبناء والعمل ، كما وصلتنا وثائق اخرى تتصل بالزراعة وجباية الاموال .وتحدثنا حديثا غير مباشر ، عن التشريع والانظمة ، التي كانت سائدة في تلك البلاد . ومنها تبين لنا ان الزراعة كانت هي العمود الفقري للحياتين الاقتصادية والسياسية للدولة . وان

تنظيم الشعوب يجب ان يكيف والحياة الاقتصادية للبلد •

ونجد في هذه النقوش ايضا ، اخبارا تتصل بالحاجة الى العناية بالمسائل العسكرية كما نقرأ شيئا عن اللاهوت ، وثر الاراء الدينية على الحياة العامة فى الدولة •

فهذه المصادر هامة جدا ويجب الاعتماد عليها لانها لم تتغير ، ولم يطرأ عليها اي شيء ، كما انها معاصرة للاحداث ، التي تتكلم عنها ، لكن عباراتها الموجزة تجعل فهمها عسيرا جدا •• وكذلك يراعى في النقوش العربية الجنوبية ، انها تكتفى فقط بذكر الخطوط الرئيسية للاعمال الاجتماعية والاقتصادية والانظمة السياسية والادارية ، الا اننا لا نجد فيها تفصيلا لكل هذه الانظمة • كذلك مما يلفت النظر اننا لم نعثر حتى اليوم في النقوش الجنوبية الا على قليل من الاشارات المتصلة بالتعريفة الجمركية او القوانين التجارية ، رغما من كثرة طرق المواصلات في تلك البلاد ، بينما نجد بعض المؤلفين الكلاسيك ، يتركون لنا بعض الاخبار الخاصة بهذا الموضوع •• ففى الطريق الى (بترا) وجدت نقوش معينية في (العلا) كما عثر على تابوت مصري من عهد البطالسة ، وعليه كتابة معينية • وفي هذا التابوت جثة تاجر عربيجنوبي مقيم في مصر • وكان يتاجر فى المواد العطرية والبخور مما يستخدم عادة في المعابد فيقوم باستيراد هذه المواد من وطنه ، ويصدر اليه الاقمشة الحريرية (٥٤) •

وسأحاول فيما يلي القاء بعض الاضواء على جوانب حضارة عرب الجنوب من نواحيها المختلفة :

(١) التركيب الاجتماعى :

عرفنا من النقوش ، ان النظام الذى كان قائما في دول الجنوب العربي القديمة اساسه دينى ، ودليلنا على ذلك ، ان الظاهرةالاقتصادية التي كانت موجودة في تلك الدول جعلت البلاد منقسمة الى اقطاعات •

(٥٤) اينكولوس / المترجم ١٢٣

حيث كانت للمعبد ممتلكاته الخاصة ، وكيانه الخاص ، ثم ان هذه الدول (معين ، قتبان ، حضرموت ، سبأ بما في ذلك حمير) عرفت هذا النظام واخذت به ، كما انها اخذت تتدرج من النظام الديني (الثيوقراطي) الى النظام الملكي الدنيوي • وعرفنا ايضا من النقوش ان الحاكم الديني ، كان يحكم بمفرده ، وله لقب خاص غير اللقب الدنيوي الخاص برئيس الدولة •

فالحاكم الديني القديم ، كان يلقب بلقب كهنوتي هو (مكرب) اي (امير الكهنوت) لكن هذا اللقب لم يبق على حاله ، بل ساير تطور نظام الحكم ، واصبح فيما بعد لقبا دنيويا فاختفى لقب (مكرب) وحل محله لقب (ملك) • وقد ظهر اللقب الدنيوي الجديد متأخرا في دولتي سبأ وقتبان •• اما فيما يتصل بدولة (معين) فلم نعرف منهم غير لقب (ملك) •

ونستطيع ان نتصور ، ان القبيلة ـ في العصور القديمة ـ كانت عبارة عن الجماعة التي تربط بين افرادها الروابط الاقتصادية • او روابط العمل وهذا برهان قاطع يبين لنا ، كيف ان العناية بالارض والثروة الارضية ، كانت محور الحياة العامة ، والمصالح الحقيقية في تلك العصور في هذه البلاد • (٥٥)

وهكذا نجد انظمة الحياة الدستورية للقبائل متسقة اتساقا تاما مع الانظمة الزراعية والضرائب •

وكان يؤدي المالك احيانا بعض الوظائف الاضافية •

اما طبقة الاشراف فكانت لها امتيازات ليست اقتصادية فقط ، بل سياسية ايضا كما كان يحسب حسابهم في التشريع والادارة • فالجماعة كانت تقدم لصاحب الارض الايدي العاملة من افراد القبيلة ، والقبيلة ايضا هي التي تمد رجال المباني بعمال المباني واولئك وهؤلاء ، كانوا

---

(٥٥) د • جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ٨/٢٠ ـ ٢١

عصب القبيلة والعمود الفقري للدولة •••

ويظهر ان اكثر الناس عددا في القبيلة ــ في دولة سبأ القديمة ــ الطائفة التي كانت منزلتهم بين الاشراف ، ورقيق الارض ، وكانوا يكلفون بالخدمة العسكرية (٥٦) •

اما عن الحكومة فيرأسها الملك ، وهو مطلق الحكم لايخرج من قصره في مأرب ، او غيرها من قصباتهم الا نادرا • وكان الحكم وراثيا ينتقل الى الابناء والاخوة الا حضرموت قبل النصرانية فقد ذكر استرابو (٥٧) ، ان الملك فيها كان ينتقل الى اول مولودمن الاشراف • ولد في اثناء حكم الملك القائم •

وكان لملوكهم القاب ، تذكر بجانب اسمائهم ، مثل القاب خلفاء المسلمين في صدر دولتهم • وكانوا يركبون الخيول او المركبات تجرها الخيول او الافيال ولا سيما بعد اختلاطهم بالاحباش على عهد دولة حمير •

(٢) النظام النيابي والاداري :

أ ــ النظام التشريعي :

عرفت بلاد اليمن قديما نظاما يتكون من مجالس ، تمثل الشعب تمثيلا نيابيا ، فكان يوجد مجلس قبلي الى جانب العرش ، كما كانت تمثل القبائل المختلفة في الهيئات التشريعية المتعددة ، وكانت ادارة البلاد بيدها •وربما كان المجلس القبلي يعقد جلساته مرتين في العام ، وفي عاصمة الدولة •

اما المجالس الاستشارية ، فقد كانت مكونة من سائر القبائل ، ولم يحرم منها الا الرقيق الذين كانوا يعملون في الارض • وكانت تنتهي هذه المشاورات عادة بالموافقة على المواضيع المعروضة ، وكانت القرارات التي تتخذ تبلغ عادة الى القبائل ، كما ان تلك القرارات كانت

---

(٥٦) لينكولوس / المترجم ١٢٨ ــ ١٢٠

(٥٧) ٣/٣٦٠

تستتبع اصدار قوانين خاصة بتنظيم استثمار الارض والعقار ودفع الضرائب وهذه القوانين الزراعية كانت الاساس الذي بنى عليه نظام الدولة فيما بعد .

اما الاجتماع الآخر للقبائل ، فكان الغرض منه الموافقة على هذه القوانين .

ب ـ النظام الاداري :

كان النظام الاداري ، يعالج ادارة الارض وتأجيرها والشروط اللازمة عند كل حالة او مجموعة من الحالات ، ونجد فوق النظام الديمقراطي ، نظاما آخر قوي يصدر القوانين . ـ وهو سلطان الملك ـ ومعنى ذلك ان الملوك لم يكونوا مطلقين في ادارة اعمالهم فكان عليهم ان يستشيروا في امور الدولة كبار رجال الدين ورؤساء القبائل والموظفين ، يدعونهم لاخذ رأيهم في امور السلم والحرب ، وفي النظر في المشكلات التي تتعرض لها الدولة ، وكان لهؤلاء مجلس يسمى (مزود) ومتى قرر هذا المجلس شيئا عرض على المجالس القبلية ومجالس المدن لبيان رأيها فيما اتخذ من قرارات ولا سيما في امور الضرائب ، فاذا ما اقرت تلك المجالس هذه القرارات كان من الواجب على سيد القبيلة تنفيذها على اتباعه ، ولكن اذا عارضت هذه المجالس تلك القرارات ، فتعاد الى مجلس الشورى (مزود) لاعادة النظر فيها . ولم يكن هذا معناه ان النظام كان نيابيا في اليمن في هذا الوقت لان الاعضاء كانوا معينين من ذوى الحيثيات في البلاد .

وكان على اعضاء المجلس الاستشارى ان يحرصوا على تنفيذ رغبات الملك ، لانه هو الذى يدعو للاجتماعات ، وان جميع القرارات تصدر وفقا لرغبته (٥٨) .

---

(٥٨) لينكولوس / المترجم ١٣٤ في كتاب « تاريخ العرب القديم » ترجمة د. فؤاد حسنين

والمجلس الاستشارى للدولة (مجلس الدولة) كما سبق ان ذكرنا له حق اصدار القوانين باسم الملك ، ومن حقه ايضا استغلال القوانين القدسة ومراعاتها ، وتنظيم استخدامها وكذلك من حقه ان يحل محل مجلس القبائل ، ويشرف على تطبيق القوانين على الارض واقرارها ، كما كان من حقه ايضا اصدار العفو عن المحكوم عليهم .

والظاهر ان مجالس القبائل ، كانت تجتمع عندما تظهر في الجو اسباب سياسية تتصل بسياسة البلاد الخارجية ، او اظهار رغبة في ادخال تغيير شامل على النظام الاقتصادي للدولة .

وهكذا نجد العرش ـ في الدولة القتبانية ـ ومجلس الدولة (الرأي) ومجلس القبائل تكون جميعا الحكومة .

(٣) الديانة والالهة :

بفضل الكشوف الاثرية التي عثر عليها في جنوب بلاد العرب ، وبلاد الحبشة وشمال الجزيرة العربية . وفي اماكن اخرى مختلفة . وعلى ضوء الدراسة المتأنية العميقة لهذه الكشوف ، امكن معرفة اكثر من مائة من اسماء آلهة الساميين الجنوبيين . ولكنا نجهل معرفة خمسين منها معرفة تفصيلية . وكل محاولة في تفسيرها ، بليت بالفشل والتهكم ، فهي مازالت الى الآن موضع الحدث والتخمين وقد دلتنا النقوش على اسماء الآلهة ولكن لم يهتد الباحثون الى مدلولاتها . وفي حالات اخرى تكون ذات معاني وصفية ، فهي في هذه التسمية ، ليست اصيلة ، والكثير منها يستعمل كبدل ومن ثم اصبحت اسماء الاعلام والنقوش شاهدة على ان عددا عظيما من هذه الاسماء الوصفية ، هي في الواقع عبارة عن اسماء متعددة لاله واحد .

وقامت الوثنية عند عرب الجنوب اليمني ، على تأليه الكواكب ، وخاصة الشمس والقمر والزهرة ، لما لها من اثر كبير في حياة الزراعة وسير القوافل ، ويرى بعض الباحثين ان اليمنيين هم الذين نقلوا معهم

من اليمن الى ارض الرافدين عبادة هذه لآلهم • [56]

ذلك لان بعض المصادر تقول ان اصل العبرانيين يرجع الـى الجنس الآرامي وان الاثنين يمثلون هجرة بدوية كبرى خرجت من شبه جزيرة العرب وتدفقت الى بادية الشام ، والقرابة بـين العبرانيين والآراميين وثيقة فهي قرابة في الجنس واللغة وفي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حلت رموز الخط المسماري ودرست اللغات الاشورية والبابلية والعبرية والآرامية والعربية والحبشية دراسة مقارنة فتبين ان بين هذه اللغات اوجه شبه ظاهرة ، وان الصلة بينها جوهرية حقيقية ، لذلك نستطيع اعتمادا على هذه الحقائق ان نقول ان هذه الشعوب البابلية والآشورية والكلدانية والعمورية والآرامية والفينيقية والعبرانية والعربية والحبشية من اصل واحد ، وكان اجدادهم شعبا واحدا ، وانحدروا جميعا من وطن واحد ، وقد اثبت البحث الحديث ان هذا الوطن الاول لهذه الشعوب جميعا يقع في شبه جزيرة العرب التي تعتبر بحق مهد الجنس السامي ••

ولما كانت عبادة قوى الطبيعة وتقديسها من اهم العبادات التـى كانت سائدة في البلاد اليمنية القديمة ــ كما هو معروف ــ فلا يستبعد ان تكون هذه الشعوب قد نقلت هذه العبادات الى المناطق التي استقرت فيها واتصلت واندمجت بشعوبها ومن بينها بلاد مابين الرافدين •

ومن بين اسماء الآلهة المجهول كنهها الى الآن : آلهة حضرموت مثل (حول) او (جلد) • ومن الآلهة المعينيين (نكـرح) ، (ذو قبض) (متبقبط) ومن السبائية : تتب نطين ، والمقه وذو سماو ومن القتبانية :

---

(٥٦) راجع ذلك مفصلا في كتب التوراة ، حضارة مصر والشرق القديم للدكتور ابراهيم رزقانه وزملائه ص ٣٤٩ وما بعدها ، ص ٢٧٧ وما بعدها ، والدكتور جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام (عن اصل العبرانيين ، والاراميين) جـ ٢ وجـ ٣ ، وطه باقر : مقدمة ، تاريخ الحضارات القديمة جـ ١ ، جـ ٢ . وقد كتبت هـــذه تفصيلا عن هذا الموضوع واشارت باستفاضة الى المصادر الاصلية ..

اثير ، وذات صنتم ، وذات ظهرن ... الخ .

(٤) الناحية الاثرية :

ان الشيء الذي نستطيع الحديث عنه هنا ، هو اعطاء فكرة عامة عن الحالة الاثرية لتلك البلاد ، ولكنها ليست كافية بسبب عدم توافر المادة ، التي اكتشفت حتى الآن . وفي هذه الفكرة سوف اتكلم عن العمارة ، وعن الفنون اليدوية ، والفنون الدقيقة .

أ ـ العمـارة :

ان فن العمارة يعتمد عادة على مادة البناء التي توجد في البلد . وفي بلاد اليمن توجد هذه المادة متوفرة ممثلة في الجرانيت والجبس والاحجار الجيرية والبازلت . وهذا يجعلنا ندرك بسهولة ويسر ، تقدم فن العمارة في تلك البلاد .. فلولا وجود هذه المواد ما استطاع العربي الجنوبي ، ان يشيد الأبنيه الخالدة المكونة من طابق فوق طابق، واكثر حتى بلغت في ارتفاعها الابراج .. وكذلك كان لوفرة وجود الرخام بانواعه ، الفضل في معاونة المهندس المعماري هناك ، على اقامة الاعمدة ، والنحات على تحقيق سائر اغراضه ، والى جانب الاحجار بانواعها ، نجد الغابات الواسعة ، التي قدمت للعمارة الاخشاب اللازمة . وكان المتبع هناك ان تنحت مثلا الصخور الرخامية الكبيرة ، نحتا منظما ، ثم ترس الى جانب بعضها ، وكانت تتماسك عن طريق بعض الاوتاد الرصاصية ، التي كانت تربط المداميك عن طريق ثقوب ، كما هو واضح في بناء سد مأرب ، وفي برج غمدان [٦٠] وكانت الاعمدة تربط بقواعدها عن طريق اوتاد مربعة بقدر الحاجة ، كما كان يصب الرصاص احيانا في تدعيم البناء وتثبيته . اما الحيطان فكانت غير عمودية ، وكانت تميل الى الانحراف الى حد ما ، كما هو شاهد في معبد (حيا) . ولعل الغرض من ذلك هو الاحتفاظ بصلابة الحجر ومتانته وخصائص برج غمدان ان جهاته الاربعة مكونة من احجار ذات

---

(٦٠) الهمداني / الاكليل ٨/٥

الوان مختلفة (٦١) وامتازت كذلك مبانيه بالعناية بزخرفتها بالسن والذهب والفضة والاحجار الكريمة اما الاعمدة فكانت تزخرف بصفائح الذهب والفضة وقد قال استرابو (٦٢) عن زخرفة قصور اليمن : انها تشبه بشكلها القصور المصرية •

ب ــ مدن اليمن القديمة وقصورها :

تعتبر مأرب (٦٣) وسبأ اشهر مدائن اليمن القديمة ، انتقل اليها المجد في عهد السبائيين وهي اليوم اكبر مركز مواصلات حكومية وكانت قديما تحتوي على الابنية والقصور التى منها : قصر سلحين ، وقصر هجر ، وقصر القصيب (٦٤) وقد زارها الهمداني ، في القرن الرابع الهجري ، وذكر في كتابه (الاكليل) بين ذلك الانقاض ، اعمدة العرش، ولعله يريد قصر سلحين (٦٥) •

اما براقش ــ الواقعة بمنطقة الجوف ــ فيظهر ان اسمها ايضا (يثيل) • فقد كانت مركزا دينيا • ويعود الفضل فى اكتشاف هاتين المدينتين الى العلامة الفرنسي هاليفى ••

وتعتبر صرواح احدى العراصم المعينية المندثرة ، وهي تحتوي على آثار قديمة ويظهر ان بانيها هو عمر ذو صرواح •

اما ظفار عاصمة حمير • فقد اندثرت ، ولم يبق منها غير تل صغير بجوار مدينة بريم على الطريق بين اب وصنعاء ، ولا تزال شبوة محتفظة باسمها كمأرب • وهي اليوم مركز صحراوى على الطريق الداخل بين مأرب وحضرموت • اما عن قصور اليمن القديمة فهي كثيرة جدا وبعتبر كتاب (الاكليل) للهمدانى اجمع كتاب في وصف محافد اليمن ومساندها لانه اهتم بوصف كثير من الاثار الحميرية • واشهر هذه

(٦١) الهمداني : الاكليل ٨/٢٤ ــ ٢٥

(٦٢) ٣/٦٣٠

(٦٣) زيدان : ١٦٣ ، الهمداني : الاكليل ٨/٦٣

(٦٤) عدنان : ٤٦ (د. عدنان ترسيس : اليمن وحضارة العرب) ، (بيروت ١٩٦٣)

(٦٥) الهمداني : ٨/٧٢ ــ ٧٩

القصور هي ماجاء بوصف مؤرخي العرب كياقوت والهمداني والمسعودي •

واهم هذه القصور واشهرها : قصر غمدان [٦٦] ، قصرنا عط [٦٧] كوكبان ، روثان ، مدد وغيرها وتكلم عنها الهمداني في اكليله ، ويصعب الالمام بها هنا خشية الاستطراد •

ج ـ النحت :

اما عن فن النحت فعدد القطع التي عثر عليها في بلاد اليمن قليل الا انه يكشف لنا القناع عن المهارة الفنية لسكان هذه الجهات [٦٨] ، وكذلك استخدامهم للبلاستيك المسطح يحمل كل دلائل السذاجة ، وقد يقال عنه فن شعبي فلاحي • ومن نماذج هذا الفن شكل يمثل سيدة جالسة على كرسي مرتفع تعزف القيثارة ، وعلى كل من اليمين واليسار خادمة •• وفي الجزء الاسفل من الرسم نجدها وقد استلقت على سرير ترعاها خادمة •

ومن مجموع المذابح التي تتجلى فيها عادة رموز الالهة ، يوجد نموذج من مذبح ارتفاعه ثلاثة امتار وعليه نقش (قيف عشتر سمع ود وذت صميم) وهذا المذبح يقوم على جبل بلق الاوسط بالقرب من مأرب ، وهو يجمع بين النصب والمذبح في قطعة واحدة •

د ـ الفنون اليدوية والدقيقة :

من بين الاواني والاطباق الفضية الجميلة والاسرة والموائد ، التي تكلم عنها استرابو ، لم يصلنا منها شيء يذكر ، اللهم الا بعض الادوات المنزلية المدنية مثل مصباح من البرنز ارتفاعه ٣٤ سم ومقعد ينتهي بجسم ايل يقفز [٦٩] •

---

(٦٦) نفسه ، ياقوت : ٨٦١/٢

(٦٧) عدنان ٥٤ ـ ٥٦

(٦٨) جرومان / المترجم ١٥٥ ـ ١٥٦ في كتاب « التاريخ العربي القديم » ترجمة فؤاد حسنين

(٦٩) جروهمان / المترجم ١٦٧ في كتاب «التاريخ العربي القديم» ترجمة د. فؤادحسنين

كذلك عثر الباحثون على كثير من اللوحات ، التي عليها كثير من الكتابات والتماثيل الصغيرة والافاعي والجمال والخيول ، وقار ، وساق من البرنز .. وغيرها من الآلات التي تهدى الى المعابد عادة .. كذلك عثر على لوح من ثلاثة اجزاء ، وهذا اللوح مصنوع من البرنز ، وقد احضره جلازر من بلاد العرب الجنوبية .. والخط المكتوب به هذا اللوح يدل على انه من عصر متأخر ، ربما يرجع الى وقت الانتقال من العصر السبائي الى العصر الحميري (٧٠) .

اما عن القطع الاخرى المعدنية كالاختام العربية الجنوبية القديمة ، فعادة تكون مصحوبة بكتابات سبائية ، وقد أحضر (بنت) من حضرموت ، خاتما كبيرا كاملا ، عليه نقش يشير الى شبام والخاتم محاط باطار ذهبي وزخرفة على شكل تصريحات (٧١)

وبالاضافة الى كل ذلك وجدت بعض الجعارين المصرية ، والاختام الساسانية ، مما يدل ان التبادل بين بلاد العرب الجنوبية ، والبلاد الاخرى ، لم يكن قاصرا على التجارة فحسب بل تعداها الى الفنون ايضا .. وقد تركت هذه الفنون الاجنبية ، اثرها فى الفن العربى الجنوبي ...

(٥) الحالة الاقتصادية :

من يجوب بلاد اليمن الآن حيث كانت مدن معين وسبأ وحمير وغيرها من دول اليمن القديمة ، لايرى الا رمالا محرقة وجبالا جرداء ، فيستغرب ما يسمعه من ثروة تلك الامم وسعة سلطاتها . والحقيقة ان تلك البادية المحرقة ، كانت على عهد ذلك التمدن بساتين وغياضا ، فيها الاغراس والاشجار والرياض والحنطة والازهار . (٧٢)

---

(٧٠) هذه القطعة احضرتها من (شبوة) الى فينا ، بعثة الاكاديمية العلمية الفنية ، وهي موجودة الان بمتحف فينا (نفسه ١٦٨)

(٧١) نفسه ١٧٠

(٧٢) زيدان ١٦٠ .

وقد ذكر استرابو ان بلاد سبأ ، كانت من اخصب بلاد العرب، وذكر من حاصلاتها المر والبخور والقرنفل والبلسم وسائر العطريات فضلا عن النخيل والغاب .

وقال اراتستنيس اليوناني (١٩٥ ق‌م) ويلينوس الروماني (٦٩ م) ان بلاد اليمن هي بلاد ثروة ورخاء عجيبين ، وانها موطن اللبان والطيوب الاخرى ، وان اهلها يحبون الحرية ، ويتمتعون بها كل التمتع (٧٣) .

وقال هيرودوتس : « ان بلاد العرب كلها كانت تفوح بالعطر والطيوب لانها البلاد الوحيدة التي تنتج المر واللبان والاقاصية والقرفة واللاذن » .

ويؤيد ذلك كله ما قاله العلماء ، من ان شبه جزيرة العرب كانت في عصر البلستوسين ، خصبة جدا وكثيرة المياه ، بسبب سقوط الامطار عليها بغزارة في جميع فصول السنة ولهذا كانت اواسط شبه الجزيرة واطرافها مزهرة ومأهونة بالسكان . ثم اخذ الجو يتغير في العالم ، في عصر النيوليتي اى العصر الحجري الحديث ، ولم يكن هذا التغير بالطبع في مصلحة شبه الجزيرة ، لانه صار يقلل من الرطوبة ، ويزيد في الجفاف ، ويحول رطوبة التربة الى يبوسة ، فيميت الزرع بالتدريج ويهيج سطح القشرة ، فيحولها الى رمال وتراب ، ثم صحارى لاتصلح للانبات ولا لحياة الاحياء (٧٤) .

وفى الوقت الذى ازدهرت فيه هذه البلاد قديما كانت عنايةاهلها فائقة بالشؤون الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة .

أ ـ الزراعة :

نظرا لان بلاد اليمن الجنوبية كانت خصبة في تلك العصور ، كما كانت غزيرة الامطار وخاصة في المناطق الجبلية فان ذلك ساعد اليمني

---

(٧٣) عدنان ٢٩ .

(٧٤) جواد علي ١٥٤/١ وما بعدها .

الاستثمار الزراعى في الوديان العديدة المرتفعة منها والمنخفضة ، وكذلك السهول المنبسطة بين الجبال .. ثم ساعد غناه الناتج عن التجـارة والصناعة في المناطق الاخرى القليلة المطر (المناطق الداخليـة الجافة) وغيرها ، مما يمكن تحسين استثماره ، وذلك بالعمل على انشـاء السدود وشق الترع وحفر الابار وبناء الصهاريج واستغلال كل نقطـة ماء يمكن الحصول عليها لاستعمالها في الري ، وهكذا نعلم مما تبقـى من هذه المدينة الزراعية الى ايامنا . بان اليمن في المناطق الممطرة بنـى المدرجات من اعلى الجبل الى اسفله ليستثمر كل شبر منه ، ويعيـد بناء ما تهدمه السيول والامطار الغزيرة بجد وهمة ويحفظ بالتـوارث قواعد الزراعة ومواعيدها ، وعنده تقديرات لمواعيد الامطار وكمياتهـا فى كل منطقة ، وله مفهوم عظيم في معرفة انواع المزروعات التي تناسب كل ارتفاع ومناخ ، ونراه في المناطق الداخلية الجافة ، قد حفـر الآبار العديدة الى اعماق كبيرة ، ورفع المياه الجوفية المتجمعة ، فحول المناطق المحاطة بالآبار الى بساتين غناء ، بفضل جده ومعرفته لاصـول الزراعة وعنايته الفائقة بها وعلو همته ، ومساعدة المناخ الصحى لـه في المرتفعات . (٧٥)

وبعد الفتوحات العظيمة التي قام بهـا الامـير السبائي (كرب ال وتر) أصبح من الضروري احداث نظام سياسي وآخـر اقتصادي يتفق والوضع الجديد للبلاد ، خاصة وان دولته قد اصبحت مترامية الاطراف ، بعد ان ضمت اليها الاقطار المفتوحة ، كما عـادت بلاد اخرى الى اصحابها الاولين ، فاصبحت مستقلة داخليا ، وفـى الوقت نفسه خاضعة لحلفائها السبائيين ، هذا فضلا عن الاقطاعات التي اشترتها الدولة وضمتها لاملاك سبأ ، كالاملاك الحكومية .

وعلى هذا يمكن ان نقول ان الاراضي اصبحت موزعة علـى

(٧٥) عدنان ٣٤

النحو الآتي :

١ ــ الاراضي الحكومية .

٢ ــ اراضي المعبد .

٣ ــ اقطاعيات تابعة للتاج مباشرة .

٤ ــ اراضي الامراء وهم كبار الملاك .

٥ ــ اراضي بكيل وحاشد من كبار الملاك (٧٦)

ونستطيع ان تتبين طريقة استغلال الاراضي التي كانت للدولة السبائية عن طريق وثيقتين ففيهما نقرأ شيئا عن قانون الضرائب ، فاستصلاح الاراضي كان يتم على يد قبائل باشراف السبائيين . اما تحصيل الاموال المقررة ، فكان ينقسم الى ثلاثة اقسام :

١ ــ ثمن الشراء .

٢ ــ اجر الارض .

٣ ــ ضريبة الارض للاغراض العسكرية .

ولضمان تحصيل هذه الضرائب ، كان للدولة الحق في الاستيلاء على المحصول ، اذا اقتضت الاحوال ذلك ، وذلك لانها كانت تسعر المحصول في الحقل او على الشجر . وكانت الدولة في هذه الحالة تستولى على القدر الكافي لتسديد المال . وتترك الباقي للفلاح . ولم يكن من حق الفلاح ان يقوم بعملية الحصاد او الاشراف عليه ، بل كان كل ذلك يتم تحت اشراف الدولة ، وما يحصل عليه الفلاح لا يزيد عن كونه اجير فقط .

اما نسبة الضرائب ، فكل ما نعرفه عنها انها كانت تجبى من القبيلة كوحدة ، ولما كان الفلاح مطالبا بالتزامات عسكرية ، اصبح لزاما على قانون الضرائب ، ان يبحث عمن يخلف الفلاح فى استثمار الارض ، اثناء قيام الفلاح بواجباته العسكرية ، وفي حق تمثيله فى الهيئات الاستشارية القبلية .

---

(٧٦) د. فؤاد حسنين : التاريخ العربي القديم (مترجم) ص ١٤٢ ــ ١٤٩

اما بخصوص اراضي المعبد ، فانه حيث توجد هذه الاراضي توجد قبيلة متصلة به او بالله ، والى جانب هذه القبيلة نجد سادة العشائر تعاونون في استغلال ارض المعبد .

والقبيلة التي تريد اراضي المعبد ، عليها ان تدفع ضريبة قدرها عشر الدخل او الميراث والمشتريات ، الى جانب ضريبة اخرى تسدد للمعبد كهبة . وكان كبير رجال الدين عند القتابيين ، هو الشخص الذى فوضه الله في ادارة اراضيه الدنيوية ، سواء من الناحية الاستغلالية او الاقتصادية .(٧٧)

السدود :

ونظرا لعدم وجود انهار كالفرات والنيل في تلك البلاد ، فقد اعتمدوا على اقامة السدود ليحجزوا بها الاموال في الاودية حتى ترتفع ويصرفون المياه الى الاراضي الزراعية ، من نوافذ خاصة حسب الحاجة ، ويعتبر عرب اليمن اول من انشأ الخزانات وهي السدود ، وقد تعددت كثيرا فى بلادهم ، حتى ان الهمدانى ، ذكر في يحصب العليا ، من مخاليف اليمن ، ثمانين سدا . واشهرها سد مأرب (٧٨) الشهير الذى جاء ذكره في القرآن الكريم بقوله : « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور » .

وقد اختلف المؤرخون فيما بينهم ، وذلك عند كلامهم عن هذا السد ، فلم يأتوا برأي قاطع فيمن انشأه وفي تاريخ انشائه ، وتاريخ تصدعه (٧٩) واوثق روايات العرب عن هذا السد ماقاله الهمدانى في

---

(٧٧) لينكولوس / المترجم ١٤٨ ـ ١٤٩ (التاريخ العربى القديم ترجمة الدكتور فؤاد حسنين)

(٧٨) ومنها اسداد : ارحب مصعان ، ربوان ، قتاب ، شحران ، طمحان ، اد ، سحر ، ذى رعين ، نضار وهران ، الشعبانى ، المليكى النواشي ، لحج ، مرايس ، ذى شهال ، نقاطة المهباذ ، الخانق ، ريعان ، سيان ، خيرة ، شبام ، بيت طلاب .. الخ وكل هذه الاسماء يحتاج اغلبها الى تحديد موقعه .. (عدنان ٦٠) .

(٧٩) ياقوت : ٢٨٢/٢ ، الاصفهاني : الاغاني : ٧٢/١٦

كتاب الاكليل [٨٠] • وقد شاهد أنقاضه بنفسه ، في اوائل القـــرن الرابع الهجرى ، وكان يقرأ الحرف المسند ويفهمه ، فوصف تلـــك الانقاض وصفا كان اكثر مطابقة لما وجده المنقبون ، الذين اكتشـفوا آثار ذلك الخزان في القرن الماضي (١٩ م) • فقد تمكـــن المستشرق الفرنسي توماس يوسف أرنو ، من زيارة مدينة مأرب عـام ١٨٤٣ م ، وقبل ان يدخل المدينة رسم تخطيطا للسد ، نشر في المجلة الآسـيويـة الفرنسية عام ١٨٧٤ • كما زار مأرب بعده المستشرق الفرنسي اليهودي يوسف، هاليفي عام ١٨٧٠ م ، وبعد عودته الى فرنسا قدم لاكاديميـة الفنون الجميلة هناك مالايقل عن ستمائة وثمانين نقشا ، وتم نشر هذه النقوش مع تقرير عن رحلته وترجمة لها عام ١٨٧٢ ••• وفى الاعـــوام التالية ، نشر هاليفي بحثا عن لغة النقوش •• وزار كذلك منطقة السد ، المستشرق النمساوي ادوارد جلازر عام ١٨٨٨ ، موفدا مـن قبـــل الاكاديمية الفرنسية وقد استطاع جلازر من ان يرسم تخطيطا لاثــار القنوات القديمة وسدود مياهها العظيمة التي كانت مصدر خصوبـة مملكة سبأ وسببا قويا من اسباب حضارتها • [٨١]

يقول العلامة جواد علي في مؤلفه (تاريخ العرب قبل الاسـلام) « ان هذه الاعمال الهندسية التي قام بها هذان المكربان للاستفادة مـن مياه الامطار هي من اهم المشروعات العالمية ، التي قام بها العالم في ذلك الحين • انها ثورة في عالم الهندسة والتفكير ، مكنت الانسان مـن الاستفادة من الطبيعة • وقد ظل هذا المشروع قرون عدة مصدر خـير ورفاهية لليمن • ولسنا نجد في التاريخ القديم سوى ممالك قليلة فكرت في مثل هذه المشروعات للتحكم في الطبيعة للاستفادة منها فى خدمـــة الانسان ، لقد حول هذا السد منطقة اذنة الى جنات ترى اثارها حتى اليوم انها مثل حي يرينا قدرة الانسان على الابـــداع متى شـــاء ،

(٨٠) ٨/٥٢ ـ ٥٣
(٨١) نيلسن / المترجم : ١٦ـ١٨

واستعمل عقله وسخر يده ، وليست هذه القصص والحكايات التي دونها لنا الاخباريون باطلا ! انها صدى ذلك العمل العربي الكبير • ن جنان (اذنة) وجنان وادى (الخارد) في الجوف وجنان المعينيين ، مفخرة من مفاخر العالم القديم » •

انواع المزروعات

اما عن انواع المزروعات في اليمن القديمة ، فهي مجهولة (٨٢) باستثناء العنب ، وقد ذكر الهمداني بان عدد انواعه اكثر من عشرين نوعا ، وهي لا تقل اليوم عن هذا العدد • كما ذكر انواعا اخرى من الفاكهة منها : الخوخ الحميري والفارسي والتين والبلس والكمثرى والاجاص والبرقوق (المشمش) واللوز والجوز والسفرجل والرمان •• هذا وتوجد في اليمن الآن جميع هذه الفواكه ••

اما النباتات العطرية كاللبان والبخور وغيرها فهي الحاصلات التقليدية التي كانت بلاد العرب الجنوبية مشهورة بها منذ اقدم العصور والتي بسببها نالت شهرة عالمية في العالم القديم وخاصة في مصر الفرعونية • (٨٣)

ب ـ الصناعة والمعادن :

اشتهرت بلاد اليمن القديمة بمعادنها وجواهرها ، فقد كانت فيها مناجم الذهب والفضة وكان ذلك من اهم اسباب طمع الفاتحين فيها ، فى ذلك العهد • وقد ذكر الهمداني في كتابه « صفة جزيرة العرب » ، كما ذكر ياقوت في معجمه وغيرها الكثير من مناجم الذهب في بلاد اليمن • ولكن الى الآن لم تكشف بعد تلك الثروة المعدنية ، التي ربما كشفت عنها الايام في المستقبل القريب •••

وقد ذكر الهمداني ذهب خولان الوارد ذكره في التوراة باسم

---

(٨٢) اي ان اسماء هذه المزروعات لم تعرف من الناحية العاميية حتى الان

(٨٣) هيرودوتس ٢٤٠ ـ ٢٤٢ ، عدنان ٣٧ ـ ٣٨

(حويلة) وذهب عسير ، كما ذكر معدن الفضة في الرضراض ، ومعدن الحديد فى نقم وغمدان •• وذكر الاحجار الكريمة كمعدن العقيق بجبل آنسي والسعوانية بجانب صنعاء ، ومعدن (المسنى) الذي تصنع منه قبضات السكاكين ••

والمعتقد ان اليمنى اتقن صناعة المعادن التي حصل عليه من بلاده ، او التي استوردها من الحبشة والهند وغيرها •• ومن الذى لم يقرأ في الادب العربى القديم نثرا وشعرا وصفا للمهند اليماني ، ومن الذى لم ير انى يوما هذا يمنيا يتحلى بجنبيته (خنجره) المصقولة ، مما يؤكد ان صناعة الفولاذ المصقول ، هي من تقاليد اليمن العريقة • واى زائر وصل الى صعدة في الشمال لم يلفت نظره امر استخراج الحديد وصهره بالطرق القديمة الموروثة ؟

والواقع ان صناعةتعد ين الحديد هي الصناعة الوحيدة التى استمرت ولم تندثر مع الايام ، هذا بالاضافة الى الصناعات التقليدية التي تقوم على تحضير بعض اصناف التجارة كالبخور واللبان والطيوب وغيرها وكان ذلك مشهورا عنها بين الامم القديمة لا يشاركها فيه احد • وقد وصف هيرودوتس [٨٤] كيفية حصول العرب على البخور والمر والقرفة والدار الصينى ، وكيف كانوا يقومون باعدادها للتصدير • ومن هذا الوصف يتضح لنا ان اهالي هذه البلاد ، كانوا قد تخصصوا فعلا في صناعة هذه المواد ، بل انهم احتكروا هذه الصناعات لانفسهم مدة طويلة من الزمن ، مما اثار حسد وغيرة بعض الدول عليهم ، وهذا ما سوف نذكره عند معالجة عنصر التجارة •

جـ ـ التجـارة :

لاشك ان الزراعة وحدها لم تكن السبب الرئيسي في ازدهار اليمن وغناها الخيالي المذكور في الالفين الاولين قبل الاسلام • بل انه من المقرر الاكيد ان ازدهار اليمن وغناها في تلك الحقبة من التاريخ ،

---

(٨٤) هيرودوتس ٢٤٠ ـ ٢٤٢ ، عدنان ٣٧ ـ ٣٨

يعود بالدرجة الاولى الى التجارة العالمية ، التي عرف اليمانى اصولها وطرق مسالكها ومواردها ، وعرف كيف يحتكرها ويحافظ على اسرار مصادر السلع ويختار الانواع الصالحة فيها للتجارة ونقلها عبر الصحارى والبرارى ، دون ان تطغى تكاليف النقل الطويل على اسعار البضائع • لذا نرى اليمانى فى عهد مجده العظيم في التجارة ، قد احسن اختيار تلك السلع فحصر ما خف وزنه وارتفع ثمنه وتعذر الحصول عليه بغير وساطة •

فقد احتكر التاجر اليمانى البخور والراتنج ، وهي من مواد الترف التي لا غنى عنها لدخولها في العطور والعجائن المستعملة للتجميل وربما التحنيط •وكذلك احتكر تجارة اللبان الطبيعي ومصدره اشجار فى حضرموت • وايضا الاخشاب الزكية الرائحة والتوابل على انواعها والمعادن الثمينة كالذهب والاحجار الكريمة واللؤلؤ والعاج والجلود النادرة والرياش الفاخرة •

وهكذا ظن الغربيون قديما بان اليمن مسيطرة على هذه السلع الثمينة لكنهم جهلوا حقيقة مصدرها • اذ انهم كانوا يعتقدون — على مايبدو — بانها من منتوجات اليمن وحدها • وهذا مما يدل على ان التاجر اليمنى عرف مدة لاتقل عن الف وخمسمائة الى الفى سنة كيف يحافظ على سر تجارته ، مما ساعده على احتكارها ونظن ايضا انه مما ساهم في حفظ اسرار التجارة وجود اليمن في حصن طبيعي بالنسبة لطرق الفاتحين ، لان الصحارى الشاسعة ، والاراضي الوعرة المحيطة بها ، والممرات الصعبة في الجبال كل ذلك كان من عوامل حماية اليمن من الطامعين بها وبثروتها الخيالية ، واحتكارها للسلع المتعددة ، فمن حيث اراد الطامع باليمن ان يقتحم حدودها ، وجدها مخيفة عسيرة المسالك •

ومن البديهي ان التجارة العالمية هذه تحتاج الى ذكاء ودهاء وحسن ادارة وتدبير ومعرفة باللغات والعادات ، وتقدير لقيمة الاملاك

والانواع والسلع ورغبة كل بلد فيها ، وكيفية المحافظة على سلامة الطرقات في بلاد شاسعة واسعة وعرة . فحيث لا تنفع السياسة ، ينفع

المال ، وحيث لا ينفع المال يستعمل السلاح او الشراكة او تأسيس المراكز الحصينة او المستندة الى الاحلاف وغير ذلك مما لا يستطيع تأمينه الا من أوتي مقدارا عظيما من النشاط ، وسعة الاطلاع ، وحسن الادارة والحكمة (والحكمة يمانية) .



اليمن في العصر الاســـلامي

[illegible]

(اولا) ـ اليمن في عهد الرسـول

عرفنا ان التجارة كانت قديما في يد اليمنيين وكانوا هم العنصر الظاهر فيها فعلى يدهم كانت تنتقل غلات حضرموت وظفار والحبشة وواردات الهند ، الى الشام ومصر ، ثم انحط اليمنيون لاسباب ذكرناها من قبل ، وحل محلهم في القبض على ناصية التجارة ، عرب الحجاز ، وكان منذ القرن السادس الميلادى • واصبحت عير قريش ـ حماة الكعبة ـ تحمل من اسواق صنعاء ومن موانىء اليمن وعمان ، الطيب والبخور ، الكثير الاستعمال في المعابد والكنائس والقصور ، في البلاد الواقعة في حوض البحر الابيض المتوسط وكذا المنسوجات الحريرية ، والجلود والاسلحة والمعادن النفيسة التي يرد الكثير منها الى بلاد اليمن من الهند والصين وغيرهما من بلاد الشرق كل ذلك سببه توسط بلاد اليمن بين امم العالم القديم واشرافها على الطريق الممتد بين المحيط الهندي والبلاد الواقعة على البحر المتوسط فاصبحت واسطة التجارة بل القنطرة الموصلة بينها •

وقد بلغ من اهتمام القرشيين بالتجارة ان كانوا يرحلون رحلتين : رحلة الشتاء الى اليمن ورحلة الصيف الى الشام • وكان بنو عبد مناف الاربعة يتوجهون الى البلاد المختلفة للتجارة • فكان هاشم يتوجه الى الشام • وعبد شمس الى الحبشة والمطلب الى اليمن ونوفل الى فارس • وكان تجار قريش يختلفون الى هذه البلاد في ذمة هؤلاء الاخوة الاربعة ، لا يتعرض احد اليهم بسوء • وكان كل اخ منهم يأخذ من ملك البلد الذى يقصده امانا له • فكان هذا اشبه بالعلاقات التجارية بين امراء مكة وغيرهم من الملوك • وقد من الله على قريش في ذلك بقوله •• : « لايلاف قريش ايلافهم ، رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذى اطعمهم من جوع ، آمنهم من

خـــوف • »

وكانت بلاد العرب وعرة ، الا عليهم لعلمهم بالصحراء وسبلهـا ومواضع الامن والخوف منها ، وقدرتهم على تحمل القيظ ، وعنــاء السير • فلم يكن لاهل الشام والحبشة وغيرها سبيل للسير في هـذه الفيافي والقفار ، الكثيرة الوعورة والاخطار • فاحتكروا تجــارة البلاد السعيدة (اليمن) كما احتكروا تجارة الشام وغيرهما ، واختصوا بنقل سلعها • وكان من اثر ذلك الاحتكار لتلك التجارة وانتشارهـا في مكة ان اثرى اهلها ثراء عظيما ••••

ونعرف جميعا ان نبينا محمد « صلى الله عليه وسلم » اشتغل بالتجارة في حداثة سنه وانه ذهب الى بلاد اليمن ، فلما بعث عليـه الصلاة والسلام ، وآذت قريش المسلمين فكر الرسول في الهجرة الـى الشـام ، او الى اليمن او الحيرة او الحبشة ولكنه رأى ان الشـام والحيرة ، كانتا سوقا لتجارة قريش ، وان اليمن كانت مستعمرة للفرس ، الذين لم يدينوا بدين سماوى ، لذلك اتجه نظر الرســول الى الحبشة لما كان يعرف في ملكها ، من العدل والتسامح •••

ظلت اليمن مستعمرة فارسية الى ان بعث الرسول صلى الله عليه وسلم وانتشر الاسلام، وعلت كلمته• وفي السنة السادسة من الهجرة بعث الرسول كتبه الى الملوك والامراء يدعوهم الى الاسلام ، فمنهم من ردوا ردا حسنا ومنهم من ثارت ثائرته ، واغلظ القول لمبعوثى الرسول• فكسرى ــ عاهل الفرس ــ لما ترجم له كتاب الرسول صلى الله عليـه وسلم ، استشاط غيظا ومزق الكتاب ، وارسل الى بازان عامله علـى اليمن يأمره بان يبعث اليه برأس هذا الرجل الذي بالحجاز • وكـان الروم في ذلك الوقت قد غلبت كسرى ، ووهنت من امره • فلمـا تناول بازان رسالة سيده ، بعث رسولين يحملان كتابا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره فيه ان ينصرف معهما اليه (اي الـى بازان)

قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا له « ان كسرى (بازان) فقالوا : هو في المدينة واستبشروا وفرحوا وقال بعضهم : « ابشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك ، كفيتم الرجل » . فخرج الرجلان حتى فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجالا من قريش فسألاهم عن الرسول قد بعثنا اليك لتنطلق معنا » فصرفهما الرسول على ان يعودا اليه في الغد . فأتى الرسول الخبر من السماء : ان الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه . فلما قدما الرسولان اخبرهما الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الخبر فقالا له : « انا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا أفنكتب هذا عنك ونخبره الملك » . قال نعم أخبراه ذلك عني ، وقولا له : ان ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى .. وقولا له : « انك ان اسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك من الابناء » (وهم اولا الفرس القدماء الذين فتحوا بلاد اليمن وانتزعوها من الاحباش) .

عاد الرسولان الى بازان فقصا عليه ما تنبأ به النبي فقال : « والله ما هذا بكلام ملك ، واني لارى الرجل نبيا ، كما يقول ، ولننظر ما قد قال . فان كان هذا حقا فانه لنبي مرسل وان لم يكن فسنرى فيه رأينا » ...

فلم يلبث بازان ان قدم عليه كتاب شيرويه : « اما بعد فقد قتلت كسرى ، ولم اقتله الا غضبا لفارس ، لما استحل من قتل اشرافهم.. فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك ، وانظر الرجل الذى كان كسرى قد كتب فيه اليك (يعني الرسول عليه الصلاة والسلام) فلا تهجه حتى يأتي لك امري فيه » .

فلما انتهى كتاب شيرويه الى بازان قال : «ان هذا الرجل لرسول» فأسلم واسلم من كان معه من الفرس ببلاد اليمن ، وهكذا خرجت اليمن من حظيرة الاستعمار الفارسي ودخلت تحت راية الاسلام ...

وفود اليمن على المدينة :

وروى البخاري في صحيحه ، عن ابى هريرة ، عن النبى (صلعم)، انه قال عندما اقبلت وفود اليمن على المدينة : « اتاكم اهل اليمن ، هم ارق افئدة ، وألين قلوبا ، الايمان يمان ، والحكمة يمانية ، والفخر والخيلاء في اصحاب الابل ، والسكينة والوقار في اهل الغنم • وفي رواية أخر : الفقه يمان والحكمة يمانية » • [١]

وعن عمران بن حصين قال : جاءت بنو تميم الى رسول الله (صلعم) فقال : اقبلوا البشرى يا بنو تميم • فقالوا : اما اذا بشرتنا فاعطنا مرتين • فتغير وجه النبى (صلعم) • فجاء اناس من اهل اليمن فقال : اقبلوا البشرى اذ لم يقبلها بنو تميم فقالوا : قبلنا يا رسول الله ، فأخذ النبي (صلعم) يحدث عن بدء الخلق والعرش [٢] •

اما عن وفود مهاجرى اليمن على الرسول فهي كثيرة ، فقد وفد عليه من وادي اهل رمع وزبيد : ابى موسى عبدالله بن قيس بن سليمان الاشعرى واخواه ابو بردة وابو رهم • واثنان وخمسون رجلا من قومهم •

قال ابو موسى : بلغنا مخرج الرسول (صلعم) ونحن في اليمن ، فخرجنا مهاجرين اليه ، وانا اصغر اخواني ، فركبنا السفينة فبلغنا الى الحبشة ثم اتجهنا مع جعفر بن ابى طالب الى المدينة فوصلناها حين افتتح الرسول خيبر فقسم لنا ولم يقسم لاحد ، لم يشهد الفتح غيرنا • [٣]

وروى ان النبي (صلعم) قال فى ابى موسى هذا حين سمع صوته وهو يقرأ القرآن : « لقد اعطى هذا مزمارا من مزامير آل داود ••• »

---

(١) اورد صاحب نثر المكنون ص ٢٥ وما بعدها هذا الحديث ، وذكر الكتب التي اوردته .

(٢) بن سمرة ٦

(٣) نفسه / ٨

فقال ابو موسى : « يا رسول الله ، لو علمت انك تسمعنى لحبرته تحبيرا » [٤] .

وهاجر من اهل نجران [٥] : السيد النجرانى صاحب نجران ، والعاقب النجرانى وهوعبدالمسيح رجل من كنده .... قدما على رسول الله (صلعم) وقالا : انا نعطيك ما سألتنا ، وابعث معنا رجلا امينا ... فقال الرسول : لابعثن معكم رجلا امينا ، حق أمين، حق امين، فاستشرف لها اصحاب رسول الله (صلعم) ... فقال الرسول قم يا ابا عبيدة بن الجراح ، فلما قام : قال رسول الله (صلعم) : « هذا أمين هذه الامة » [٦] .

ومن كندة هاجر الاشعث بن قيس بن معدى كرب بن معاوية الكندى ـ صاحب مرباع حضرموت ـ [٧] في ثمانين راكبا من اصحابه .

ومن زبيد هاجر عمر بن معد يكرب الزبيدي ، الشاعر الفارس المشهور [٨] فأقام هو والاشعث مسلمين في عهد رسول الله (صلعم) ثم ارتدا بعد موته ، ثم اسلما في خلافة ابى بكر رضى الله عنه ، وتزوج الاشعث بن قيس من قرة بنت ابى قحافة اخت ابى بكر [٩] وأولم على عرسها وليمة مشهورة ...

وقدم مكة في الجاهلية ياسر بن عامر العنسي ـ حليف آل مخزوم . وهو ممن سبق الى الاسلام . ومات في العذاب من ابى جهل [١٠] . وفي مكة استولد عمار من سمية بنت خطاط ، التي كانت سابعة سبعة

---

(٤) نفسه / ١٠
(٥) الاصابة ١٠٣/١
(٦) العينى ٦٥٤/٧
(٧) الاصابة ٥١/١
(٨) نفسه ١٨/٣
(٩) نفسه ٦٦٢/٤
(١٠) نفسه ٦٧٤/٣

سبقوا الى الاسلام [11] .

وهاجر كذلك الابيض بن حمال ، جد بنى الكرندى ، من سلاطين المعافر ، فأقطعه الرسول ملح مأرب . فقال الاقرع بن حارس التميمي [12] : يا رسول الله ، انى وردته فى الجاهلية ، وانه مثل الماء العذب ، من ورده أخذه ... فقال الابيض بن حمال للرسول : هل من الممكن ان تعفيني من قبوله على ان تجعله مني صدقة ... فقال الرسول : هو منك صدقة [13] .

وهاجر من بنى همدان : مالك بن النمط بن قيس بن مالك الهمدانى الارحبى [14] وابو قرة ثور بن الشعار ، ومالك بن ايفع بن كرب الهمدانى الناعطى [15] ، وضمام بن مالك السلمانى [16] ، وعميرة الخارقي [17] فلقوا النبي عند مرجعه من غزوة تبوك ..

وهاجر من حمير . الحارث بن عبد كلال الحميري [18] ، ونعيم بن عبدكلال [19] ، والنعمان [20] ، قيل ذو رعين ومعافر وهمدان ، ومعهم ذرعة بن يوسف بن ذى يزن الحميرى [21] من مشاهير ملوك حمير . ومالك بن مرة الرهاوي [22] . فوافوا الرسول عند مقدمة من تبوك كذلك ...

وهاجر من مراد : فروة بن مسيك المرادى [23] فاستعمله النبى عاملا على مراد وزبيد ومزحج كلها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص [24]

---

(11) نفسه ٣٢٤/٤
(12) نفسه ٢٩/١
(13) الاصابة ٣٥٦/٣
(14) الاصابة ١٠٣/١
(15) الاصابة ٣٤٠/٣
(16) الاصابة ٢١١/٢
(17) الاصابة ٣٩/٣
(18) الاصابة ٣٨٢/١
(19) الاصابة ٥٨٦/٢
(20) الاصابة ٥٨٦/٣
(21) الاصابة ٥٥٧/١
(22) الاصابة ٣٥٤/٣

ليقوم على الصدقة ، هذا وقد جاء في كثير من الروايات ان سورة النصر نزلت في اهل اليمن عندما دخلوا في دين الله افواجا في مواكب متسالمة وجماعات متتابعة •

ولما أسلم بازان ـ كما سبق ان ذكرنا ـ ولاه الرسول صلى الله عليه وسلم على جميع مخاليف اليمن ، وقد اتخذ صنعاء حاضرة لولايته، وبقي بها حتى مات بعد حجة الوداع ، فقسم الرسول (ص) امر اليمن الى عشر عمالات عين عليها اشخاص منهم : شهر بن بازان على صنعاء ، وعامر بن شهر الهمداني على همدان ، وابو موسى الاشعري وخالد بن سعيد على نجران وزبيد ، وطاهر بن ابى هالة الاسدى التميمي على عك ، ويعلى بن منبه التميمى على الجند ، وعمرو بن حزم الانصارى وزياد بن لبيد على حضرموت ، وعكاشة بن ثور على السكاسك والسكون ومعه معاوية بن كندة •

وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى عماله فى اليمن عهودا جامعة لمعاني الشريعة في الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر الاحكام من الحلال والحرام والخاص والعام [٢٥] •

وعن علي بن ابى طالب رضى الله عنه قال : « بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن قاضيا وانا حديث السن ، فقلت : يارسول الله تبعثنى الى قوم يكون بينهم احداث ولا علم لي بالقضاء ، فقال الرسول (صلعم) : « ان الله سيهدى لسانك ويثبت قلبك » • قال علي : « فما شككت في قضاء بين اثنين » • وفي رواية اخرى « ان الله يثبت لسانك ويهدى قلبك » ثم وضع يده على فم علي •• قال ابن

---

(٢٣) الاصابة ٢/٢٠٥

(٢٤) الاصابة ١/٤٠١

(٢٥) بن سمرة ٢١ ـ ٢٢

عباس « علي أقضانا لقد اعطى تسعة اعشار العلم وانه لاعلم بالعشر الباقي » [٣٦] .

وتبين القصة الآتية حكمة علي في قضائه في اليمن . فقد جلس اثنان يتغذيان ومع احدهما خمسة أرغفة ، وجلس الآخر ومعه ثلاثة ارغفة . وجلس اليهما ثالث واستأذنهما في ان يصيب من طعامهما . فاذنا له ، فأكلوا على السواء ثم القى اليهما ثمانية دراهم وقال : هذا عوض ما أكلت من طعامكم . فتنازعا في قسمتها ، فقال صاحب الخمسة لي خمسة ولك ثلاثة . وقال صاحب الثلاثة : بل نقسمها على السواء . فلما اختلفا رفعا الامر الى علي . فقال لصاحب الثلاثة : الحق لك درهم واحد ولصاحبك سبعة ... قال : وكيف ذلك ؟ .. قال علي : لان الثمانية اربع وعشرون ثلثا لصاحب الخمسة ، خمسة عشر ثلثا ولك تسعة . وقد استويتم في الاكل فأكلت ثمانية وبقي لك واحد ، وأكل صاحبك ثمانية وبقي له سبعة وأكل الثالث ثمانية ، سبعة منها لصاحبك وواحد لك . فقال : رضيت الآن [٣٧] .

وعن البراء بن عازب [٣٨] قال : بعث رسول الله (صلعم) خالد ابن الوليد الى اهل اليمن يدعوهم الى الاسلام فكنت فيمن سار معه ، فأقام عليه ستة أشهر لا يجيبونه على شيء . فبعث النبي (صلعم) علي ابن ابى طالب سنة غشر للهجرة [٢٩] الموافق (٦٣١/٦٣٢م) الى اليمن وأمر بان يقفل خالد ومن معه فان اراد أحد ممن كان معه ان يبقى تركه .

قال البراء : « فكنت ممن بقي ، فلما قدم علي ، صلى بنا الفجر وبعدها صفنا صفا واحدا . ثم تقدم بين ايدينا ، فحمد الله واثنى عليه ،

---

(٢٦) نفسه ١٥ ؛ ابن كثير ١٠٤/٥ يقول : « ان ارسال علي لليمن كان قبل حجة الوداع اي في نهاية سنة عشر هجرية . »

(٢٧) رضا ٨٣ : محمد رضا : الامام علي بن ابى طالب (القاهرة ١٩٣٩ م)

(٢٨) الاصابة ١٤٢/١: ابن حجر العسقلاني: الاصابة في تمييز الصحابة (القاهرة١٣٢٣هـ)

(٢٩) الطبري ١٧٣١/٤

ثم قرأ علينا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد ، وكتب بذلك الى رسول الله (صلعم) ، فلما قرأ كتابه خر ساجدا ، ثم جلس وقال : « السلام على همدان ثم تتابع أهل اليمن على الاسلام » .

أما علي فقد أقبل بعد ذلك على الرسول (صلعم) بمكة ، واستخلف على جنده رجلا من اصحابه ، فقام ذلك الرجل فكسا رجالا من القوم حللا من البز الذى كان مع علي فلما دنا جيشه من مكة ، خرج علي ليلقاه ، فلما رآهم على هذا الحال قال : ويحك ماهذا ؟... قال : كسونا القوم ليتجملوا به ، اذا قدموا على الناس ، فقال علي : انزع من قبل ان تنتهي الى رسول الله (صلعم) فانتزع الحلل من الناس وردها . واظهر الجيش شكاية لما صنع بهم . فقام رسول الله خطيبا فيهم فقال : « يا ايها الناس ، لاتشكو عليا ، فوالله انه لاخشى في ذات الله ، او في سبيل الله » [30] .

وممن أرسلهم رسول الله (صلعم) الى اليمن بعددخول اهلها في الاسلام ، ابو عبدالرحمن معاذ بن جبل [31] بن عمرو بن أوس الخزرجى فأقره الرسول على القضاء فيها بعد مناقشة دارت بينهما [32]

ومنهم ابو موسى عبدالله بن قيس الاشعرى ، قال البخارى [33] : بعث رسول الله (صلعم) ابا موسى الاشعرى ومعاذ بن جبل الى اليمن وبعث كل واحد الى مخلاف وقال لهما : يسرا ولا تعسرا ـ وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا .... »

فانطلق كل واحد منهما الى عمله .وبدأ معاذ بصنعاء ، ثم ثنى

---

(٣٠) رضا ٣٠ ، وقال صاحب انباء الزمن ٨ : « وقبل عودته من اليمن عمر مسجدا بصنعاء عرف باسمه ، ديقول ابن الديبع ٥ : « ان عليا دخل عدن ابين وخطب على منبرها خطبة بليغة ، وذلك قبل عودته الى مكة »

(٣١) الاصابة ٣٨٨/٨

(٣٢) العينى على البخارى ٣٨١/٨

(٣٣) بن سمرة ٢٧

بالجند حيث بنى مسجده وقد بعثه الرسول معلما لاهل اليمـــــن وحضرموت • فكان اذلك ينتقل بين البلدين •

قال معاذ : بعثنى النبى (صلعم) الى اليمن وأمرنى ان آخذ مـن كل حالم من اليهود دينارا او عدله ، معافر [٣٤] •
كال حالم من اليهود دينارا او عدله ، معافر [٣٤] •

وقال له الرسول : انك تقدم على قوم في اليمن من أهل الكتاب ، وانهم اول ما يسألون عن مفتاح الجنة ، ماهو ؟ فقل : مفتاح الجنـة : لا اله الا الله ، وقفلها الشرك بالله عز وجل • فاذا قلت ذلك قبلوه منك وسمعوا واطاعوا ، انطلق يا معاذ ، واحسن فى القوم ذكرا ، وكن لطيفا رحيما [٣٥] واخبرهم بان الله قد فرض عليهم خمس صلوات ، في كـل يوم وليلة • فان هم اطاعوا بذلك فاخبرهم بان الله قد فرض عليهــم صدقة ، تؤخذ من اغنيائهم ، فترد على فقرائهم ، فان هم اطـاعــوا لك بذلك فاياك وكرائم اموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فان ليس بينهـا وبين الله حجاب •••

اما ابو موسى فقال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الــى ارض قومي (الى اليمن) ، فجئت ورسول الله (صلعم) منيخ بالابطح فقال : احججت يا عبدالله بن قيس (ابو موسى) ؟

قلت : نعم يا رسول الله

قال : كيف قلت ؟

قال ابو موسى : قلت لبيك اهلالا كاهلال رسول الله

قال الرسول : فهل سقت معك هديا ؟

قال ابو موسي : لم اسق

قال الرسول : فطف بالبيت ، واسع بين الصفا والمروة ، ثم حل •

---

(٣٤) المعافر (الثياب المنسوبة الى مخلاف المعافر الذي اشتهر بصنعها)

(٣٥) بن سمرة ١٧ ـ ١٨ ، (ومعاذ بن جبل من الخرج وقد توفى بالشام فى طاعـــون عمواس بناحية الاردن سنة ١٨ هـ وكان عمره ٣٨) (نفسه ٤٤)

قال ابو موسى : ففعلت [٣٦]

ومنهم جرير بن عبدالله البجلى ، وقد ارسله الرسول (صعلم) الى ذي الكلاع الحميري [٣٧] من اقيال اليمن • فأسلم وأسلمت زوجته صريمة بنت ابرهة •••

وروى جرير قال : كنت لا اثبت على الخيل، فذكرت للنبى (صلعم) ذلك ، فضرب بيده على صدرى حتى رأيت أثر يده في صدرى ، وقال : اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا •• قال جرير : فما وقعت عن فرس بعد••

واستمر جرير يحكى فقال : وكان ذو الخلصة (بيتا فى اليمن لخثعم وبجيلة) فيه نصب تعبد يقال له الكعبة اليمانية ، فقال لي رسول الله (صلعم) : هل انت مريحى من اذى الخلصة ؟ فنفرت اليه في خمسين ومائة فارس من احمس [٣٨] فكسرناه وقتلنا من وجدناه عنده ، وبعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجلا يدعى ارطأة يبشره بذلك فقال : والذي بعثك بالحق نبيا ما جئت حتى تركتها كأنها جبل أجرب ، فبرك النبي (صلعم) على خيل أحمس ورجالها خمس مرات [٣٩] •

وقد اورد الامام مسلم بن حجاج في الطبقات أسماء الرواة من اهل اليمن ، عن الرسول (صلعم) فقال منهم ابو عامر الاشعري [٤٠] واسمه عبيد بن وهب ، وهو عم أبى موسى الاشعرى ، ومنهم كعب بن عاصم الاشعرى [٤١] ، والحارث الاشعرى ، وابيض بن حمال المأربى ، وفروة بن مسيك المرادى ، وهؤلاء صحابيون يمانيون • وهم فقهاء اليمن في زمن رسول الله (صلعم) [٤٢] •

---

(٣٦) نفســه ٢٤

(٣٧) الاصابة ٢٣٢/١

(٣٨) قبيلة تنسب الى احمس بن غوث بن انمار

(٣٩) العينى على البخارى : ١١٢/٧ ، مسلم : ٣٥١/٢

(٤٠) الاصابة : ٤٤٧/٢

(٤١) نفســه ٢٥

(٤٢) بن سمرة : ٢٥

(ثانيا) ـ اليمن في عهد الخلفاء الراشدين

أ ـ في عهد أبى بكر الصديق

فتنة الاسود العنسي (١) :

وبينما عمال الرسول صلى الله عليه وسلم يطلع كل منهم بمهمته في عمالته اذ جاءتهم كتب من الاسود العنسي القحطاني ينذرهم فيها ان يردوا ما بأيديهم فهو اولى به وكانت تلك اول ظاهرة لفتنة العنسي باليمن ...

وكان الاسود كاهنا يقيم بجنوب اليمن وكان مشعبذا يصطنع فنونا من الحيل ويستهوى الجماهير بعباراته المنمقة ، ولقد تنبأ ، ولقب نفسه (رحمان اليمن) (١) أي الذي ينطق باسم الرحمان . وكان يزعم ان له شيطانه يوقفه على كل شيء : على خطط اعدائه وعلى ما يخفيه الناس في صدورهم . وكان يقيم بكهف (خبان) في بلاد مذحج ، وقد سحر بعذب حديثه جماعة من العوام حيث فتنت بما يزعم من حديث شيطانه .

نهض الاسود على رأس هذه الجماعة بعد ان اعلن الفتنة وسار الى نجران فأجلى (٢) عنها خالد بن سعيد ، واليها من قبل الرسول وانضم عدد كبير من أهل نجران الى الاسود ، بعد ما بهرتهم انتصاراته وساروا معه الى صنعاء حيث قتل شهر بن بازان وشتت جنده ، وفر من صنعاء من المسلمين ، وفي مقدمتهم الصحابى الجليل معاذ بن جبل واتجه الى المدينة . اما الاسود فقد تمت له الغلبة وصار اليه ملك اليمن واسلم الناس لامره ورأيه .

---

(١) ينسب الى قبيلة عنس بن مالك بن أدد ، وهو حي من مذحج (راجع النويري) نهاية الارب ٣٧٩/٣)

(٢) الطبرى ١٨٥١/٤ ، ابن الاثير ١٢٢/٥

والآن نقف قليلا لنناقش هذه الحادثة التاريخية بشيء من التحليل ، لكي نقف بوضوح على حقيقة انتصار هذا النبي الكذاب (رحمان اليمن) •

لقد تعجب حين تعلم ان الاسود لقى شهر بن بازان بصنعاء وليس معه الا سبعمائة فارس • منهم من خرج معه من مذحج ومنهم من انضم اليه من نجران • وبهذا العدد القليل انتصر الكاهن المشعبذ على اهل هذه الاصقاع ، واستطار أمره بينهم كالحريق ، ولم تجد قوة منهم الى مقاومته سبيلا •

ولعلك اذ تلتمس لذلك تأويلا تجده في ان هذه البلاد كانت لحكم الفرس ثم خضعت من بعدهم للمسلمين من اهل الحجاز ، ونحن نعرف ماكان بين اليمن والحجاز من خصومة قبل الاسلام ترجع الى اقدم الحقب ، واصل هذا العداء ـ على ما يظهر ـ هو مابين البداوة والحضارة من نزاع طبيعي وكان توالى الحروب يقوي روح الشر بينهم، وبدل على هذا ماكان من العداء الشديد بين اهل المدينة : الاوس والخزرج ـ وهم يمنيون ، واهل مكة وهم عدنانيون وكان بين القوم حزازات ومفاخرات [٣] •

فلما قام هذا العنسي يسترد اليمن لأهل اليمن كان الاسلام لم تتعمق جذوره بعد في نفوس المسلمين هناك ـ لم يجد من يقاومه • ولم يجد الفرس أنصار شهر وابيه ولا وجد المسلمون ـ ابناء الحجاز ـ نصيرا من اهل البلاد يدفع عنهم كيد النبى الكذاب •

ولعلك واجد هذا التأويل ايضا في ان هذه البلاد كانت مسرحا لاديان مختلفة : كانت فيها اليهودية والنصرانية والمجوسية وكانت هذه الاديان تجاور فيها اصنام العرب وعبادتهم ، ثم كان الاسلام الحديث ، الذي لم تقو اصوله في نفوس من أسلم منهم • فلما قام ذلك المتنبى فيهم، يدعوهم اليه ويهيب بقوميتهم ، ويزعم انه يطرد الاجانب من بلادهم ،

---

(٣) أحمد امين : فجر الاسلام ص ٦ (امين / ف)

اسرعوا اليه ملبين دعواته فلم يكن امام المسلمين الا الفرار ، ولم يكن امام البقية من الفرس الا الاذعان او الموت .

بلغت هذه الانباء الرسول صلى الله عليه وسلم [٤] ، وهو يعد العدة لغزو الروم ، وللانتقام من غزوة مؤته تعزيزا لهذا الجانب المحفوف بالخطر من جوانب جزيرة العرب وكان لذلك يجهز جيش اسامة ابن زيد ...

وكان التفكير والتدبير ... أفيصرف هذا الجيش الى اليمن ليسكن ثائرتها ويرد على المسلمين هيبتهم ام يستعين على هذا الكذاب بمن كان باليمن من المسلمين ، فان قدروا عليه فذاك ، والا كان انتصار جيوش المسلمين على الروم ، والروم قد غلبوا الفرس من زمن غير بعيد — جدير بان يعيد الامر في شبه الجزيرة الى نصابه . فان لم يعد ، وجه الرسول صلى الله عليه وسلم جيشه ليقمع الاسود وغيره من الخارجين .

هذا الرأي الاخير ، هو ما اطمأن اليه قلب الرسول (صلعم) ، لذلك بعث وبر بن يحنس بكتاب الى زعماء المسلمين باليمن يأمرهم فيه بالقيام على دينهم والنهوض في الحرب والقضاء على الاسود اما غيلة واما مصادقة وان يستعينوا على ذلك بمن يرون عنده نجدة ودينا ، واكتفى الرسول صلى الله عليه وسلم من أمر اليمن بهذا . وجعل كل همه تنظيم جيش اسامة والتغلب على الروم .

مرض الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك مرضا وقف بسببه جيش اسامة عن المسيرة . اما الاسود العنسي فأخذ يستمتع بنصره وينظم ملكه ويقيم القواد على الجيوش والعمال على الامارات . وبذلك ثبت ملكه واستغلظ امره ... فاستعمل على جنده قيس بن عبد يغوث ،

---

(٤) ابن الاثير : الكامل ٢/٢٢٨

وجعل وزيريه فيروز وداذويه الفارسيين ثم انه تزوج آزار زوجة شهر بن بازان وكانت ابنة عم فيروز • وبهذا وبذاك انضم العرب والفرس من اهل البلاد ــ تحت لوائه •

فلما رأى من تعاظم شأنه ما رأى خيل اليه ان الارض دانت اليه ، فلم يبق له الا ان يأمر فيطاع • على ان العوامل التي ادت الى انتصاره تضافرت من بعد على الائتمار به ، وذلك انه لما استغلظ امره ، واثخن في الارض ، استخف بقيس وبفيروز وداذويه وجعل يرى في الاخيرين وفي سائر النفوس من تنطوى ضلوعهم على المكر به ، وعرفت امرأته الفارسية ذلك منه فثار في عروقها دم قومها ، وتحركت فى نفسها عوامل الحقد ، على الكاهن القبيح ، قاتل زوجها الشاب الفارسي الذي كانت تحبه من اعماق قلبها • ولقد استطاعت بسجيتها النسوية ان تخفي ذلك عنه وان تسخو في البذل له من انوثتها سخاء جعله يركن اليها ويطمئن الى وفائها له ولكنه شعر بان الرجال ــ الذين حوله ــ وزيريه وقائد جيشه ــ لا يضمرون له من الولاء ما يراه حقا عليهم لولى نعمتهم •

واذا الجيش اشد ما يحذر ويخاف فقد دعا اليه قيس بن عبد يغوث وانبأه ان شيطانه أوحى اليه قائلا : « عمدت الى قيس فأكرمته ، حتى اذا دخل منك كل مدخل وصار في العز مثلك ، مال ميل عدوك ، وحاول قتالك واضمر على الغدر » •

واجاب قيس « كذب وذى الخمار ، لانت اعظم في نفسي واجل عندى من ان احدث بك نفسي » •

واجال الكاهن نظره في قيس ، من مفرق رأسه الى اخمصه وقال له : « ما اجفاك ، اتكذب الملك ؟ لقد صدق الملك ، وعرفت الآن انك تائب مما اطلع عليك منك »

وخرج قيس من عنده وكله ريبة فيما يضمر له • ولقى فيروز وداذويه وذكر لهما ماجرى اليه بينه وبين الاسود ، وسألهما رأيهما :

فقالا : نحن في حذر • وانهم فى ذلك اذ ارسل الاسود اليهما يحذرهما مما يأتمران مع اصحابهما به • وخرجا من عنده ولقيا قيسا وهم جميعا في ارتياب وعلى خطر عظيم ••

واتصل نبأ ما جرى ببلاط الاسود ، بمن بقى من المسلمين باليمن، او على مقربة منها ، وذكروا رسالة النبي لهم فأرسلوا الى قيس واصحابه انهم واياهم على رأي واحد في أمر الاسود ، وعرف المسلمون الذين اقاموا بنجران وبغيرها من تلك الانحاء بهذه الانباء • فكتبوا الى زملائهم القريبين من الاسود ، انهم ورجالهم طوع امرهم في قتاله ، واستمهلهم زملاؤهم ، وطلبوا اليهم ان يلزموا اماكنهم ، والا يقوموا بامر يدعو لريبة فيهم او ينبه أصحاب الاسود لهم •

وانما كان ذلك رأى المقيمين على مقربة من الاسود ، لانهم رأوا اخذه غيلة ادنى الى النجاح من محاربته ، خاصة وان آزار زوجه دخلت في مؤامراتهم وان تظاهرت له بالحب ، اعظم الحب وطوع لها اتصالها بفيروز ، وداذويه ، وقيس ان تدبر واياهم امر اغتياله ••• دلتهم على حجرة نومه ، واظهرتهم على ان القصر الذي يقيم به معها حوله الحرس من كل ناحية الا من خلف هذه الحجرة فليثقبوها اذا كان الليل وليدخلوا من النقب وليقتلوا غريسهم فان فعلوا فقد تخلصوا وخلصوها منه •

وقد فعلوا ، فلما كان الفجر تنادوا بشعارهم الذى اتفقوا مع اصحابهم عليه ثم نادوا بآذان الاسلام وقالوا : نشهد ان محمدا رسول الله • واعبهله ــ وهو اسم العنسي ــ كذاب ، والقوا اليهم برأسه • واحاط بهم حرس القصر وتنادى الناس في المدينة فخرجوا فى عماية الصبح واضطرب الامر ثم استقر على ان يتولاه قيس وفيروز وداذويه• وكان لآزار في استقراره كما كان لها في اضطرابه من قبل اكبر الاثر •

والآن نتساءل هل قتل العنسي قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ام بعده ؟ ذلك ما اختلفت المؤرخون فيه فيقول بعضهم : اما

الاسود بن عنزه العنسي فقد كان تنبأ ، على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلما بويع ابو بكر ظهر امره واتبعه على ذلك قوم فقتله قيس بن مكشوح المرادى وفيروز الديلمى . دخلا عليه منزله وهو سكران فقتلاه [٥] .

اما الطبرى [٦] وابن الاثير فيذكران انه مات قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا هو الارجح وانه صلوات الله وسلامه عليه اوحى اليه بذلك ليلة حدوثه فقال : قتل العنسي ، قتله رجل مبارك من اهل بيت مباركين قيل من قتله ؟ قال : فيروز .

وتجري الرواية بأن فيروز قال : لما قتلنا الاسود عاد امرنا كما كان . وارسلنا الى معاذ بن جبل ، فصلى بنا ونحن راجون مؤملون ولم يبق شيء نكرهه الا تلك الخيول من اصحاب الاسود . ثم جاء موت النبي صلى الله عليه وسلم فانقضت الامور واضطربت الارض [٧] .

وهكذا قتل (رحمان اليمن) النبى الكذاب ، وعادت اليمن مرة ثانية الى حظيرة الاسلام :

« اما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيبقى في الارض »

اثر الفتنة على الردة في اليمن :

تقول الروايات ان خبر قتل الاسود العنسي غيلة في مؤامرة اشتركت فيها زوجته آزار وصل الى المدينة المنورة ، يوم وفاة لنبي

(٥) يقول ابن الاثير ان الاسود قتل في عهد ابى بكر جـ٢/١٦٥ ثم يعود فيقول : انه قتل في عهد الرسول (ص) جـ٢ ص ٢٣٠ ، ويقول آخرون انه قتل في عهد ابى بكر منهم احمد فريد رفاعى : الشخصيات البارزة في التاريخ جـ١ ص ١٦٨ ، اما انه قتل وهو سكران فقد ذكر ذلك البلاذرى : فتوح البلدان ص ١١١

(٦) سيرة ابن هشام جـ ٢٤٦/٤ ، الطبرى : الرسل والملوك جـ ٤ ص ١٨٥١ ، ١٩٨٣ ابن الاثير جـ٢ ص ٢٣٠ ، ٢٥٤ ، البلاذرى فتوح البلدان ص ١١١ يقول (ان مقتل العنسي كان قبل وفاة الرسول بخمسة ايام) .

(٧) ولم تطل مدة ظهور العنسي ــ حتى قتل ــ اكثر من اربعة اشهر (ابن عبد البر : الاستيعاب القسم الثالث ــ ص ١٢٦٥ ، تاريخ ابن الوردى ١٤٠/١)

صلى الله عليه وسلم ، فأقام الخليفة ابو بكر فيروز واليا على اليمن ، لكن ذيوع نبأ وفاة النبي ، اعاد الفتنة لليمن ، وزاد الثورة اشتعالا واستعارا وتضافرت عوامل كثيرة لهذا ...

واول هذه العوامل ، هي تفرق السلطة في هذه الانحاء تفرقا اضعفها ، فمذ مات بازان وزعت السلطة بين ابنه شهر بصنعاء وجماعة من المسلمين بنجران وهمدان وغيرها ، فكان ذلك مشجعا للعنسي على الانتفاض والثورة .

وكان طبيعي بعد ان اخفقت ثورة العنسي ، ان يحاول كل واحد من هؤلاء الحكام العودة الى امارته واسترداد السلطان فيها ، وان يقاتل في سبيل ذلك ما اطاق القتال . وكان طبيعي كذلك الا يهدأ انصار العنسي وان يعملوا جهدهم ليثيروا الارض ، لعل الامر يعود اليهم كما كان للاسود . اما وقد توفى النبى (صلعم) وانتشرت فى بلاد العرب كلها فكرة الردة ، وصح لكل قبيلة ولكل فخذ من قبيلة ، ان يطمع في استقلاله القديم ، فقد بلغ الاضطراب غايته في اليمن وما حولها من البلاد التي كانت مسرحا لنشاط العنسي وانصاره .

والذي حدث ان هؤلاء الانصار لم تهدأ بموت العنسي ثائرتهم ، بل جعل فرسانهم يجوبون البلاد ، فيما بين نجران وصنعاء . لا يأوون الى احد ، ولا يأوى اليهم احد . وكان عمرو بن معد كرب ، البطل الشاعر ، ممن انتهزوا هذه الفرصة فحاول اقتناص السلطان عن طريق الثورة ، وكان على رأس من ائتمروا بقتل العنسي [8] ، فطرد فيروز عن الملك وطرد معه دازويه ، وبذلك عم الاضطراب وتعذر رد السكينة الى هذه الارجاء .

وكيف السبيل اذن الى معالجة الحال ؟

ان اول ما يجب عمله هو تأمين الطريق بين المدينة المنورة واليمن، وقد قامت قبائل عك وبعض الاشعريين على هذا الطريق الذي بساحل

(٨) ابن الاثير جـ٢ ص ٢٣٠

البحر فقطعوه مستعينين بمن انضم اليهم من الاوزاع • واقرب مدن المسلمين الى هذا الطريق هي الطائف • لذلك كتب واليها الطاهر بن ابى هالة الى أبى بكر وسار اليهم في جيش قوى ، ومعه مسروق العكى • فلما لقيهم أكثر القتل فيهم حتى قيل ان الطريق تعطل بجثثهم • وكتب ابو بكر الى الطاهر قبل ان يأتيه نبأ هذا الفتح يشجعه ومن معه على القتال ويأمرهم بان يقيسوا الاعلاب [9] حتى يأمن طريق الاخابث • ومن ثم سميت جموع عك هذه جموع الاخابث • وظل هذا الطريق يسمى طريق الاخابث زمنا طويلا •

اما العامل الثاني الذي زاد الثورة في اليمن استعارا ، فالخلاف في الجنس • فقد اقام ابو بكر — فيروز — على صنعاء واقام شهر حين قتل الاسود • وكان شركاء فيروز فى قتل الاسود هم : دازويه (وزير شهر) وحشنس (صاحبهما) وقيس بن عبد يغوث (قائد الجند) •••

وكان فيروز ودازويه وحشنس من الفرس • وكان قيس عربيا من حمير ، لذلك نفس قيس على فيروز ، اذ اسند اليه ابو بكر من دونه، وعزم قتله ، لكنه رأى حين أمعن النظر ان قتل فيروز ، تبين ان يجر الى فتنة يقاومه فيها الابناء جميعا [10] واذا لم يستنفر قيس عرب اليمن جميعها للقضاء على الفرس جميعا ، كان حريا ان يصيبه ما اصاب الاسود من الاخفاق وان يفقد حياته كما فقد الاسود حياته من قبل ، لذلك كتب لذى الكلاع الحميرى واضرابه من زعماء العرب باليمن يقول : « ان الابناء نزاع في بلادكم ونقلاء فيكم وان تتركوهم لن يزالوا عليكم وقد ارى من الرأي ان اقبل رؤوسهم وان اخرجهم من بلادنا فتبرأوا » •

ولكن ذا الكلاع واصحابه لم يمالئوه ولم ينصروا الابناء بل اعتزلوا وابلغوا قيسا بقولهم : « لسنا من هذا في شيء ، انت صاحبهم

(10) والابناء هم طائفة الفرس • التي استقرت باليمن منذ حكمها الاكاسرة وقد كبرت هذه الطائفة وعلت مكانتها حتى اصبح الحكام منها (لسان العرب مادة (بنى) المجلد ١٤ ص ٩١ (١٩٥٦) ، الابناء ، الطبرى ج ٤ ص ١٩٩٠)

وهم اصحابك » •

ولعلهم كانوا يمالئون قيسا وينصرونه على الابناء لولا انهم رأوا ابي بكر والمسلمين يمالئون هؤلاء ويكلون الامر اليهم ، ورأوا الابناء يحتفظون باسلامهم وبالولاء لابى بكر وسلطان المدينة • مالهـم اذن والخلاف لايدرى احد ما تكون نتائجه وبخاصة بعد ان سرت الردة في اليمن فاصبحت معرضة لجيوش المسلمين ، وبعد ان تجاوبت ارجاء شبه الجزيرة جميعا بنبأ هذه الجيوش ويسير النصر في ركابها اينما حلت •

لم يثن قيسا عن عزمه قعود ذى الكلاع واصحابه عن نصرته ، بل كاتب العصابات التي كانت مع الاسود سرا ، والتي كانت تصعد في البلاد وتصوب محاربة جميع من خالفهم ، وطلب اليهم ان ينضموا اليه ليكون امره وامرهم واحدا ، وليجتمعوا على نفي الابناء من اليمن • ولم يكن في ريب من اجابة هذه العصابات طلبته ، ألم تكن هي طلبة الاسود ؟ وعلى اساسها انتصر ؟؟

وكتبت العصابات بالاستجابة اليه واخبروه انهم اليه سراع • ولما كان ذلك كله قد حدث سرا فقد فجأ صنعاء خبر دنو هذه العصابات منها فاجتمع اهلها يتشاورون ماذا يصنعون ؟

واسرع قيس الى فيروز وكأنما فاجأه الخبر فازعجه واستشاره واستشار دازويه ليخدعهما ، ولئلا يتهماه ، ودعاهما في الغد كما دعا حشنس معهما الى طعام الغذاء • واقبل دازويه قبل صاحبيه ، فلم يلبث حين دخل على قيس ان عاجله فقتله • اما فيروز فجاء بعد صاحبه، فسمع الهمس باصحابه ففر بركض ، ولقيه حشنس فى طريقه ، فركض معه يطلبان النجاة ، وركضت خيل قيس تلاحقهما ، فلم تدركهما •• فعادت ادراجها تستنزل غضب قيس عليها • وبلغ الفارسان خيل خولان ـ منزل اخوال فيروز ـ ولا يكادان يصدقان انهما صارا من الهلاك بنجاة ••

وثار قيس بصنعاء (11) فدانت واطمأن له الامر فيها كما اطمأن

(11) الطبري : ج ٤ / ١٩٨٩

للاسود من قبل ولم يدر بخاطره ان احدا سيقدر عليه فينزله عن عرشه ...

بلغه ان فيروز يزعم انه سيستعين بابى بكر ويهاجم قيسا بقوة من بني خولان ، فسخر وقال : وما خولان ؟ وما فيروز ؟ وما قرار آووا اليه ؟

وانضم اليه عوام القبائل من عرب حمير وان بقى الرؤساء في عزلتهم . واذ آنس من نفسه القوة ، عمد الى الابناء ففرقهم ثلاث فرق، واما من اقام منهم ولم يظهر الميل الى فيروز ، فأقرهم واقر عيالهم ، واما من نفر الى فيروز ، فقسم عيالهم فرقتين : وجه احداهما الى عدن ليحملوا في البحر ، ووجه الاخرى في البر الى العراق ، وأمر بهم ان ينفوا الى بلادهم والا يقيم باليمن منهم احد . (١٢)

وعرف فيروز ما اصاب بني جلدته ، فاستنهض القبائل التي بقيت على اسلامها لينصروه . وانما فعل ذلك ليصد بعصبية الدين نعرة الوطن ، واجابه بنو عقيل بن ربيعة ، كما اجابته عك ، وساروا يستنفرون عيال الابناء الذين قرر قيس نفيهم . وخرج فيروز على رأسهم ، فرد ابناء فارس والتقى بقيس دون صنعاء فأجلاه عنها ، وعاد اميرا عليها من قبل خليفة المسلمين ، وخرج قيس هاربا في جنده ، وعاد الى المكان الذى كانوا به حين مقتل العنسي فقضى بفراره على الفكرة القومية التي كانت اساس دعوته .

لكن انتصار فيروز وعودته الى الامارة لم يوطد السلم ولم يعد الامن فيما وراء صنعاء من ربوع اليمن . فقد بقى المرتدون بها اشد ما يكون تحمسا لردتهم ، وهنا موضع الكلام عن العامل الثالث من العوامل التي زادت الثورة في اليمن استعارا . فلم تنس اليمن والحجاز في عهد الرسول حروب تنكس تائجها رؤوس حمير ولئن دوى في انحاء

---

(١٢) ابن الاثير : الكامل جـ٢ ص ٢٥٥

اليمن نصر خالد وعكرمة على قبائل العرب وملوكهم . لقد كـــان في عشائر اليمن من الابطال والقواد من تفاخر بهم هذين البطلــــــين الحجازيين ولمن تهتز لسماع اسمائهم صناديد العرب فرقا ، وحسبك من هؤلاء عمرو بن معد كرب صاحب الصمصامة . (١٣) لقد كان فارس بني زبيد وحاميهم . اذا ذكر اسمه فزع الابطال وهابوا لقاءه . وكـان له من بعد في وقائع الفتح الاسلامي ، على عهد عمر بن الخطاب مواقف لايزال التاريخ يذكرها ولم يغير تقدم سنه يومذاك من شدة بأســـه . شهد واقعة القادسية وقد جاوز حد المائة فكان له فيها بلاء احســـن البـــلاء .

قام عمرو بالثورة مع من تابعه وانضم اليه قيس بن عبد يغـوث وتضافر الرجلان يعيثان في انحاء البلاد الفساد ، ويجدان من اهلهــا عونا ومددا ، ولم يبق منها غير نجران التي ثبتت بمن فيها من نصارى على عهد لمحمد ، ثم اكدت نياتها بتجديد هذا العهد مع ابى بكر ..

أفيذر المسلمون البلاد وذلك شأنها يعيث بها هذان الثائران ومـن سار سيرتهم ، حتى يأكل بعضها بعضا ، وتأكل الثورة ابناءها .. كـلا بل سار عكرمة بن ابى جهل من مهرة باليمن حتى ورد ابين في جيشـه من اللجب ، زاده المنضمون من مهرة عددا وعدة . وسار المهاجر بن ابى امية منحدرا من المدينة الى الجنوب مارا بمكة والطائف في اللواء الذى عقده ابو بكر له ، وكان قد تأخر عن السير بضعة اشهر لمرضه . واتبعه من مكة والطائف فنجران رجال لهم في الحرب دراية وشهرة . فلمـــا سمع اهل اليمن بمقدم هذين القائدين عكرمة والمهاجر — وبأن المهاجر قتل قوما حاولوا مقاومته ، ايقنوا ان ثورتهم مقضى عليها لا محـــالـة وأنهم ان قاتلوا قتلوا واسروا ولن تغنى عنهم المقاومة شيئا . ولقــد بلغ بهم الامر ان اختلف قيس وعمرو بن معد كرب ، وتهاجيا واضمر

---

(١٢) الطبري جـ ٤ ص ١٩٩٧

كل لصاحبه الغدر [١٤] ، وذلك بعد ان كانا متحالفين على لقاء المهاجر وقتاله • واراد عمرو ان ينجو بنفسه فهاجم قيسا ذات ليلة واخذه الى المهاجر اسيرا ، عند ذلك قبض المهاجر [١٥] عليهما جميعا وبعث بهما الى ابي بكر ليرى فيهما رأيه [١٦] •

وهم ابو بكر بقتل قيس قصاصا لدازويه وقال له : « يا قيس أعدوت على عباد الله تقتلهم وتتخذ المرتدين والمشركين وليجة من دون المؤمنين » •

وانكر قيس قتل دازويه ولم تكن عليه بينة ، اذ تم هذا القتل في سر من الناس ، لذلك تجافى ابو بكر عن دمه ولم يقتله • ونظر ابو بكر الى عمرو بن معد كرب وقال له : « اما تخزى انك كل يوم مهزوم او مأسور ، لو نصرت هذاالدين لرفعك الله ؟ » •• قال عمرو : لا جرم لافعلن ولن اعود •• [١٧]

واخلى ابو بكر سبيلهما وردهما الى عشائرهما • اما المهاجر فقد سار من نجران حتى نزل صنعاء وامر جنده ان يتعقبوا العصابات المرتدة والمتمردة التي اثارت الفساد في الارض فى عهد الاسود ، وان يقتلوا من ثقفوه منهم ، لا يقبلون منه توبة ولا انابة ، وانما تقبل توبة من اناب من غير المتمردة •••

اما عكرمة فقد بنى في جنوب اليمن بعد ان استبرأ النخع وحمير وبذلك عادت اليمن كلها آمنة مطمئنة ، ورجع اهلها لدين الله الحق ،

---

(١٤) الطبري : ١٩٩٦/٤

(١٥) المهاجر بن ابى أمية وهو أخ ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان عتب عليه النبي في تخلفه عن تبوك فتلطفت ام سلمة بالنبي ، فرات منه رقة عليه فارسلته اليه ، فقدره الرسول وامره على كندة ، فمرض في حياة الرسول ، ولم يطق الذهاب الى حضرموت . فكتب النبي الى زياد بن لبيد ليقوم فى عمل المهاجر ، فأمره ابو بكر على ذلك وعلى سائر اليمن في قتال المرتدين مع بقاء معاذ وسائر عمال النبي • ولما سار المهاجر لقتال المرتدين بدأ بنجران فانضم اليه فروة بن مسيك المرادى (بن سمرة ٣٥) •

(١٦) ابن الاثير جـ٢ ص ٢٥٦

(١٧) الطبرى جـ٤ ص ١٩٩٩

وأصبح لم يبق من المرتدين في شبه الجزيرة العربيـــة الا حضرموت وكنـــدة ..

وقبل ان نسير مع عكرمة والمهاجر للقاء المرتدين يهمنا ان ندفع شبهة قد ترد الى بعض النفوس حين يذكرون ما حدث باليمـــن فكيف نصر الخليفة ابو بكر الفرس على العرب ؟؟ وكيف ناصر فيروز ومن معه على قيس ومن تبعه ؟

اننا نعلم بان الاسلام لا يفرق بين العربي والعجمي الا بالتقـــوى وان اكرم الناس عند الله اتقاهم ، على ان ذلك لم يكن وحده هو الذى دعا ابا بكر لنصرة فيروز ، بل دعاه الى نصرته كذلك ان الفرس كانوا اول من أسلم باليمن ، والسابقة في الاسلام لها قدرها ، ثم ان العـــرب من اهل هذه البلاد هم الذين قاموا بالثورة على الدين الجديد ، قـــام بها الاسود العنسي مدعيا النبوة في عهد الرسول ، وقام بهـــا انصار الاسود من بعده وفي جملتهم عمرو بن معد كرب ثم قيس بـــن عبـــد يغـــوث .

اما بازان وشهر وفيروز والفرس من حولهم فهم الذين قامـــوا بالدعوة الى الاسلام فى هذه الربوع وهم الذين استمسكوا به وقاوموا خصومه . وهم الذين اقاموا على الولاء لسلطان المدينة ولخليفة رسول الله حينما ارتدت العرب كلها ، وتضرمت الارض في شبه الجزيرة نارا . لا عجب اذن ان يؤيد ابو بكر فيروز بسلطانه ، وان يسده بجنده وقواده ، وان يقيمه اميرا على صنعاء كما اقام النبي شهرا اميرا عليها ، وكما اقام اباه بازان اميرا على اليمن كله من قبله .

والآن فلنخط الخطوة الاخيرة في حروب الردة في جنوب الجزيرة ولننتقل مع المهاجر وعكرمة الى كندة والى حضرموت . ونذكر تمهيدا لذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وعماله على هذه البلاد : زياد بن لبيد على حضرموت وعكاشة بن محض على السكاســـك

والسكون ، والمهاجر بن ابى أمية عى كندة • وقد رأينا ان المهاجر كان مريضا بالمدينة (١٨) فلم يخرج الى عمله بكندة ، ولا خرج في لوائه الى المرتدين فى اليمن الا بعد اشهر من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، لذلك اناب عنه زياد بن لبيد في عمله منذ استعمله الرسول على كندة ، الى ان خرج فى جيشه الى اليمن • واستطاع زياد ان يتغلب على المتذمرين في كندة بمن ناصره من رجال السكون ، الذين حافظوا على اسلامهم ، وعلى ولائهم فلم يخرج عليه منهم احد • فلما مات النبي وفشت الردة في العرب ، اراد زياد قمعها قبل ان يستفحل في امارته امرها ، وشجعه على ما اراد ان التفت حوله القبائل التي بقيت على اسلامها ، ودفعوه لمقاتلة المرتدين • فهاجمهم زياد في غفلة منهم فقتل رجالهم وسبا نساءهم وسار بهن وبالاموال في طريق يقضي على عسكر الاشعث بن قيس زعيم كندة • وكان بين اولئك النسوة ذوات مكانة في قومهن لم يعرض قبل ذلك اليوم الا العزة والكرامة فلما مررن بالاشعث نادينه منتحبات « يا اشعث يا اشعث خالاتك •• خالاتك » هنالك حركت النخوة العربية شهامة الاشعث فاقسم لينقذهن او يموت دونهن •• •

وكان الاشعث زعيما قويا محبوبا من قومه عظيم المكانة فيهم فلا عجب ان غضب قومه لغضبه وان يخرجوا مقاتلين معه حتى استردوا السبى ، وردوا اليهم عزمهن وكرامتهن ، ويومئذ اثارها الاشعث – في كندة وحضرموت – ضروسا شعواء حتى خاف زياد مغبتها ، فكتب الى المهاجر بن ابى أمية يستنصره (١٩) ، وكان المهاجر قد انحدر من اليمن ، كما انحدر منها عكرمة للقضاء على ما بقى من الردة في شبه الجزيرة ، وسار المهاجر من صنعاء وسار عكرمة من اليمن وعدن والتقيا بمأرب وقطعا معا مفازة صيهد • وعرف المهاجر ما اصاب زياد

---

(١٨) ابن الاثير : الكامل جـ ٢ ص ٢٥٧

(١٩) نفسه جـ ٢ ص ٢٥٩

فاستخلف عكرمة على الجيش حتى اذا التقى بجيش زياد هاجم الاشعث فهزمه وقتل رجاله • وفر الاشعث والناجون معه فالتجأوا الى حصن النجير حيث ضيقت عليهم الخناق فيه ، جيوش المهاجر وعكرمة • وايقن اهل الحصن حين رأوا المدد لاينقطع عن المسلمين ، ان القضاء نازل بهم لا محالة فتولاهم اليأس وخشعت نفوسهم وخافوا الموت • وخاف الرؤساء على انفسهم فهانت عليهم نخوتهم • فخرج الاشعث الى عكرمة ليستأمن له المهاجر على نفسه وعلى تسعة من اهل بيته ، على ان يفتح للمسلمين الحصن ويخلي بينهم وبين من فيه • واجابه المهاجر الى طلبه فأمن التسعة وليس بينهم الاشعث لانه نسى كتابة اسمه ، وفتحت ابواب الحصن للمسلمين فاقتحموه ولم يدعوا فيه مقاتلا ، الا ضربوا عنقه وسبوا النساء ممن كانوا في النجير ، فكانت عدتهم الف امرأة • ووضع المهاجر الحرس على الاسرى والمال حتى يحصيها ويبعث بالخمس الى المدينة •

اما الاشعث فان المهاجر بعد ان اطلق سراح التسعة المذكورين في القائمة شد وثاق الاشعث وهم بقتله وقال له : « الحمد لله الذى خطأك يا اشعث قد كنت اشتهي ان يخزيك الله » ، على ان عكرمة بن ابى جهل تدخل في الامر وقال : « أخره وابلغه ابا بكر فهو اعلم بالحكم في هذا ، وان كان رجلا نسيءاسمه ان يكتبه وهو ولي المخاطبة أفذلك يبطل ذاك • وأخره المهاجر لا عن رضا ، وبعث به الى ابى بكر مع السبى [٢٠] فجعلوا يلعنونه ويلعنه المسلمون طوال الطريق •

وتحدث ابو بكر الى الاشعث فانبه على ما صنع وسأله : « ماترانى صانعا بك ؟ » واجاب الاشعث : « انه لاعلم لي برأيك وانت اعلم به » •• قال ابو بكر : « فاني ارى قتلك • » قال الاشعث : « فاني انا الذي راوضت القوم بما يحل دمي •• »

---

(٢٠) الكامل جـ٢ ص ٢٦٠ ، الطبري جـ٤ ص ١٩٩٨ – ١٩٩٩

وخشى الاشعث حين طال الحوار بينه وبين ابى بكر ان يقتـــل فقال : او تحسبن في خيرا فتطلق اساري ، وتقبل عثرتي ، وتقبل اسلامي، وتفعل بي مثلما فعلته بامثالي ، وترد علي زوجتي [٢١] • وزوجته التـــي يتحدث عنها هي ام فروة أخت ابى بكر • وتردد ابو بكو هنيهـــة فى الاجابة فأردف الاشعث : « افعل تجدني خير اهل بلادي لديـــن الله » وبعد ان فكر ابو بكر في الامر غفر له [٢٢] وقبل منه ورد عليه اهلـــه وقال : « انطلق فليبلغنى عنك خير » •

واقام الاشعث مع ام فروة بالمدينة لم يبرحها الا في عهد الخليفـة عمر حين اشترك في فتح العراق والشام مع جيوش المسلمين ثم كان له في حروب ذلك الفتح من البلاء ما اعاد اليه اعتباره في أعين الناس [٢٣] •

ولم يكن عمل المهاجر في التصاء على اسباب التمرد فى هذه الارجاء بأقل شدة منه في اليمن ، فقد قطع دابر المتمردين ، وانزل اشد العقاب بالثائرين • ويكفيك مثلا على ذلك : ان مغنيتين : تغنت احداهما بشتم رسول الله وتغنت الاخرى بهجاء المسلمين فقطع ، المهاجر يديهمـــا ونزع ثناياهما •

وقد كتب اليه ابو بكر ، يكشف له عن خطئه فيما صنع ويذكر انه كان الاولى به ان يقتل الاولى لان حد شتم الانبياء ليس يشـــبه الحدود ، وان يصفح عن الثانية اذ كانت ذمية « فلعمري لما صفحت عنه من الشرك اعظم ، فاقبل الدعة واياك والمثلة في الناس فانها مأثم ومنفرة الا في قصاص » وقس على ما صنع المهـــاجر بالمغنيتـــين ما صنع بالمتمرديـــن •

وبعث ابو بكر الى المهاجر يخيره بين امارتي حضرموت واليمـــن

---

(٢١) كان الاشعث يوم هجرته الى رسول الله قد تزوج من ام فروة اخت ابى بكر ولم يدخل بها • ولما عفا عنه ابو بكر سلم له زوجته فدخل بها (بن سمرة ٣٦) •

(٢٢) الكامل جـ٢ ص ٢٦٠

(٢٣) ابن الاثير : الكامل جـ٢ ص ٢٦٠

فاختار اليمن ، وذهب الى صنعاء فاقام بها مع فيروز وبقى زياد بن لبيد على ولاية حضرموت (٢٤) ، اما عكرمة فقد اعد عدته للعودة الى المدينة لكنه لم يرجع اليها ، كما خرج منها بل عاد وقد تزوج ابنة نعمان بن الجوف ، ولم يصد عن ذلك ماكان من تعنيف ابى بكر لخالد بن الوليد حين تزوج ام تميم ، وحين تزوج ابنة مجاعة ، فخالف بذلك تقاليد العرب • على ان زواج عكرمة بهذه الفتاة قد اثار مشكلة من نوع آخر، ادت الى تذمر الجند ، والى عرض الامر على ابى بكر ليفصل فيه برأيه •

وقد تزوج عكرمة بابنة النعمان هذه وهو بعدن ، ثم حملها معه الى مأرب واختلف الجند في امرها يقول بعضهم : دعها فانها ليست باهل ان يرغب فيها ، ورأى ابو بكر الا حرج على عكرمة فيما صنع • فقد جاء النعمان هذا الى الرسول وطمع في ان يتزوج الرسول من ابنته هذه • فزينها له وجاء بها ، وزاد في زينتها انها لم تشك وجعا في حياتها قط ، لكن رسول الله رغب عنها ، فعاد بها ابوها الى عدن • لذلك ظن جماعة من الجند ان عكرمة يجمل به ان يرغب عنها كما رغب رسول الله ليكون له فيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ اسوة حسنة • اما ابو بكر فلم ير هذا الرأي ولم ير في زواج عكرمة منها بأسا واستقر عكرمة مع زوجته في المدينة •

---

(٢٤) الطبرى : جـ٤ س ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠١

ب ـ اليمن في عهد خلافة عمر بن الخطاب

ولما توفي ابو بكر رضى الله عنه بالمدينة سنة ثلاث عشرة ، بعد خلافة دامت سنتين واشهرا خلفه عمر بن الخطاب ، فاستعمل على اليمن يعلى بن امية أيضا . وقد قام هذا الوالي باستنفار اهل اليمن الى الشام والعراق فهاجر عدد كبير منهم ، وكانت لمهاجرتهم الايام المشهورة .

وكان الخليفة عمر ، ممن يشترى رضا العامة بمصلحة الامراء (الولاة) ، فكان الوالي في نظره فردا من الافراد ، يجرى حكم العدل عليه كما يجري على غيره من سائر الناس وكان حب المساواة لا يعدله شيء من اخلاقه (٣٥) ، اذا اشتكى العامل اصغر الرعية جره الى المحاكمة حيث يقف الشاكى والمشكو منه يسوى بينهما في الموقف ، حتى يظهر الحق فان توجه قبل العامل اقتص منه ، ان كان هناك داع الى القصاص او عامله بما تقتضي به الشريعة ، او عزله (٣٦) .

وسواس الامم على اختلاف في ذلك ، فمنهم من لم ير القصاص من العمال ، ويرى ذلك اهيب لمقام العامل في نظر الرعية ، وربما استحسن ذلك فى عهد الاضطرابات ، التي يراد تسكينها بشيء من الرعب يقذف في قلوب العامة . وكان الخليفة ابو بكر لا يقيد عماله ولعل ذلك يرجع الى كثرة الاضطرابات في عهده في الجزيرة العربية ، اما الخليفة عمر فكان على غير ذلك الرأي لان مصلحة العامة عنده كانت فوق كل شيء . والامر قد استقر ، فلم يكن هناك مايدعو الى مراعاة هذه السياسة .

---

(٣٥) الطبرى : جـ٥ ص ٢٠

(٣٦) نفسه جـ٥ ص ٣٢

وكان عمر اذا بعث عاملا على عمل يقول : [٢٧] « اللهم اني لم ابعثهم ليأخذوا اموالهم ولا ليضربوا ابشارهم ، من ظلمه اميره فلا أمرة عليه دوني » وخطب الناس يوم جمعة فقال : « اللهم اشهدك على امراء الامصار ، انى انما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ، وان يقسموا بينهم فيأهم ، وان يعدلوا ، فان اشكل عليهم شيء رفعوه لي » .. وكان اذا استعمل العمال خرج معهم يشيعهم فيقول : « اني لم استعملكم على امة محمد صلى الله عليه وسلم ، على اشعارهم ولا على ابشارهم ، انما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة وتقضوا بينهم بالحق ، وتقسموا بينهم بالعدل ، واني لم اسلطكم على أبشارهم ولا على اشعاركم ولا تجلدوا العرب فتزلوها ، ولا تجمهروها فتفتنوها ، ولا تغفلوا عنها فتحرموها ، جردوا القرآن واقلوا الرواة عن محمد (صلعم) وانا شريككم . »

وكان فوق ذلك كله ، له عامل يقتص آثار العمال ، فيرسله الى كل شكوى ليحققها في البلد الذي حصلت فيه . وكان ذلك العمل موكولا الى محمد بن مسلمة الذى كان يثق به عمر ثقة تامة . وكان محلا لتلك الثقة . ولم يكن من دأب محمد بن مسلمة ان يحقق تحقيقا سريا ، وانما كان يسأل من يريد سؤاله علنا وعلى ملأ من الاشهاد . ولم يكن هناك محل للتأثير على الشهود ، لان يد عمر كانت قوية جدا ، وكان لكل انسان الحق في ان يرفع اليه شكواه مباشرة ...

وقد اضطررت لهذا الاستطراد لاعطي صورة واضحة على مدى رقابة اولي الامر للحكام في الصدر الاول من الاسلام ومدى اهتمامهم بمصالح الرعية ، لنقف على مقدار البون الشاسع بين ما كان وما يكون الآن في كثير من بلاد العالم الاسلامى .

---

(٢٧) نفسه جـ٥ ص ٢٢

جـ ـ اليمن في عهد خلافة عثمان بن عفـان

ولما قتل الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يوم الاربعاء لسبع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، خلفه عثمان بن عفان ، فابقى عمال اليمن على حالهم ، فظل يعلى بن منبه على صنعاء وعبدالله ابن ابى ربيعة المخزومي على الجند ، ثم ارسل الى الجند رجلا ثقفيـا سمى عثمان بن عثمان . فلما عاد الى المدينة سأله الخليفة عما رأى من أهل اليمن ، قال : رأيت قوما ما سئلوا اعطوا حقا كان او باطلا ...

وقد قيل ان فرار يعلى من صنعاء وعبدالله بن ربيعة من الجنـد كان في ايام فتنة قتل عثمان رضى الله عنه في المدينة يوم الجمعة سنة ست وثلاثين من الهجرة .

وعلى الرغم من ان التاريخ اثبت ان اليمنيين سواء كانوا داخل وطنهم او في خارجه ، كانوا مثالا للنشاط والاخلاص بالنسبة للاسلام . الا ان الفتنة التي حدثت في عهد الخليفة عثمان والتي فرقت بـين المسلمين وقسمتهم الى معسكرات ، كان من آثارها ان اشترك اليمنيون في الاحداث ، وان تجترفهم التيارات المضادة ، وتنحرف بهم اعاصير السياسة فذهب من ذهب منهم مع الامام علي ـ وهم الكثير ـ وانضم منهم فريق آخر الى معاوية بن ابى سـفيان ، وتعصب كـل فـريـق اصاحبه ...

اما عن صلة سيدنا علي باليمن ، فقد عرفنا ان عليا زار اليمن فـى عهد الرسول (صلعم) وبدأ انصار له يتكونون هناك من شيعته ومحبيه. والشيعة كما قال ابو حاتم احمد بن حمدان الرازى (٢٨) : « هو لقب

(٢٨) كتاب الزينة ٢١٤

اقوم كانوا قد ألفوا أمير المؤمنين علي بن ابى طالب ، كرم الله وجهه في حياة الرسول (صلعم) وعرفوا به وهم : سلمان الفارسي ، وابوذر الغفاري ، والمقداد بن الاسود ، وعمار بن ياسر وغيرهم وكان يقال لهم شيعة علي ... وقال فيهم النبي (صلعم) : الجنة تشتاق الى اربعة : « سلمان وابوذر والمقداد وعمار » وقال نشوان الحميري [٢٩] : « وانما سميت الشيعة شيعة لمشايعتهم علي بن ابى طالب » .

وتتيجة لزيارة علي لليمن فى عهد الرسول (صلعم) ثم في عهد ابى بكر [٣٠] ، كثر عدد المحبين لعلي في اليمن واخذ هؤلاء يعملون على اكتساب الانصار المحبين لعلي ، ويروا ان عليا وحده اهل للخلافة واولى الناس بمقام رسول الله بعده ، واحقهم بالامامة والقيام بالامر في امته [٣١] .. وان الخلفاء الذين سبقوه قد انتزعوا حق الامامة منه ، ويدل امتناع بعض الصحابة عن مبايعة ابى بكر بالخلافة كالعباس عم النبي وطلحة والزبير الذين اتحدوا مع علي بن ابى طالب ، على ان الامة قد آذنت بالانقسام الى معسكرين من المسلمين . ولكن السياسة الرشيدة التي انتهجها ابو بكر وعمر قد ساعدت على كبح جماح هذا الانقسام الى حد كبير . الا ان التشيع ظل منتشرا في بلاد اليمن وغيرها، وتجلت مظاهره فيها في مواقف كثيرة [٣٢] .

فلما رحل عبدالله بن سبأ الصنعائي [٣٣] الى مصر ، بعد ان طاف بالكوفة والبصرة والشام ، التف حوله المسلمون هناك لانه حمل على سياسة الخليفة عثمان ، التي كانت مثار السخط في العالم الاسلامي في

(٢٩) الحور العين ١٧٨
(٣٠) بن سمرة ١٥
(٣١) الحور العين ١٥٤
(٣٢) الصليحيون ١٥
(٣٣) كان هذا يهوديا من اهل صنعاء دخل الاسلام في سنة ١٩ هـ في خلافة عثمان وكان من اكبر العوامل لاثارة الناس على سياسة عثمان (الطبري ٢٨٥٩/١) ؛ فتوح مصر : ٥٦

ذلك الوقت • ونادى بحب علي لانه أولى من غيره بالخلافة ، فانضم اليه فى مصر عدد كبير كان في مقدمتهم محمد بن ابى بكر ، وقد ساعد انضمامه على نجاح ابن سبأ في دعوته لعلي بن أبى طالب • ولا نكون مغالين اذا قلنا – ان سبب رواج دعوة ابن سبأ في مصر يرجع الى وجود عدد كبير من اليمنيين الذين جاءوا مصر من أيام الفتح الاسلامي واستقروا فيها (٣٤) ، وان هؤلاء اليمنيين كانوا ممن يحبون عليا وآل بيته ...•

ومما يدل على مبلغ تحمسهم لدعوته ، أن الخليفة عثمان عندما ارسل عمار بن ياسر الى مصر ليصلح بينه وبين محمد بن أبى حذيفة (٣٥) ، استطاع الثائرون على عثمان استمالة عمار الى رأيهم • وان انضمام هذا الصحابي الجليل الى صفوف الناقمين على عثمان ، ليدل على مبلغ السخط الذي اثارته سياسة الضعف التي سار عليها هذا الخليفة ...

من هذا نرى از ابن سبأ قد نجح في خطته وهي تأليب العالم الاسلامي ضد عثمان ، وتنفيذا لهذه الخطة كاتب ابن أبى حذيفة أهل البصرة والكوفة ودعاهم الى الذهاب الى المدينة ، وخرج كل وفد فى ست مائة رجل ، حتى وصلوا الى خارج المدينة • وجاء في الوفد المصرى

(٣٤) كان معظم جيش الفتح الذي اعتمد عليه عمرو بن العاص في فتح مصر من اليمنيين فكان فيه جند من عك وغافق (فتوح مصر ٥٦) ، ثم لحق بهم جماعة من لخم وراشدة (نفسه ٥٨) وان الذي يرجع اليه الفضل في اقتحام حصن الفرما هو سميفع بن وعله السبائي (حسن المحاضرة ٧٦/١) وان اليمنيين ابلوا بلاء حسنا في حصار حصن بابليون (نفسه ٦٢/١) . ولم ينقطع وصول اليمنية الى مصر بل ظلوا يفدون اليها فى مدة طويلة . ففي خلافة معاوية كان منهم بالاسكندرية حوالي سبعة وعشرون الفا معظمهم من الازد ، ثم جاء بعدهم جماعة من لخم (المقريزى البيان والاعراب ٣٥) وقبيلة لخم بن عدي كان منها نصر بن ربيعة ابو الملوك المناذرة في الحيرة ، وبنو عبادة ملوك اشبيلية وهي احدى القبائل اليمنية القحطانية (ابن خلدون ٢٥٦/٢ ، الاكليل ٢٥/١٠ ، ٨٠ ، ٩٠ ، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ص ١٦)

(٣٥) المقريزي : المقفى الكبير ، مكتبة الجامعة بليدن مخطوط رقم (١٣٦٦) المجلد الاول – الورقة ١٢٠٦

من اليمنيين : عبدالرحمن بن عديس العلوي ، وكنانة بن بشير التجيبي، وسودان بن أبي رومان الاصبحي ، ودرع بن يشكر بن أبرهة • ويقول الكندي [٣٦] : « ان هؤلاء الذين قتلوا عثمان ، وبايعوا عليـا ، وعادوا الى مصر » •• وعلى الرغم من ان اليمنيين ـ كما يبدو ـ لـم يلعبوا دورا ايجابيا في هذه الفتنة ، الا ان الحقيقة الملموسة توحي بان اليمنيين كان لهم القسط الاكبر فيها • فان العلاقة بين ابن سـبأ الصنعائي وبين المجيبين لدعوته في الامصار المختلفة ـ وبخاصة مصر ـ تـدل دلالة واضحة على ان اليمنية كانت لهم اليد الفعالة في قتل الخليفـة عثمان ، وذلك بسبب حبهم وولائهم لعلي وآل بيته [٣٧] •••

(٣٦) الكندي : الولاة والقضاة : ١٧

(٣٧) هـ/ح : د • حسين الهمداني والدكتور حسن سليمان « الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن » ص ١٦

د ـ اليمن في عهد علي بن أبى طالب

ولما تولى الخلافة علي بن أبى طالب ، بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان ، استعمل على صنعاء ، عبيد الله بن عباس بن عبدالمطلب[٣٨] . وعلى الجند سعيد بن سعيد بن عبادة الانصاري[٣٩] . فلم يزالا بها حتى زمن الفتنة ـ بين معاوية وعلي ـ وقد جاهدت همدان مع علي في موقعة صفين ، ويعتبر ماقاله امير المؤمنين نفسه دليلا واضحا على ذلك . فقد قال أيام صفين : « يا معشر همدان أنتم درعي ورمحي ، والله لو كنت بوابا على باب الجنة لادخلتكم قبل جميع الناس ، وما نصرتم الا الله تعالى ، وما أحببتم غيره » . فقال سعيد بن قيس وزياد بن كعب : « احببنا الله واياك ، ونصرنا الله واياك ، وقاتلنا معك من لبس مثلك ، فارم بنا حيث شئت »[٤٠] .

ويعتبر مالك الاشتر النخعي اليماني[٤١] من الامثلة البارزة التي لعبت دورا هاما في حروب علي ، وأبلى بلاء حسنا معه فى موقعتي الجمل وصفين . ويدل موقفه في التحكيم على مقدار اخلاصه وتفانيه فى الحصول على النصر . فقد قال الاشتر ـ عندما رفع جند على المصاحف ـ ووافق جند العراق على التحكيم : « يا أهل العراق ، يا أهل الذل والوهن ، أحين ظن القوم انكم لهم قاهرون ، رفعوا المصاحف يدعونكم الى مافيها ، وهم والله قد تركوا ما امر الله به فيه ، وسنة من أنزلت عليه ، فامهلوني فقد طمعت في النصر .. واتم

(٣٨) الاصابة ٤٣٧/٢
(٣٩) ابن الديبع (ق) ٦ ب
(٤٠) ابن حزم ٣٨٩
(٤١) ادريس (ن) ٩/١

الآن اذ؛ امسكتم عن القتال مبطلون ، أم أنتم الآن محقون ؟ » قالوا « دعنا منهم يا أشتر » .. قال : « خدعتم فانخدعتم » واستمر يحثهم ولكن بدون جدوى [٤٢] .

ولقد كان البراء بن وفيد العذرى الهمدانى [٤٣] من الامثلة الواضحة التي تدل على حب اليمنيين لاظهار كلمة الحق . واغاثة المظلومين والضعفاء . فقد حارب هذا مع معاوية في موقعة صفين مما يدل على ان بعض اليمنيين قد انضم لمعاوية ، كما انضم البعض الآخر لعلي [٤٤] ولكن البراء نقم على معاوية منعه للفرات عن اصحاب علي ، لما سبق عليه صفين . فقام الى معاوية وقال : « سبحان الله العظيم ، حين سبقتموهم الى الفرات تمنعونهم الماء ، وان فيهم العبد والاجير والامة ومن لا ذنب له . هذا والله أول الجور ، لقد بصرت المرتاب وشعت الجبان ، وحملت من لا يريد قتالك على كتفيك » فقال معاوية لعمرو بن العاص : « اكفني صديقك الهمداني حتى لا يفسد علي عسكرى » فقام اليه عمرو ، فأغلظ له ، فانشأ البراء يقول :

لعمر ابى معاوية بن حرب	وعمرو ما لايهما وفاء
سوى طعن يحار القيل فيه	وضرب حين تيتاع الدماء
فسلت بتابع دين ابن هند	طوال الدهر ما ارسى حراء
فقد ذهب العتاب فلا عتاب	وقد ذهب الولاء فلا ولاء
وقولى في حوادث كل امر	على عمرو وصاحبه العفاء
الا لله درك يا بن هند	لقد ذهب الحياء فلا حياء
اتحمون الفرات على رجال	وفي ايدهم الاسل الظماء
وفي الاعناق اسياف حداد	كأن القوم عندكم نساء
اترجو ان يجاوركم علي	بلا دماء وللاحزاب ماء

(٤٢) ابن الاثير ٢/٩٧٣

(٤٣) الهمداني : الاكليل ١٠/٦٣ هامش ٢

(٤٤) الطبري ٢/٣٣٠٠

ولما جن الليل امتطى فرسه فلحق بعلي ، وقاتل معه حتى قتل (٤٥).

وكان سعيد بن قيس (٤٦) خاصا (٤٧) بعلي بن أبى طالب وصاحب همدان بالعراق ، وهو أحد فرسان العرب المعدودين ، وأحد الدهاة الخمسة : معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وقيس بن سعيد ابن عبادة وسعيد بن قيس . ومن الاجواد والذبابين (٤٨) . وقد كان جالسا يوما عند علي بن ابى طالب ، فلما أن قام قال علي : هذا والله كما قال القائل : من قوله قول ومن فعله ... فعل ومن نائله نائل (٤٩) .

وسعيد هذا هو الذي قتل عمر بن الحصين السكوني (٥٠) ــ في بعض ايام صفين ــ كما قتل المشرح ، فارس ذورعين (٥١) مبارزة ، وفي ذاك يقول شعرا :

لقد فجعت بفارسها السكون كما فجعت بفارسها رعين
غداة اتى ابا حسن عليا ووسط النقع مرداه طحون
فأطعنه وقلت له : خذنها مسومة يخف لها القطين (٥٢)

وقبل ان ينتهي النتزاع بين علي ومعاوية ، ارسل معاوية من قبله بسر بن ارطأة العمري واليا على اليمن سنة اربعة (٥٣) وسير معه ثلاثة آلاف جندي ، وأمره معاوية بان يقتل شيعة علي هناك . فلما كان قريبا من صنعاء ، وعلم به عبيد الله بن عباس والي علي على اليمن ، جمع

---

(٤٥) الهمداني (ك) ١٠/٦٤ـ٦٥ = الهمداني : الاكليل
(٤٦) الهمداني (ص) ١٩٠ ، (ك) ١٠/٤٦ـ٤٩ = الهمداني : صفة جزيرة العرب
(٤٧) قال محب الدين الخطيب هذه الصفة لم يطلقها المسلمون على النبي (ص) واخوانه من الانبياء ولعلها من عمل صاحب الاكليل ليغطي بذلك ما يؤاخذ به العدنانيون من الافراط في العصبية القحطانية (الهمداني (ك) ١٠/٤٦ هامش«١»)
(٤٨) نفسه ١٠/٤٦
(٤٩) نفسه ١٠/٤٦
(٥٠) ادريس (ن) ١/١٠
(٥١) وكانت ذورعين اليمنية تحارب مع معاوية في موقعة صفين
(٥٢) ادريس (ن) ١/١٠ـ١١
(٥٢) الجندي / السلوك ٣٩

عبدالله هذا أهل صنعاء وخطب فيهم وحرضهم على القتال • فقال فيروز الديلمي [٥٤] : « ما عندنا قتال ، فأستر شأنك [٥٥] • فتجهز عبيد الله وخرج هاربا ، واستخلف عمرو بن عراكه الثقفي على صنعاء [٥٦] • وسار حتى بلغ الكوفة يريد عليا • وترك ولدين صغيرين لـه هما : الحسن والحسين فى كفالة امرأة عابدة تسمى أم سعيد ابنة بزرج [٥٧] •

فلما قدم بسر صنعاء ، استدعى الولدين فقتلهما وقبل ذبحهما بيده ، ثم قتل عمرو بن أبى أراكه ثم قتل اثنين وسبعين رجلا كانوا قد تشفعوا في الطفلين • وكان قتل هؤلاء جميعا علـى باب المصرع [٥٨] فدفن الولدان حيث قتلا وبنى عليهما مسجدا وهو مشهور هناك باسم مسجد الشهيدين [٥٩] •

وكان بسر هذا أول جبار دخل اليمن في الاسلام ، فعسف باهلها ، وعاث في الارض الفساد • ولما بلغ امير المؤمنين عليا هذا الخبر ، جهز ألفى فارس من الكوفة ومثلها من البصرة وسيرها بقيادة حارثة بن قدامة السعدي وأمره بدخول اليمن ومتابعة بسر حيث كان ، ومؤاخذته علـى ما ارتكب من الفساد •

---

(٥٤) الاصابة ٣/١٠

(٥٥) ابن الديبع : ٦

(٥٦) الاصابة : ٢/٥٢٢

(٥٧) أم سعيد البزرجية زوجة داذويه الفارسي وبنت النعمان بن بزرج واخت عبدالرحمن بن بزرج مولى ام حبيبة زوج الرسول (ص) . وهم ابناء الفرس في اليمن . نزل عليها وبر بن يحنس عندما قدم صنعاء في الكنيسة التي بباب صنعاء من ناحية القبلة فقرأ عليها وبر بعضا من القرآن الكريم فأسلمت هي واخوالها واخيها عبدالرحمن، وحسن اسلامهم وكان اول من أسلم من اهل اليمن (تاريخ صنعاء للرازي ٤٢ ، الاصابة ٣/٥٨٥) ضمن ترجمة ابيها النعمان) .

(٥٨) الهمداني (ك) ٨/٦٦ ، الهمداني (ص) ٢٤٣

(٥٩) انباء الزمن ـ دار الكتب ١٢

ولما وصل حارثة اليمن ، هرب بسر وتفرق اصحابه ، ولكنه بعد ان ترك جماعة من اتباعه لزمهم حارثة ومثل بهم ثم عاد الى مكة وهناك سمع بوفاة علي رضى الله عنه ، فأخذ البيعة من اهل اليمن والحجاز لمن بايع له أصحاب علي ...

نستخلص من هذه الحوادث ان الصراع بدأ بالفعل بين المعسكرين من المسلمين : شيعة علي وانصار الامويين ، واخذت ضحايا هذا الصراع تتوالى على حساب المسلمين ، واخذ كل فريق يرى ان الحق بجانبه ويستميت في الدفاع عن عقيدته ، كما نستنتج ان وجود مسجد الشهيدين تحت انظار ابناء اليمن الموالين لعلي ، يعتبر من العوامل الفعالة التي ساعدت على تكتلهم وتربصهم بعمال بني أمية كلما اتيحت لهم الفرصة ...

قائمة بأسماء عمال النبي (صلعم) والخلفاء الراشدين علـــى اليمـن

١ ـ الامام علي بن أبى طالب كرم الله وجهه
٢ ـ معاذ بن جبـل
٣ ـ ابو موسى الاشـعري
٤ ـ خالد بن الوليـد
٥ ـ البـراء بن عازب
٦ ـ سعيد بن لبيد الانصارى
٧ ـ خالد بن سعيد بن العاص
٨ ـ الطاهر بن أبى هالـة
٩ ـ عمرو بن حزم الانصارى
١٠ـ يعلى بن أميـة
١١ـ عكاشة بن ثـور
١٢ـ جرير بن عبدالله البجلى
١٣ـ عامر بن شهر
١٤ـ شهر بن بادام
١٥ـ وبن بن يحنس (٦٠)

---

(٦٠) جاء في كتاب « مساجد صنعاء » للحجري ان النبي (صلعم) أمر وبر بن يحنس الانصاري حين أرسله الى صنعاء واليا عليها فقال له : ادعهم الى الايمان ، فان اطاعوا لك بها ، فمر ببناء المسجد فى بستان (باذان) ما بين الصخرة الململمة الى غمدان . وقيل ان الصخرة المشار اليها هي الموجودة الآن في الصوح الغربي في اصل اساس الجدار الغربي من الجامع ، وقيل ان الذي أمره الرسول ـ هـو فروة بن مسيك المرادى وقيل انه ابان بن سعيد ، وقيل المهاجر بن امية .. (احمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ هامش (١) ص ١٧٤ القاهرة سنة ١٩٦٣)

١٦ــ ابو سفيان بن الحارث
١٧ــ فيروز الديلمى
١٨ــ قيس بن المكشوح
١٩ــ فروة بن مسيك المرادى
٢٠ــ عبدالله بن العباس
٢١ــ سعيد بن سعد بن عبادة

وبعد ، اننا نعتقد مخلصين بانه من العناصر التي سخرها الله لسرعة انتشار الدين الاسلامي الحنيف ، هو دخول أهل اليمن في الاسلام دون تردد (أي ان اسلامهم كان تلقائيا) • ذلك لان الديانات الوثنية في اليمن ــ كانت الى حد كبير موحدة ــ اذ كانوا من اتباع « ذى سموت » (اي اله السماء) •

والتفسير العنصري في سرعة اعتناق اهل اليمن للاسلام ، قد يكون أقوى من ميل أهل اليمن للتوحيد ، وهو ان اليمن فى القرن السادس الميلادى كانت تتأرجح بين :ــ الزردشتية الفارسية واليهودية الدخيلة والمسيحية المفروضة ، فجاء دين الاسلام عربيا وكان من اول من أعتنقه وناصره اليمنيون في يثرب (المدينة) •

وهكذا انضمت الى الاسلام طاقة اليمن الضخمة في مجال الفكر والنشاط وسعة الاطلاع والفتوحات •• اذ كان اليمني في عهد حمير قد تحول الى فاتح ، كثير المغامرات العسكرية والفتوحات والاستيطان في البلاد البعيدة • فحينما دعا ابو بكر الصديق المسلمين الى الجهاد ، وصله في يوم واحد من اليمن عشرون الف مقاتل •

ولم يقف انطلاق اليمن في بناء كيان الامبراطورية الاسلامية عند هذا الحد ، فالمؤرخون يذكرون ان الخليفة معاوية بن أبى سفيان • رفع عرشه فى الشام على اكتاف اليمنية ، كما استند الى نبوغ اليمن في الحروب والاعمال الادارية ، وكذلك في النشاط الزراعى والصناعي ،

ويقول جورجي زيدان [٦١] : « ان اكتاف اليمنية هي التي رفعت عرش الدولة الاموية » .

واستمرت مساندة اليمنيين لاولى امبراطوريات الاسلام في العهد الأموي فظهر قاداتهم المشهورين : عبدالرحمن الغافقي اليماني ، بطل الفتح الاسلامي في اسبانيا /١١٢ هـ (٧٣١م) ، وأمير الاندلس السمح ابن مالك الخولاني فاتح قرطبة ومؤسس الامارة فيها سنة ٩٨ هـ (٧١٦ م) .

---

(٦١) تاريخ التمدن الاسلامي ٥٢/٤

(ثـالثـــا)

اليمن في عهد الخلفاء الامويين والعباسيين

أ ـ في عهـــد الامويــين

لما تولى معاوية الخلافة ، دأب على اتباع سياسة سب علي واهل بيته على المنابر ، مما أثار حنق الشيعة عليه ، وسبب ذلك اضطرابات كثيرة في البلاد الاسلامية ، وبخاصة الكوفة [1] ، التي ارسل اهلها الى الحسين بن علي يدعونه اليهم فاجابهم الى ذلك ، [2] لكن بعض خاصته نصحه بالمسير الى اليمن واشار عليه بعض آخر بالخروج الى مصر .

ولعل هؤلاء وهؤلاء قد قاموا بهذا النصح معتمدين في ذلك على وجود محبين ومريدين لعلي وآل بيته في هذين البلدين . فأصحاب الرأي الاول يرون ـ كما سبق ان ذكرت ـ ان عليا وحده ، اهل الخلافة ، وأولى الناس بمقام رسول الله بعده ، واحقهم بالامامة والقيام بالامر في أمته . لذلك فذهاب الحسين بن علي الى اليمن بعيدا عن بطش الامويين ومعتمدا على مريديه ومحبيه يضمن له النجاح في اقامة الامامة والخلافة في آل البيت ... وهذا الرأي ـ على ما اعتقد ـ قريب جدا من الصواب ، ذلك لأن قيام الامامة الزيدية في اليمن بعد ذلك بحوالي قرنين ونصف من الزمن ، وانتشار المذهب الزيدي فيها حتى شمل في وقت من الاوقات حوالي ٤٥٪ من السكان ، وبقاء هذه الامامة قائمة

---

(١) كثورة حجر بن عدي الكندي (البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٦٤ ، الدينوري : الاخبار الطوال ص ٢٢٦)

(٢) ابن الاثير : الكامل ٢٦٦/٣ وما بعدها ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ١٠٢-١٠٧

هناك أكثر من الف سنة ، كل هذا يدل على مقـــدار حكمة وصواب أصحاب الرأي الاول .

أما اصحاب الرأي الثاني ، فان الصورة التي وضحت في اذهانهم يوم ان ارسل الخليفة عثمان رسوله الصحابي عمار بن ياسـر الى مصر ليصلح بينه وبين محمد بن أبى حذيفة ، وانضمام عمار الـى صفوف الناقمين على سياسة الخليفة ، ثم سفر الوفد المصري ــ ومن بين اعضائه عدد كبير من اليمنيين الذين جاءوا مصر من أيام الفتـح الاسـلامي واستقروا فيها ، وان هؤلاء اليمنيين كانوا ممن يحبون عليا وآل بيتـه ــ الى المدينة واشتراكهم فى قتل الخليفة عثمان . هذه الصورة كانت لاتزال واضحة تماما فى اذهانهم يوم ان اشاروا على الحسين بالسير الى مصر ، هذا فضلا عن ان بني أمية الذين فازوا بالخلافة دون آل البيت كانوا يطالبون بدم الخليفة عثمان ، فورثوا بذلك كره المسلمين فـي مصر لهـم . .

ومهما يكن من أمر هذه الاحتمالات ، فان الحسين بن علي لـم يلتفت الى نصح الناصحين ، وسار الى العراق حيث قتل في كـربـلاء سنة ٦١ هـ . وكان لقتله أثر بعيد في اذكاء نار التشيع في نفوس الشيعة وتوحيد صفوفهم ، وكانوا قبل ذلك متفرقي الكلمة ، اذ كان التشـيع ــ قبل مقتله ــ رأيا سياسيا نظريا ، لم يصل الى قلوب الشيعة الذيـن دعوا الناس للاخذ بثأر الحسين بن علي ، وغدا العـــداء بين الامويين والعلويين شديد الخطر .

ولم يسكت الشيعة عن دم الحسين ، بل تحركوا بالكوفة سـنة ٦٥ هـ ، في عهد الخليفة الاموي مروان بن الحكـم (٦٤ ــ ٦٥ هـ) . وتابوا عن تقصيرهم في حق الحسين فسموا التوابين وحزموا أمرهم ، واجتمعوا في الكوفة ــ قبل وفاة مروان بن الحكم ــ وامروا عليهـم رجلا اسمه سليمان بن صرد ، وانضم اليهم عدد كبير من الناس حتـى

بلغوا اربعة آلاف ، ساروا بعدها حتى وصلوا الى عين الوردة سنة ٦٥ هـ حيث اشتبكوا بعبيد الله بن زياد الذي ارسله مروان بن الحكم للاستيلاء على العراق . ولما تلاقى الجيشان حلت الهزيمة بالشيعيين بعد ان أبلوا بلاء حسنا ، وقتل رئيسهم سليمان بن صرد ، وفر المنهزمون .. وقد ادت تلك الموقعة الى نفس النتيجة التي انتهت اليها موقعة كربلاء [٣] ولكن مالبث أهل الشيعة ان انضموا الى المختار بن أبى عبيد الثقفي [٤] الذي ادعى انه بعث للاخذ بثأر الحسين ، وتمكن من الاستيلاء على الكوفة ، وأعد جيشا بقيادة ابراهيم بن مالك الاشتر النخعي اليمنى لمحاربة عبيد الله بن زياد قاتل الحسين فى كربلاء . وعند نهر الخازن — احد فروع دجلة — دارت الدائرة على ابن زياد سنة ٦٦ هـ وقتل في هذه الموقعة هو وكثير من اهل الشام [٥] . وهكذا ثأرت الشيعة لنفسها من مقتل الحسين بن علي .. ويقول الاستاذ محمود العقاد [٦] : « فكان بلاؤهم (الامويين) بالمختار وقائده ابراهيم الاشتر عدلا لا رحمة فيه ، ولا نحسب قسوة بالآثمين سلمت من اللوم او بلغت من العذر ما بلغته قسوة المختار » .

ولاه الامويين على اليمن :

اما عن ولاة اليمن من قبل الامويين ، فبعد هرب بسر بن ارطأة ، ولى معاوية ثقفيا اسمه عثمان بن عثمان ، ثم بعث معاوية أخاه عتبة بن أبى سفيان ، وجمع له ولاية صنعاء والجند ، واستقضى بصنعاء عبدالرحمن ابن حنبل ....

---

(٣) ابن الاثير : ٤/٧٣-٧٩

(٤) ظهر في ميدان السياسة سنة ٦٦ هـ تقلب في كثير من الاحزاب فانضم اليه الشيعة واستغل ثورة التوابين على بني امية ونال من بني امية بقتل عبيدالله بن زياد .. ولكنه قتل سنة ٦٧ هـ بالقرب من الكوفة (الطبري ٢/٦٧١ ، نشوان (ح) ١٨)

(٥) المسعودي : ٢/٢١

(٦) ابو الشهداء : ١٦٣

ثم ولي بعد ذلك النعمان بن بشير الانصاري ، فمكث بها سنة ثم عزله ، وتولى بعده بشير بن سعيد الاعرج ، ثم الضحاك بن فيروز الديلمي ، وبقي بها حتى توفى يزيد بن معاوية ،فتولى بجيرة بن ريشان الحميري .

وبعد مقتل الحسين بن علي عام ٦١ هـ ، وعقب وفاة يزيد بن معاوية ، غلب على مكة واليمن ومصر والعراقين والمدينة ابو خبيب عبدالله بن الزبير [٧] بن العوام بن خويلد ، وقد استعمل ابن الزبير على اليمن ـ الضحاك بن فيروز الديلمي [٨] سنة واحدة ، ثم عزله وولى بعده على صنعاء عبدالله بن عبدالرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي [٩] ، ثم عبدالله بن عبدالمطلب بن وادعة السهمي [١٠] سنة وثمانية اشهر ، ثم استعمل اخاه خالد بن الزبير سنتين ، ثم مغيث من ذى الترخم من مقرى [١١] ثم حنش بن عبدالله [١٢] ثم أبا النجود مولى عثمان ، ثم عاد الضحاك بن فيروز الديلمي ، ثم خلاد بن السائب [١٣] .

كما استعمل على الجند بحير بن ريسان [١٤] ، وفي عهده وثبت

---

(٧) بويع بالخلافة عام ٦٤ هـ ، وقيل ٦٥ هـ واستمرت الخلافة ٩ سنوات وقتله الحجاج بن يوسف الثقفي عام ٧٣ هـ (الاصابة ٢/٣٠٨)

(٨) الضحاك بن فيروز الديلمي اسلم في عهد الرسول وهو معدود من تابعي اهل اليمن (با مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ٢٢)

(٩) السلوك / دار ٧٤ ، ابن الديبع : قرة العيون ٧

(١٠) السلوك / دار ٤٠ ، العرشي ٩ يقول : « تولى بعد عبدالله بن عبدالمطلب اخاه وداعة بن عبدالمطلب وبعده عبيدة بن الزبير »

(١١) الهمداني : الاكليل ٢/١٢٠ ـ ١٢١ وقد ذكر في انساب الهميع بن حمير ان منهم مغيث من ذى الترخم بن سمعان وهو جد المغيثيين

(١٢) حنش بن عبدالله الصنعاني السبائي ، وقد اسر واتى به لعبدالملك بن مروان فعفى عنه ثم انتقل الى مصر ومنها الى الاندلس حيث بنى جامع سرقسطة ، وبقى بها حتى مات (الحميري : صفة جزيرة الاندلس ١٧)

(١٣) هو خلاد بن السائب بن سويد الانصاري الخزرجي (الاستيعاب ١/١٥٧)

(١٤) هو بحيرة بن ريسان بن اليسوب بن سعدان ويتصل نسبه بتبع الاكبر (اسعد ابن ابى كرب) قدم مصر ايام معاوية بن ابى سفيان وغزى المغرب ورجع الى مصر فسكنها حيث توفى بها (ابن ماكولا : الاكمال ١/٤٢ ب)

باليمن طائفة من الخوارج تسمى الحرورية [15] يرأسهم قدامه بن المنذر .

ومعنى ذلك ان تسعة من الولاة قد ولاهم ابن الزبير على اليمن في مدة تسع سنوات وهي المدة التي قضاها في الخلافة (٦٤ ــ ٧٣ هـ).

واذا عرفنا ان عبدالله بن عبدالمطلب بن وداعة السهمي كانت ولايته سنة وثمانية اشهر وان خالد بن الزبير كانت ولايته سنتين يكون معنى ذلك ان سبعة من الولاة لم تزد مدة ولايتهم عن خمس سنوات الا قليلا ..

ولعل سبب قصر مدة الولاية لكل منهم يرجع الى عدم استقرار الامور لابن الزبير ، وطمع ذوى المكانة من اتباعه في الحصول على المناصب ، وحرصه على رضاهم ، وخوف ابن الزبير من ان تحدث احد الولاة نفسه ــ اذا تمكن مركزه بطول مدة ولايته ــ بالاستقلال باليمن . ويؤخذ على هذه السياسة انها لاتعطى فرصة للعمال للقيام بمشروعات اصلاحية في ولايتهم ، واقتصرت جهودهم على ضبط الامن فى البلاد والسعي في الحصول على بعض الامتيازات الخاصة .

ولما كان عهد الخليفة عبدالملك بن مروان (٦٥ ــ ٨٦ هـ) قلد الحجاج بن يوسف الثقفي اليمن [16] وكلفه بقتال عبدالله بن الزبير عام ٧٢ هـ ، فتمكن من قتله عام ٧٣ هـ . واعادة كل ماكان تحت يده من امصار الى حظيرة الخلافة الاموية ، وظل واليا على اليمن والحجاز واليمامة ثلاث سنوات ؛ اتبع فيها سياسة الاضطهاد والشدة ، حتى نقله الخليفة عبدالملك سنة ٧٥ هـ الى العراق لينتفع بشدته ضد الخوارج هناك ...

---

(١٥) الحرورية : طائفة من الخوارج اصحاب نجدة الخارجي نسبوا الى قرية بظاهر الكوفة نزلوا بها اسمها حروراء ، وقد ذكر الجندي في السلوك ٥٤ ان الحرورية قدمت الى صنعاء سنة ٧١ هـ . راجع الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٥٧ ؛

(١٦) ابن خلكان : ١٢٢/١

ولما افضت الخلافة الى الوليد بن عبدالملك (٨٦ ــ ٩٦ هـ) كانت ولاية اليمن والحجاز في ايامه الى الحجاج بن يوسف الثقفي ، فاستعمل الحجاج على صنعاء ومخاليفها اخاه محمد بن يوسف [١٧] واستعمل على الجند واجد بن مسلمة الثقفي [١٨] ، ولما توفى محمد بن يوسف دفن في صنعاء ، فاستخلف على عمله ابن عمه أيوب بن محمد الثقفي [١٩] ، وهو الذي عمر جامع صنعاء العمارة الاولى ، ثم خلفه أخوه عروة بن محمد الثقفي .

ولما تولى الخليفة عمر بن عبدالعزيز سنة تسع وتسعين ولي وهب بن منبه على اليمن ، وامره بالامتناع عن سب امير المؤمنين علي بن ابى طالب في جميع الآفاق [٢٠] ووصل الامر بذلك الى صنعاء فخطب بجامعها وتلا قوله تعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى . الآية » بدلا من اللعن . فقام اليه ابن محفوظ وقال : قطعت السنة ، والله لانهض الى الشام .فان وجدت عمرا عازما على قطع السنة لاضرمن عليه الشام نارا » .

فخرج ابن محفوظ من صنعاء قاصدا الشام ، ولكن جماعة من أهل صنعاء لحقوا به في الموضع المسمى بالمنجل . وهناك رجموه بالحجارة حتى غمروه وغمروا بغلته . وهو يرجم بالحجارة الى الآن [٢١] ... وبعد وهب جاء مسعود بن عوف الكلبى وليا على البلاد .

ولما تولى الخلافة هشام بن عبدالملك (١٠٥ ــ ١٢٥ هـ) ، اقام

(١٧) المعارف : ١٧٣

(١٨) العرشي : ١٠ يقول « ان اسمه واقد بن سليم الثقفي »

(١٩) نفسه : وقد ظل واليا على اليمن في عهدي عبدالملك والوليد .

(٢٠) المسعودي ١٦٧/٢ ، العرشي ١٠ يقول « كان الوالي على اليمن من قبل عمر بن عبدالعزيز هو عروة بن محمد السعدي وظل واليا الى نهاية الحكم الاموى » .

(٢١) ابن طباطبا : الفخري في الاداب السلطانية ١١٧

يوسف بن عمر الثقفي (٣٢) واليا على صنعاء والجند لمدة ثلاث عشرة سنة بين (١٠٦ ــ ١٢٠ هـ) (٢٣) • وفي عهد خلافة هشام هذا ، خرج زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي • والى زيد هذا تنسب جماعة الزيدية التي كونت لها دولة عظيمة باليمن • والى هؤلاء كان ينسب ائمة اليمن الذين ظلوا يحكمونها حوالي الف ومائة سنة • الى ان طوحت بحكمهم ثورة اليمن المظفرة في عام ١٩٦٢ •

وقد تفرعت من جماعة الزيدية جماعة الرافضة ويرجع السبب في تسميتهم بهذا الاسم الى ان زيدا لما اشتبك مع يوسف بن عمر الثقفي قالوا له : انا ننصرك على اعدائك بعد ان تخبرنا برأيك في ابى بكر وعمر ، اللذين ظلما جدك علي بن ابى طالب • فقال زيد : اني لا اقول فيهما الا خيرا ، وما سمعت ابي يقول فيهما الا خيرا ، انما خرجت على بني أمية لانهم قتلوا جدي الحسين ، واغاروا على المدينة يوم الحرة ، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار ، ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم : « رفضتموني » فاطلق عليهم الرافضة •

استمر الولاة بعد ذلك على اليمن من قبل خلفاء الامويين ، فتولى الصلت بن يوسف بن عمر الثقفي ، ثم الضحاك بن واصل ، ثم مروان ابن محمد الجعدي ، ثم القاسم بن عمر الثقفي ، ثم الوليد بن عروة •

---

(٢٢) هو ابن عم الحجاج وقد قتل فى السجن عام ١٢٧ هـ (ابن خلكان ٢/٣٦٠)

(٢٣) ابن خلكان ٢/٣٦٠

ب ـ اليمن في عهد العباسيين

ولما انتهت دولة الامويين بقتل آخر خلفائها عام ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) خلفتها الدولة العباسية ، وكان ابو عبدالله السفاح ، اول خلفائها • وقد استعمل على اليمن عمر بن عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب، الذي بوب جامع صنعاء ، ثم خلفه محمد بن يزيدي بن عبدالمدان الحارثي ، وقد خلفه عبدالله بن مالك الحارثي ثم علي بن الربيع بن عبدالله بن عبدالمدان ثم عبدالله بن الربيع الحارثي • ولما عزل هذا الوالي عام ست واربعين ومائة خلفه معن بن زائدة الشيباني وهو الذي أحرب مدينة المعافر • وقتل من اهلها نحوا من ألفين ، كما قتل عبدالله ابن يحيى الحضرمي وخمسة عشر ألفا معه بحضرموت ، ويقول العرشي : « وألبس السواد لاهل اليمن ورجع الى العراق » فخلفه على اليمن ابنه زائدة بن معن الذي قتل ولدى عبدالله الحضرمي طلبا لثأر والديهما ••

واستعمل هارون الرشيد (١٧٠ ــ ١٩٣ هـ) على اليمن عبدالله ابن مصعب بن الزبير • وفي سنة ١٨٣ هـ استعمل محمد بن برمك ، فخرج عن طاعته اهل تهامة لذلك عزله الرشيد وولى بعده حماد البربرى •• وقال له : « أسمعني اصوات اهل اليمن » •• فبقى هذا في ولايته حتى عزله المأمون وولى بدلا منه يزيد بن جرير ، وكان هذا سيء السيرة متعسفا مع الرعية ، فلما وجد رجالا من الابناء الفارسيين قد تزوجوا بنات من أهل اليمن ، أخذ في تعذيبهم بل والفتك بهم لدفعهم الى طلاق نسائهم ، ولما ضج الناس بالشكوى من سيرته السيئة عزله المأمون وولى بدلا منه ، عمر بن ابراهيم بن واجد بن محمد بن زيد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، فنزل على خولة أرحب ، حيث قبض على يزيد بن جرير وحبسه ثم رجع الى العراق ، واستخلف

القاسم بن اسماعيل ، حتى وصل الوالي الجديد محمد بـن علـي بن عيسى بن ماهان • ولما ساءت سيرته ، عزله المأمون وولى بعده عيسـى ابن زيدان الجلودى الذي حارب ماهان حتى ظفر به فحبسه وأقفـل راجعا الى العراق ، بعد ان استخلف على اليمن رجلا يقال له حصين بن منهال وبقى هذا حتى قدم عليه من العراق ابراهيم الافريقى من بنـي شيبان ، واليا من قبل الخليفة المأمون ، ثم خلفه نعيم بن وضاح الازدي والمظفر بن يحيى الكندي • وقد اشركهما المامون في حكم اليمن عـام ٢٠٦ هـ ، ولكن المظفر توفي وعزل نعيم بن محمد بن عبدالله بن محرز مولى مأمون •• وعزل هذا باسحاق بن العباس بن محمد بن علي بـن عبدالله بن العباس ، فأساء هذا السيرة مع اهل اليمن واذل الحميريين، وخلفه ابنه يعقوب ، ولكن لم يصف له اليمن لان اهل صنعاء حاربـوه واخرجوه الى ذمار ، فعزله المأمون وولى بعده العباس بن عمر الشهابي• ولما كان عهد المعتصم ، اقر الوالي الشهابي على عمله ثم ما لبث ان عزله وولى على صنعاء مولاه جعفر بن دينار ، فأناب هذا عنه منصور بـن عبدالرحمن التنوخي عام ٢٢٥هـ ، وقد تمكن منصور من ضبط البلاد ، ثم خلفه عبدالله بن محمد بن علي بن عباس بن ماهان ، مشاركا لجعفر بن دينار ، ولكن ما لبث الخليفة ان عزل جعفر وولى القائد التركـي ايتاخ فاستعمل هذا أبا العلاء احمد بن ابى العلاء العامري ، فدخـل صنعاء حيث توفى فيها • وفي عهد الخليفة الواثـق (٢٢٧ ــ ٢٣٢ هـ) أعيد جعفر بن دينار لولاية اليمن عام ٢٣١ هـ • وهكذا استمر توليـة الولاة وعزلهم حتى اصبح عددهم يقصر عن احصائه الالمام • والمهم هو ان بلاد اليمن تحت حكم العباسيين لم تكن مستقرة استقرارا تاما ، لان السلاطين والامراء كانوا يتنافسون على تولي الحكم من قبل خلفـاء بني العباس ، كما كانوا يتنافسون مع ولاة الخلفاء انفسهم • ونتيجـة لذلك لم تكن ببلاد اليمن وحدة سياسية تجمع شمل ولاتها التي انهكتها

المنافسات الداخلية والاختلافات المذهبية تحت لواء واحد ، وتقود الجميع نحو هدف واحد . وكانت الولايات في هذه البلاد شبه مستقلة عن الدولة العباسية اداريا وسياسيا لضعف الخليفة عن حربها ولكنها لم تستطع الاستقلال التام عنه دينيا لان الولاة كانوا لا يستغنون عن بيعة الخليفة ، لتثبيت سلطانهم [٢٤] . فكان بنو زياد في زبيد وبنو يعفر في صنعاء يعترفون بالسيادة لبني العباس . ثم دخل بنو يعفر تحت سيادة بني زياد حيث استمر الحكم في دولتهم حتى خلع ابو الحسين اسحاق بن ابراهيم (٣٨٩ — ٣٩١ هـ) طاعة العباسيين ، وظهرت الزيدية على يد الامام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي عام ٢٨٠ هـ حيث اسس دولة في صعدة .

وهكذا أصبحت بلاد اليمن تتقاسمها اربع ولايات هي : الدولة الزيادية في زبيد ودولة بني يعفر في صنعاء ، ودولة بني الرسي في صعدة ، والدولة الفاطمية تحت قيادة منصور اليمن وعلي بن الفضل الجدني ...

---

(٢٤) ابن الاثير : الكامل ٩/٢١٣

حضارتنا العربية أصلها من اليمن

سميت بلاد اليمن قديما باسماء تدل على انها كانت في حقبة من تاريخها ذات حضارة يانعة ومزدهرة • فقد ذكرتها التوراة باسم «العربية الغنية» وسماها الرومان (العربية السعيدة) وسماها الفراعنة (البلاد المقدسة) وذكرها الاخباريون باسم (بلاد القصور)، كما سماها اليونانيون Arabia Felex وهي بلاد اليمن التي تسمى الارض الخضراء او البلاد السعيدة التي قامت فيها حضارة سبأ ومعين [1] •

ويقول استرابو واصفا لابناء اليمن « انهم أغنى العرب يقتنون الرياش الفاخرة ويتمتعون بكل اسباب الرخاء والترف • ويكثرون من آنية الذهب والفضة والفراش الثمينة ويزينون جدران منازلهم بالعاج والذهب والفضة والاحجار الكريمة » •

ويقول أغاثر سيدس : « انهم اغنى اهل الارض ، وسبب غناهم اتجارهم بغلال بلاد العرب والهند ، يحملونها على القوافل الى الغرب او بحرا الى بابل ، ولهم سفن ضخمة تسير في المحيط الهندي ومراكب تسير في الانهر يصلون بها الى بابل • وقد يصعدون في رحلة الى مدينة (اوبيس) ومنها تنقل البضائع الهندية والعربية وتنتشر فى بلاد مارى وارمينية وما جاورها •••»

ويقول اراتستنيس اليوناني (١٩٥ ق م) : « ان بلاد اليمن هى بلاد ثروة ورخاء عجيبين ، وانها موطن اللبان والبخور والطيوب الاخرى، وان اهلها يحبون الحرية ويتمتعون بها كل التمتع » •

ويقول هيرودوتس : « ان بلاد العرب كلهـــا كانت بلاد تفوح

Doughty, Charles, M: Travels in Arabia (1) Deserta Vol. II p. 224 (London 1930)

العطر والطيوب لأنها البلاد الوحيدة التي تنتج المر واللبان والاقاصيا والقرفة واللاذن » .

ويقول بلينوس الروماني : « فاقت بلاد اليمن الجميع ثروة بما يتوافر في أرضها من أدغال ذات عطور ومناجم ذهب ومياه للري . وهي تنتج العسل والشمع بكثرة الى ان يقول : فلو تحريت عن هذه الاقطار تماما لعلمت انها أغنى بلدان الارض قاطبة بما يتوارد اليها من كنوز دولة الرومان ودولة الفرثيين (فارس) .

ويعتبر العلامة أبو محمد الحسن بن الهمداني من طليعة المؤرخين والجغرافيين الذين نقلوا الينا الكثير عن حياة اليمن قبل الاسلام ، وما وصلت اليه قديما من حضارة ورقي في ميدان الزراعة والصناعة والعمران . وكان الكثير من آثار السبائيين والحميريين مايزال في أيامه باقيا وكان له المام كامل بخط المسند وفهم لغته . وفي كتابه (صفة جزيرة العرب) ، جـ١ ، جـ٣ ، جـ ٨ ، جـ١٠ من كتابه الاكليل يحدثنا عن الكثير مما شاهده وقرأه من آثار سبأ وحمير من الحصونات والقصور والمحافد والمعابد والسدود وصهاريج المياه وقنوات الري والابراج وتماثيل الرخام والبرنز وجلاميد الصخر الهائلة المنحوتة نحتا فنيا مدهشا ، الى غير ذلك من زخرفة الحيطان والقصور وسقوف الابنية والمعابد ، بالذهب والفضة والبرنز ، وغيرها من المعادن التي اصطنعوها واتقنوا فن استخراجها من بطون الارض مما يدعو الى الاعجاب والدهشة ..

هذا ما ذكره المؤرخون والاخباريون عن بلاد اليمن والواقع ان هذه البلاد قد وصلت قديما الى اوج حضارتها في بداية الالف الاول قبل الميلاد ، أي في عهد الملكة بلقيس ــ ملكة اليمن والجبشة ــ [2] ، لكننا

(٢) ... كانت بلقيس ملكة سبأ من اشهر ملوك اليمن ، وذكرت في التوراة والقرآن بلقب ملكة سبأ ، ولما تسلمت رسالة سليمان قالت لقومها : « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة ، وكذلك يفعلون » (سورة النمل ٢٧/٢٧) .

نجهل كثيرا من المراحل السابقة التي مرت بها الحضارة اليمنية قبل وصولها الى تلك الحقبة المتطوره ...

والمصادر الوطنية التي تحدثنا عن الحياة الاقتصادية والتشريعية والادارية للدول العربية الجنوبية عبارة عن نقوش فقط . وقد اطلعت هذه النقوش على قوانين وانظمة ومعلومات عامة ووثائق تتصل بالاهداء والبناء والعمل ، كما وصلتنا ايضا وثائق اخرى تتصل بالزراعة وجباية الاموال وتحدثنا حديثا غير مباشر عن التشريع والانظمة التي كانت سائدة في تلك البلاد . ومنها يتبين لنا ان الزراعة كانت العمود الفقرى للحياتين الاقتصادية والسياسية للدولة وان تنظيم الشعوب يجب ان يكيف والحياة الاقتصادية للبلد .

ونجد في هذه النقوش ايضا اخبارا تتصل بالحاجة الى العناية بالمسائل العسكرية كما نقرأ شيئا عن اللاهوت واثر الاراء الدينية على الحياة العامة للدولة .

فهذه المصادر هامة جدا ويجب الاعتماد عليها لانها لم تتغير وانها معاصرة للاحداث التي تتكلم عنها . لكن عباراتها الموجزة تجعل فهمها عسيرا جدا . كذلك يراعى في النقوش العربية الجنوبية انها تكتفي فقط بذكر الخطوط الرئيسية للاعمال الاجتماعية والاقتصادية والانظمة السياسية والادارية ، الا اننا لا نجد فيها تفصيلا لكل هذه الانظمة . كذلك مما يلفت النظر اننا لم نعثر حتى اليوم ـ في النقوش الجنوبية ، الا على قليل من الاشارات المتصلة بالتعريفة الجمركية او القوانين التجارية رغما من كثرة طرق المواصلات في تلك البلاد . بينما نجد بعض المؤلفين الكلاسيكيين يتركون لنا بعض الاخبار الخاصة بهذا الموضوع (٣) .

وبعد ، فاننا نعلم من الخطوط العريضة التي اطلعنا عليها والخاصة

---

(٣) لينكولوس / المترجم ١٢٣ (التاريخ العربي القديم ترجمة د . فؤاد حسنين) .

بسالك : معين وقتبان وحضرموت وسبأ (بما في ذلك حمير) ، وسائر الدول المتفرعة عنها ، بان الحضارة التي عرفها العرب في اليمن تعتبر من اقدم الحضارات العالمية وان بني قحطان من الساميين • وكانوا من قادة الحياة المتطورة فى بداية معرفتنا للتاريخ ، كما نعلم ان الموجات البشرية التي صعدت من الجنوب وانتشرت في انحاء الشمال في شبه جزيرة العرب ، جاءت من بلاد اليمن ، منبع القحطانيين العرب •••

وأصبح من الواضح لدينا اليوم بان الممالك المتحضرة التي قامت في مختلف انحاء الجزيرة العربية (٤) على اطراف العراق وفي نجد وعلى الخليج وفي صحراء سوريا ، وشرقي الاردن ، لم تكن في الاصل سوى مستعمرات عربية يمنية ، تطورت الى مستوى الممالك فى وقت من الاوقات ، وتركت لنا اخبار مدنيتها وآثارها الرائعة ، وما آثار البتراء ــ وهي في الاصل احد مراكز التجارة اليمنية ــ الا نموذجا عما وصلت اليه مدنية العرب القديمة قبل الاسلام في هذا المركز المعد لتوزيع تجارتها في الشمال •••

لم يقف انطلاق عرب اليمن القدامى عند هذا الحـــد ، فبعد ان وصلت خزاعة (الانصار) الى يثرب ، والغساسنة ، الى الشام ، والعرب العدنانيون الى الحجاز (٥) هاجر من الاثنين كثيرون الى شرق افريقيــا وشمالها في بلاد المغرب ، واحفاد الجميع لايزالون فيها •••

وعرب اليمن يكونون جاليات كبيرة في دول الشاطىء الشرقي من افريقيا ، بما في ذلك ارتريا والصومال وزنجبار ، ثم توغلوا فى داخــل افريقيا حتى وصلوا الى غربها •

ويقول بعض المؤرخين ان اهل الحبشة اصلهم من اليمن (٦) ، فهم

---

(٤) هذه الممالك هي : بنو غسان في سوريا وبنو المنذر في العراق وكندة في نجد .

(٥) وكانت كلها تنتسب الى قبائل يمنية هاجرت بعد هدم السد عقب (سيل العرم) .

(٦) يقول جلازر في كتابه (الاحباش) : « ان اصل الاحباش من جنوب الجزيرة العربية هاجروا الى العدوة الافريقية لاسباب كثيرة منها استيلاء البرثيين على ســواحل بلاد العرب الشرقية » (جواد علي : ١٥٠/٣ ، حتى ٧٤/١) وذهب بعض المؤرخين الى القول بان الحبشة مهد الساميين واصل منبتهم

الذين اتوا بالحضارة الحميرية الى الحبشة فنشأت مملكة أكسوم القديمة ، ولم تنقطع الصلة بين اليمن والحبشة حتى اليوم .

والمعروف ايضا اذ هؤلاء اليمنيين عبروا باب المندب الى وادي النيل [٧] ، ثم الى مصر في العصور الاولى ، واثبت بعض العلماء ان اللغة الفرعونية تدين لسامية بكثير جدا من الالفاظ ، وهناك قاموس ألفه الدكتور احمد كمال — العالم الاثري المصري — به مئات من الكلمات المشتركة بين العربية والفرعونية (اللغة الديموتيقية) .

هذا ، واننا نعتقد بانه من العناصر التي سخرها الله لسرعة انتشار الدين الاسلامي الحنيف دخول اهل اليمن في الاسلام دون تردد ، اي ان اسلامهم كان تلقائيا ذلك لان الديانات الوثنية في اليمن كانت الى حد كبير موحدة اذ كانوا من اتباع (ذى سموت) اى اله السماء . اي عبادة ثالوث سماوى هو الشمس والقمر والزهراء اي عبادة نجوم [٨] .

والتفسير العنصري في سرعة اعتناق أهل اليمن للاسلام ، قد يكون اقوى من ميل اليمن للتوحيد ، وهو ان اليمن في القرن السادس الميلادى كانت تتأرجح بين الزردشتية الفارسية واليهودية الدخيلة والمسيحية المفروضة ، فجاء دين الاسلام عربيا وكان من اول من اعتنقه ونصره اليمنيون فى المدينة (يثرب) من الاوس والخزرج اليمنيون .

وهكذا انضمت الى الاسلام طاقة اليمن الضخمة في مجال الفكر والنشاط وسعة الاطلاع والفتوحات .. اذ كان اليمني في عهد حمير قد تحول الى فاتح ، كثير المغامرات العسكرية والفتوحات والاستيطان في

---

(٧) راجع كتاب بين العرب والحبشة للدكتور عبدالمجيد عابدين (القاهرة ١٩٥٥) به مصادر متعددة عن هذا الموضوع ، الثقافة العربية الجاهلية في السودان : د. عبد المجيد عابدين (القاهرة ١٩٥٦) .

(٨) جواد علي « تاريخ العرب قبل الاسلام جـ٦ ص ٣١٦ » .

البلاد البعيدة كما رأينا • فحينما دعا ابو بكر الصديق المسلمين الـى الجهاد وصل في يوم واحد من اليمن عشرون الف مقاتل ومعهم سلاحهم وذخيرتهم ومؤونتهم • وقد بعث بهم ابو بكر الى العراق والشـام • واستمرت مساندة اليمنيين لاولى امبراطوريات الاسـلام في العهد الاموي ، فظهر قاداتهم المشهورين : عبدالرحمن الغافقي العكى اليمانى بطل الفتح الاسلامي في اسبانيا سنة ١١٢ هـ (٧٣١ م) ، وامـير الاندلس السمح بن مالك الخولاني فاتح قرطبة ومؤسس الامارة فيهـا سنة ٩٨ هـ (٧١٦ م) •

هذا بالاضافة الى الدور الكبير الذي لعبه اليمانيون فى ارسـاء قواعد دولة عبدالرحمن الاول الاموي الملقب بالداخل في الاندلس • فقد كان اول راية تنشر له ، هي عمامة زعيم اليمانيين الخضراء فىاشبيليه، ابو الصباح يحيى اليحصبي ، حينما اراد عبدالرحمن فتح قرطبة سنة ١٣٨ هـ (٧٥٦ م) ، ولم يكن حينذاك لجيشه راية ، واستمرت الموجات البشرية الصاعدة من الجنوب سائرة في ركب الاسلام عاملة على تطعيم الامبراطورية الاسلامية ، بالعنصر البشري المتحضر المنظـم في مختلف الميادين والمجالات العامة ••

كما نعتقد ايضا بان الفضل الاكبر في تعريب هذا الجزء الكبير من العالم الاسلامي يعود بالدرجة الاولى الى استيطان اليمنيين في الممالك الاسلامية على اعتبار ان بلاد اليمن ـ برغم من وقوعها فى الطـرف الجنوبي الاقصى لشبه جزيرة العرب ـ كانت تؤثر في احداث الشرق الادنى ، وتتأثر به ، فقد كانت هذه البلاد هي الوطن الاول للجنـس السامي ، كما اثبتت ذلك دراسات المؤرخين والمستشرقين وغيرهم مـن العلماء ، خرج منها موجات متعاقبة من الهجرات السامية نحو بـلاد الشرق الادنى منذ اقدم العصور وانتشرت الهجرات وانتهت الـى

العراق ومنطقة الهلال الخصيب ، وسهول الشام ، ودخلت مصر وشمال افريقية ، وصبغت هذه المنطقة كلها بطابع واحد في الجنس واللغــة ..

هذا بالاضافة الى تفوق هذا العرق العربي او تجانسه مع السكان الاصليين الذين قد يكون بعضهم من بقايا الموجات اليمنية التي وصلت قبل الاسلام الى الممالك الاسلامية الجديدة .

ويذكر المؤرخون بان الخليفة معاوية بن ابى سفيان ، مؤســس الدولة الاموية رفع عرشه في الشام على اكتاف اليمانية . فقد استند الى نبوغ اليمنى في الحروب والاعمال الادارية وكذلك فى النشاط الزراعى والصناعي . بمعنى ان اليمنيين الذين كانت لهم حضارة مزدهرة قديمة ، قد عرفوا قبل هجرتهم الى البلاد العربية الفنون الحربية المتطورة وعرفوا الزراعة والصناعة والادارة وضربوا فيها بسهم راجح ، فكانت كل هذه الامور مما هيأهم للنبوغ في عهد الدولة الاموية .

ويقول جورجي زيدان [٩] : « ان اكتاف اليمانية هي التي رفعت عرش الدولة الاموية » .

وكان يزيد بن معاوية من ام كلبية يمانية [١٠] ، قد تزوج ايضا من امرأة كلبية ، فأدى ذلك الى حسد القيسية (عرب الشمال) وامتنعوا عن الاعتراف بمعاوية الثاني بن يزيد ، وظاهروا ابن الزبير الذي نصب نفسه خليفة في الحجاز . فاجتمعوا بزعامة الضحاك بن قيس الفهري ، في مرج راهط وبايعوا عبدالله بـن الزبير ، كمـــا اجتمعت (كلب) اليمانية وبايعت مروان بن الحكم بالخلافة سنة ٦٤ هـ ، فاصبح بذلــك

---

(٩) التمدن الاسلامي ٥٢/٤ ، ويجب ان يكون واضحا ومفهوما ان ما اشرت اليه هنـا عن جهود اليمنيين الضخمة في الميادين المختلفة لايعدو ان يكون اضـواء خافتة ، ذلك لان هذا الموضوع وحده يصلح لان يكون موضوع كتاب مستقل .

(١٠) زيدان : التمدن الاسلامي ٥٢/٤

مؤسسا للفرع المرواني في البيت الاموى ، وعد ذلك نصر لليمانية على القيسية ، وربما يعود سبب استناد الامويين بصورة خاصة الى القحطانيين الذين وصلوا حديثا من اليمن او الذين كانوا قد استوطنوا الممالك المجاورة للشام في القرون السابقة ، الى حاجة بني امية الى الانصار من غير الهاشميين ومؤيديهم واستغلالهم للخلافات المعروفة بين القبائل لتدعيم سلطانهم بدمشق (١١) .

ولم يقل شأن اليمنيين في البلاد التي فتحوها بحقل الفكر وحسن الادارة ، عن نشاطهم العسكري ومقدرتهم على التنظيم .. وعلى سبيل المثال نلاحظ ان العرب الذين استقروا بالاراضي الزراعية في المغرب والاندلس كانوا من اليمنيين ، ونظرا لانهم اهل زراعة في الاصل ووجدوا مخلفات الرومان من الاعمال الزراعية والانشائية ، اهتموا بها وتمركزوا في مناطقها ، فكانت منهم المدنية والذهنية التي ازدهرت في بلاد الاندلس بفضل ما جلبوه معهم من طاقات ومعرفة . وقد سجلنا للدلالة على ذلك بعض آثار المنشآت اليمنية في الاندلس وهي : قلعة يحصب في اشبيلية ، وقلعة همدان في قرطبة ، وقلعة خولان في غرناطة وكلها اسماء قبائل يمنية ما برحت موجودة حتى الآن. كذلك لاحظنا من دراستنا ان ثمة تشابها كبيرا بين الالحان في اغاني الجنوب العربي وبين الموسيقى البربرية . فالخصائص الموجودة في موسيقى جنوب اليمن توجد ايضا في الموسيقى البربرية (البربر سكان بلاد المغرب قبل الاسلام) ولكن العامل الحاسم الذي يثبت وجود علاقة بين موسيقى الفريقين يكون في الطريقة والتشابه التي تنشد بها الاغاني .وهو عامل يزداد قوة بفضل فردية اللحن في الموسيقى والتشابه في الالحان كلها . وهو تشابه بارز كل البروز دائما . ونحن لا نعرف بالضبط الاصل الذي ينتمي اليه البربر ، ولكننا نعرف

---

(١١) عدنان : ٨٦

ان قبائل البربر تعيش منذ عهد بعيد في شمالي افريقيا ، ولا سيما في المناطق الجبلية من اعالي اطلس • وللبربر لغتهم الخاصة بهم وقد اختلطت هذه اللغة عبر القرون والاجيال باللغة العربية بفضل الهجرات العربية المتكررة ولكن هناك لغة بربرية اصلية يتحدث بها اهل الجنوب المعزل ، كاهل واحة سيوة مثلا ••

ولكن الموسيقى ليست الدليل الوحيد على وجود علاقة بين قبائل البربر ، وبين اهل الجنوب العربي ، فمن الحقائق البارزة ان هناك ابنية مرتفعة تشبه تلك التي تقوم في الجنوب اليمنى ، موجودة في قلب الحضارة البربرية في اعالي اطلس ، وتحمل نفس المظاهر المعمارية كالنتوءات والانابيب الخشبية لنقل مياه الامطار والكوات ••

وقد اثار هذا التشابه الكامل بين موسيقى الشعبين وفنهم المعمارى عددا من الاسئلة ، حول ما اذا كانت موسيقى البربر واهل اليمن ذات علاقة بموسيقى شعوب اخرى • وقد اثبت الاستاذ فون هورن بوستل[١٢] وجود تشابه بين هذه الموسيقى مع الموسيقى المغولية • فدرجات الالحان الخمس الموجودة عامة في شرقي آسيا تشبه الى حد ما الالحان البربرية • والخصائص المتعلقة بنشيد « الزامل » والتي يعتقد اهل اليمن ان مجرد انشاده يبث الفزع في قلوب الاعداء ويرغمهم على الفرار ، هذه الخصائص اشار اليها فان اورت في كتابه (الموسيقى المغولية) واعتبرها من خصائص المغول • ويشرح هورث بوستل ، على الصعيد التاريخي الحضاري ، انتماء البربر واهل الجنوب العربي الى اصل واحد ، ينتسب الى آسيا الشرقية ، فيقول : « انتقلت الحضارة الموسيقية ونفس التعابير الموسيقية في عصور ما قبل التاريخ من اواسط

---

(١٢) ايرك فون هورن بوستل (١٨٧٧ ـ ١٩٣٥) من علماء الموسيقى في النمسا درس في فيينا واصبح مديرا لمؤسسة الوثائق الموسيقية في فيينا وسجل الكثير من اغاني الشعوب غير المتحضرة •

آسيا الى الشرق بواسطة المغول ، والى الغرب بواسطة شعوب اخرى نطلق عليها الآن اسم البربر والعرب الجنوبيين ، وذلك الى الاماكن التي يعيشون فيها الآن • »

واذا كانت هذه النظرية مقبولة او سوف تصبح مقبولة اذا تأكدت ملاحظات اخرى ، ولا سيما في حقول ثانية غير حقل الموسيقى ؛ فيصبح معناها ان اهل الجنوب العربي والبربر من اصل واحد مقره الاصلي وسط آسيا وشرقها ••

هذا الرأي يتعارض مع النظرية العربية التي تقول ان البربر يرجعون الى اصل سامي نتيجة النزوح بعد انفجار سد مأرب فى اليمن، وحجتهم في ذلك ان البربرى القديم يميل لونه الى السمرة المشربة بشيء من الصفرة رأسه بارز الجبهة محدب الانف ، جاحظ العينين مدبب الذقن • وهذه كلها صفات سامية • هذا بالاضافة الى وجود حروف في اللغة البربرية قلما توجد الا في اللغات السامية (ح — ض — غ) •••

ومهما يكن من أمر الاصل الجنسي ، فان الاثر الثقافي اليمني ملحوظ في الشمال الافريقي في اكثر من مظهر من مظاهر الحضارة •

اما عن حركة التعريب التي انتشرت فى كل هذه المناطق بعد دخولها في الاسلام فنظرة فاحصة الى القبائل العربية التي استقرت في بلاد المغرب وخاصة في ليبيا ، يتضح ان معظمها من اصل قحطاني يمنى •••

اما عن قرابة اهل اليمن باهل وادي النيل فانتشار القبائل العربية اليمنية في انحاء البلاد المصرية منذ زمن بعيد ، واستقرارهم في هذه البلاد قرون طويلة كان له اثر كبير في حركة التعريب • والى الآن نجد هذه القبائل باسمائها القديمة على الرغم من تقادم الزمن على تركها مقر اقامتها الاصلي •فنجد على سبيل المثال بنو جهم فى المنيا واسيوط ومنفلوط ، وبنو خزاعة منتشرين بين الجيزة واسيوط ، وبنو طي ومنهم

سنبس والخزاعلة وغيرهم ، وقد سكنوا اولا في منطقة غزة ، ولما اشتدت وطأتهم على الولاة ، استدعاهم الوزير الناصر عام ٢٤١ هـ واقطعهم البحيرة ، حتى جاء عز الدين ايبك التركماني ، انف العرب الخضوع له لانه مملوك ، فطردهم هذا الى (سخا) غربية ومنها انتشروا في محافظة الغربية كلها ٠٠٠

ونزل بنو عمار في طهطا ، وبنو عيسى في الصحراء الغربية والفيوم ، وقضاعة ومنهم بلى وجهينة وهم فرسان الرسول (صلعم) جاءوا الى مصر بأمر عمر بن الخطاب ، واستقروا في الشرقية والقليوبية وبين سوهاج والبلينا ٠

ولست هنا في صدد حصر القبائل اليمنية التي استقرت فى مصر والتي انتشرت منها واستقرت في الشمال الافريقي او السودان ٠ ومهما يكن من امر عالمنا العربي من حيث تعريبه ومن حيث دخول اهله فى عقيدة الاسلام ، فان الاساس العربي — في جميع ما نسميه الآن بالعالم العربي يرجع في غالبيته الى اليمنيين ٠ سواء هاجروا الى هذه المناطق قبل او بعد الاسلام ، والباحث المدقق يمكن ان يلمس بسهولة الرسالة الجبارة التي قام بها العنصر الجنسي القحطاني اليمني ، في بناء كيان الدولة العربية على اسس قوية متينة ٠

خدمات اليمنى للحضارة الانسانية

لاشك ان اليمني استفاد كثيرا لتنقله بين مشرق الارض ومغاربها في الالف الاول قبل الميلاد ٠ ان هذا التنقل جعل اليمنيون يطلعون على مدنية الهند وفارس وبلاد مابين النهرين والبحر المتوسط معا ، ويعملون على نقل خير ما عند الطرفين للآخر ، لا من السلع فحسب بل من الافكار والفنون ، لاننا لانستطيع ان نصدق ان قافلة كبيرة كهذه تنتقل بتجارتها العظيمة للتعامل مع دولة اجنبية ، من غير ان يكون فى هذه

القافلة افراد يعرفون لغة الذين يتعاملون معهم ويكونون واسطة للتعارف بينهم • وقد ساعد هذا من غير شك على تبادل الفن والمعرفة في جميع المجالات وعلى نطاق ضخم لايمكن حصره • هذا الى جانب ماهو منطقي من تركيز زبدة ما في المدنيات المختلفة في افكارهم ومفاهيمهم وانصهارها في حياتهم ، مما جعلهم في منصب القيادة للمدنية حقبة طويلة من الزمن لا تقل عن ١٣٠٠ عام •••

وكما انهم احتكروا مدة ثلاثة عشر قرنا التجارة بين المحيط الهندي والبحر المتوسط ، كذلك احتكروا بطبيعة الامر ، زبدة المدنيات المعروفة وجمعوا فضائلها ، مما جعلهم حتما في مكانة الصدارة بالعالم المتطور الذهني •• واكبر دليل على تطورهم الانساني هو ما وصلوا اليه في التشريع •

يقول الدكتور فيليب حتي [١٣] : « وهناك بضع وثائق شرعية عامة وهي قوانين شرطة منقوشة على اعمدة منصوبة في مداخل الهياكل وما يحاكيها من الاندية العمومية ، وفيها انذار للشعب ان يمتنعوا عن منكرات معينة والا فينزل بهم العقاب » •

وهذه الوثائق تنم عن تطور الحياة الدستورية ، فشريعة حمورابي وشريعة موسى انزلتا من فوق وليست شرائع الحيثيين الا مراسيم اصدرها ملوك مسيطرون ، اما شرائع عرب الجنوب فتمتاز بصفات النضج الشرعي والبلوغ السياسي • وتدل على نظام دولة تلوح من خلاله اوضاع الحكم النيابي ، وربما لم يكن في آثار القدم السحيقة مايدانيها رقيا » • ويقول الهمداني [١٤] : « لم يصل الى احد خبر من اخبار العرب والعجم الا من العرب (كذا) • وذلك لان من سكن مكة احاط بعلم العرب العاربة ، واخبار اهل الكتاب وكانوا يدخلون البلاد

---

(١٣) العرب : ٦٦ – ٦٧

(١٤) الوشي المرقوم ، امين (ف) ٢٩

للتجارة فيعرفون أخبار الناس • وكذلك من سكن الحـيرة وجاور الاعاجم ، علم اخبارهم وايام حمير وسيرها في البلاد • وكذلك مـن سكن الشام خبر الروم وبني اسرائيل واليونان • ومن وقع بالبحريـن وعمان فعنه اتت اخبار السند وفارس ، ومن سكن اليمن علم اخبـار الامم جميعا لانه كان في ظل الملوك السيارة » • ولكن ولكي نضـع امام القارىء صورة اكثر وضوحا نستعرض بعض نواحي خدمـات اليمن الانسانية كالآتي : ـ

ـ في العلوم : ان اسفار اليمني العديدة في الصحارى الشاسعة والمحيطات الواسعة ومعرفة تفادي الاخطار فيها ، ومنها الخوف مـن ان يخطىء هدف الطريق ، كانت تستند بالدرجة الاولى على اتقانـه لعلم الفلك الدقيق الذى كان الوسيلة الوحيدة في هذه العصور التـي تسمح للمسافر بالتوجه الى مقصده دون ان يضل الطريق ويهلك • كذلك لولا معرفته الدقيقة بالرياح الموسمية ومواعيدها واتجاهاتها ووضعـه الخرائط للسواحل والجزر والبحر الاحمر الخطير على الملاحة ، لمـا تمكن من اقتحام المحيط •

ـ بناء السفن : كما ان تطوير بناء السفن واتقان استعمال الشراع ، من الامور التي تنتج بطبيعة الامر عن الاسفار البعيدة فى المحيط ، وفي البحر الاحمر الكثير الانواء الدقيق المسالك •

ـ فن العمارة : كانت بلاد اليمن تسمى بلاد القصور ، وفيهـا تـم تشييد اول ناطحة سحاب في العالم ، حوالي القرن الاول قبل الميـلاد ، حيث انشيء قصر رغدان ، وكان ارتفاعه مائتي ذراع • وابنية اليمـن العديدة الطبقات التي تمتاز بطراز خاص يكاد لايكون له مثيل في بلد آخر ، حيث تمتاز هذه الابنية بالزخرفة من الخارج ، وتحتوي علـى

النوافذ الكاذبة ، وتمتاز بعدد الطبقات واستعمال المرمر الشفاف في تزيين القسم العلوي من النوافذ .

والذي يجب ملاحظته للدلالة على رقي اجتماعي كبير لا مثيل له الآن حتى في بعض البلاد الراقية هو تخصيص اليمني ـ في الارياف ـ الدور الاول للحيوان والادوار العليا لسكن الانسان ، وفي هذا دليل على رقي ملموس في الحياة الاجتماعية حتى فى الارياف ،. واجمل ما ترك لنا الفن المعماري القديم في اليمن والذي اندثر استعماله الآن الا في بعض الابنية الحديثة جدا في العالم ، هو استعمال الاعمدة المربعة الشكل والتي لاتقل رونقا عن الاعمدة الاسطوانية .

ـ الطب :

نقل اليمني عن اجداده الكثير من معرفة خصائص الحشائش وغيرها لمعالجة الامراض ولسرعة التئام الجروح ونحو ذلك ، وتحتفظ الكثير من البيوتات اليمنية في أيامنا هذه ، باحجار خاصة لامتصاص سم لدغة الافعى . وهذه الفصوص والاحجار كناية عن رواسب متحجرة توجد في احشاء بعض الحيوانات ، كما يحتفظ بنوع من السمن ـ مغطى بالعفونة ـ يستعمل على الجروح لمساعدتها على سرعة الالتئام . اما التسمم والحصول على مناعة منه، فهو معروف. وكذلك علاجات عديدة عرفها الاولون ولا يزال يتناقلها البعض الى ايامنا هذه ، وهي تحتاج الى دراسة علمية عضوية لمعرفة حقيقة فوائدها . وهي على كل حال من تراث العلم الطبي القديم المندثر . هذا ولا شك يدل على ان مستحضرات التجميل كانت منتشرة . قال تعالى : « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » .

الزراعة وفنونها :

عرف اليمني كيفية المحافظة على التربة واصول

التسميد ، ومكافة الآفات الزراعية والعناية بالكرمة • كذلك عرف وسائل العناية بالحيوان وعلفه ومعالجته • ولا شك ان هذه المعلومات القيمة ظلت حقبة كبيرة من الزمن ، تعمل بها الامم ، وذلك قبل وثبة العلم الاخيرة ، منذ بداية القرن الماضي ، وقد يكون العالم الحديث بحاجة لمعرفة بعضها ليتبناها او يعمل على تحسينها •••

الصناعة وفنونها

اشتهر اليمني منذ العصور الاولى بصناعة الأسلحة الحادة وهو لا يزال يصهر الفولاذ الممتاز لصناعة خنجره التقليدي (الجنابية) • ولا تظن ان هذه الصناعة قد تطورت كثيرا او قليلا منذ استولى اليماني على سر تلك الصناعة الدقيقة وجلبها الى الآن •

الخدمات الفكرية للانسانية :

لا نعلم بغير التخمين والتقدير نوع هذه الخدمات الفكرية والفلسفية ولا شك في ان اليمني قد تكونت عنده مفاهيم وفلسفات خاصة به ، ناتجة عن تجمع عدد اكثر مما عند سواه من العناصر الفكرية التي ادخلها في بوتقته واخرجها ممزوجة بطابعه الخاص • ودليلنا على مدى ما اخذه العرب في جاهليتهم ، ومدى تأثرهم بما أخذوه ، ما دخل لغتهم من كلمات كثيرة فارسية ورومانية ومصرية وحبشية نقلها هؤلاء التجار وأمثالهم ، واصبحت بمضي الزمن جزءً منها ، خضع لقوانينها ونطق بها القرآن الكريم (١٥) •

هذه من غير شك صفحة مشرقة من تاريخ اليمن لا يمكن ان يتجاهلها منصف مهما كانت الظروف السيئة التي قاسى منها الشعب اليمني بعد ذلك ، بوضعه في سجن الائمة لمدة ألف سنة تقريبا ، لم

---

(١٥) امين / ف ٢٩

ير الشعب فيها النور . فأنزوى بعيدا عن الحياة في شتى ميادينهـــا المتطورة ، في الوقت الذي كانت الشعوب الاخرى تثب بخطى واسعة نحو التقدم . فلما انبلج صبح الثورة المظفرة فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢، وتحطمت اسوار السجن ، انطلق الشعب من عقاله، واخذ يخطط لمستقبله المنشود راجيا ان يقفز سريعا ، ليطوى ما فاته في سنوات سجنه . ولكن حالت دون ذلك عقبات وعقبات أوقفته عن السير وفقا لمخططه المرسوم. ونرجو مخلصين ان يكتب الله لشعب اليمن التوفيق ..

رابعا : دولة بني زياد بزبيد :

٢٠٥ ـ ٤٠٢ هـ = ٨٢١ ـ ١٠١٢ م

حكامها : (١) محمد بن ابراهيم بن عبيد الله بن زياد بن ابي سفيان [١] شعبان سنة ٢٠٤ هـ

(٢) ابراهيم بن محمد ٢٤٥

(٣) زياد بن ابراهيم ٢٨٩

(٤) ابو الجيش اسحاق بن ابراهيم [٢] ٢٩١

استولى علي بن الفضل علي زبيد سنة ٣٠٣ هـ

(٥) عبدالله بن اسحاق (حتى سنة ٤٠٩ هـ)

الوزراء والحجاب :

أ ـ رشيد الحبشي (من قبل هند [٣] بنت اسحاق التي كفلت اخاها عبدالله الصغير) ٣٧١ هـ

ب ـ الحسين بن سلامة النوبي ٣٧٣

(٦) ابراهيم بن عبدالله (آخر من بقي من بني زياد ، قتله نفيس سنة ٤٠٩ هـ)

جـ ـ مرجان (حتى سنة ٤١٢ هـ)

د ـ نفيس (حتى سنة ٤١٢ هـ)

هـ ـ نجاح (عبد حبشي انشأ دولة جديدة) ٤١٢

---

(١) ابن خلدون ٢١٢/٤

(٢) حكم من ٢٨٩ ـ ٣٧١ هـ (ابن المجاور ١ / ورقة ٥٢)

(٣) ابن خلدون ٢١٤/٤ (٤) نفســه

أهم الاحداث في عهدها :

١ ــ نسب ابن زياد ــ فيما يبدو ــ يصل به الى عبيدالله بن زياد . الذي قام بدور رئيسي في مقتل الامام الحسين بن علي ، سبط النبي صلى الله عليه وسلم • وهو جد مؤسس مدينة زبيد، وزياد والده فيما عرف عنه ابن لابى سفيان ، واخ لمعاوية وقد اقترن مولده ، بما يثير الشبهة حول حقه في ادعاء هذا النسب حتى اشتهر باسم (زياد ابن ابيه) • وان كان معاوية قد اقر بأخوته • فاقراره هذا لم يكن عن اقتناع منه بحقه في النسب بقدر ما كان ذريعة أراد بها تآلف جماح هذا الرجل الخطير الطموح •

ويغلب على الظن ان معظم ما ظفر به زياد من نجاح وسلطان ، انما يعزى الى ملكة الخطابة لديه • فقد روى انه حين كان فتى لم يكد يجاوز العشرين من عمره ، خطب في المدينة خطبة ، اسرت بلاغتها لب سامعيه ، فقال عمرو بن العاص : « لله در هذا الغلام •• لو كان ابوه من قريش لوسعه ان يسوق العرب بعصاه •• » عندئذ قال ابو سفيان : « اني والله لاعلم من ابوه » • وكان علي قريبا منه ، فالتفت اليه يقطع هذا الحديث الخطر ، ويقول له : « صه يا ابا سفيان ، انك لتعلم ان عمر لو ادرك ما عنيت ، لما نجوت من عقاب معجل » ••

وقد ولد زياد في السنة الاولى للهجرة ، وتوفى سنة ٥٣هـ [٥] •

٢ ــ ارسل الخليفة المأمون العباسي ، ابن زياد لليمن عام ٢٠٣هـ ، لقمع ثورة العلويين الذين قاموا بزعامة ابراهيم الجزار ، يهددون بسلخ اليمن عن بقية الدولة ••• يقول ابن خلدون : « واختار المأمون ابن

---

(٥) عمارة / حسن : حاشية (٤) ص ١٨٤ ــ ١٨٥

زياد ، لما عرف عنه من شدة بغضه لآل علي .» [٦]

٣ ــ ويقول ابن خلدون : « وصل محمد بن ابراهيم من ولد عبيدالله بن زياد اليمن سنة ثلاث ومائتين ، ففتح تهامة اليمن ، واختط فيها مدينة زبيد عام ٢٠٤ هـ [٧] ونزلها واختارها كرسيا لتلك المملكة . وولى على الجبال مولاه جعفرا . وفتح تهامة بعد حروب مع العرب ، واشترط على عرب تهامة الا يركبوا الخيل ، واستولى على اليمن أجمع، ودخلت فى طاعته اعمال : حضرموت والشحر وديار كندة ، وصار في مرتبة التبابعة .. »

وكان في صنعاء ــ قاعدة اليمن ــ بنو يعفر من حمير ــ بقية الملوك التبابعة ، قد استبدوا بها ولكنهم كانوا مقيمين بالدعوة لبني العباس ، ولهم مع صنعاء بلاد بيحان ونجران وجرش . وكان آخرهم أسعد بن يعفر ثم اخوه محمد ، فدخلوا في طاعة بني زياد . وكان في عثر ــ من ممالك اليمن ايضا ــ سليمان بن طرفة ، وقد دخل هو الآخر في طاعة بني زياد [٨] .

٤ ــ وقال الخزرجي [٩] عن اسوار زبيد : « ان الحسين بن سلامة ، هو اول من شيد اسوار مدينة زبيد ، ثم رممها من الله الفاتكى

---

(٦) روى الطبرى أن ثورة اخرى وقعت باليمن سنة ٢٠٧ هـ ، وقد قادها عبدالرحمن ابن احمد العلوي . وليس من السهل التوفيق بين هذه الرواية وبين الروايةالقائلة بان هذهالثورة الاخيرة ، انما شبت بتهامة اليمن ، ولم تستشر سريعا على النحو الذي ذكره عمارة . ويخبرنا الهمداني : صفة (صفحة ١٠٣) ان اسرة بني شريح (وهم بطن من قبيلة ذى رعين الحميرية) ، قد سيطرت على تهامة اليمن منذ عهد المعتصم (٢٢١٨ ــ ٢٢٧ هـ) ، حتى عهد المعتمد (٢٥٦ ــ ٢٧٩ هـ) . ويروى لنا في موضع آخر (ص ١٢٠) ان بني شريح قد سيطروا في زبيد سيطرة تامة على كافة القبائل القريبة المجاورة .

(٧) ابن الديبع (ب) ورقة ٥ .

(٨) عمارة / حسن حاشية (٨) ص ١٨٩ .

(٩) نفسه حاشية (٦) ص ١٨٧ .

عام ٥٢٠ هـ ، ثم اعاد ترميمها كل من بني مهدي ، وسيف الاسلام طغتكين الايوبي عام ٥٨٩ هـ •

٥ ـ ويقول عمارة (١٠) : « لما تقلد جعفر مولى بني زياد ، الجبال اختط بها مدينة المذيخرة بمخلاف ريمة الاشاعر (١١) ، ذات الانهار والاشجار الواسعة • والبلاد التي كانت لجعفر تسمى الى اليوم بمخلاف جعفر • وكان جعفر هذا احد الكفاة الدهاة وبه تمت دولة ابن زياد ، لانهم يقولون « ابن زياد بجعفرة » •

٦ ـ ذكر الخزرجي ان ابن زياد ظل في الحكم يواصل الخطبة لبني العباس ، ويحمل الاموال والهدايا السنية للخلفاء ، حتى توفى سنة ٣٤٥ هـ ، فخلفه ابنه ابراهيم الذي لم يحكم طويلا • ويقال انه توفى عام ٢٩١ هـ حيث خلفه اخاه ابو الجيش اسحاق وطالت مدته ؛ فلما أسن تشعب عليه من دولته بعضها • فمن اظهر له بعض مايكره ملك صنعاء ، وهو من اولاد التبابعة من حمير (١٢) ، واسمه أسعد بن يعفر ، ولكنه كان يخطب لابى الجيش ابن زياد ، ويضرب الدراهم على اسمه ، ولم يكن ينفذ لابى الجيش هدية ، ولا ميرة ولا ضريبة ، واما اصحاب

---

(١٠) نفسه ٣٧ •

(١١) وقد نص الجندي (ورقة ١٨٢) هذا الكلام ، فقال : ان بلدة المذيخرة تقع على جبال لومان وبانيها هو ابراهيم المناخى (واسمه الحقيقي جعفر بن ابراهيم المناخى) ويقول صاحب انباء الزمن / دار ص ٢٠ : «وهو الذي ينسب اليه مخلاف جعفر» • وقد ملك جعفر هذا خمسين سنة ، كما ملك أبوه ابراهيم ثلاثين سنة (الهمداني / صفحة ١٠٠) • ولكن ابن الديبع (بغية ورقة ٢٩) يقول : ان مخلاف جعفر ينسب الى جعفر مولى ابن زياد ، ويقول ابن المجاور (ورقة ٥٤) وهو الآن معروف بالعدين والجبش / هـ / ح ٣٦ هامش (١) • ويستمر الجندي في قوله بان جعفر المناخى ينتسب الى ذى المناة الحميري كما ينتسب الى ذى المناخ، واستمر عقبه الى زمن الجندى نفسه وكانوا يعرفون بسلاطين قياض ، وقد استولى ابراهيم والد جعفر على ريمة ولومان وبسط نفوذه على الجانب الاكبر من مخلاف جعفر • ويقول الخزرجى : بان معركة شهيرة وقعت في وادى نخلة بين علي بن الفضل القرمطي ، قتل فيها جعفر وابنه وأخيه ابو الفتوح وبان حكم جعفر استمر ٤٣ سنة (٢٢٩ ـ ٢٩٢ هـ) (راجع حاشية ٦ في كتاب عمارة / حسن ص ١٨٦ ـ ١٨٧) •

(١٢) راجع ذلك فيما بعد

بيجان ونجران وجرش ، فهم أيضا تحت طاعة ابن زياد . واما صعدة فقد ثار بها الشريف يحيى بن الحسين المعروف بالرسي ثم الزيدى وامتنع عليه كذلك : سليمان بن طرف ، صاحب عثر ، وهو من ملوك تهامة ، وعمله يمتد من الشرجة الى حلى ، ومبلغ ارتفاعه (جملة ايراده السنوى) في السنة حوالي خمسمائة الف دينار ، ولكنه ظل يخطب لابن زياد ، ويضرب السكة باسمه ويحمل له مبلغا من المال كل سنة . كذلك فعل الحرامي صاحب حلى ، فكان يخطب لابن زياد ويضرب السكة باسمه ويرسل له اتاوة سنوية مستقرة .

ولم يسلم لابى الجيش من اليمن ـ بعد ان طعن سنه ـ الا من الشرجة الى عدن ومن غلافقة الى صنعاء .

ويذكر الخزرجى بعد وفاة ابى الجيش عام ٣٧١ هـ ، بانه ليس لدينا شيء عن الامراء الاخيرين من هذه الدولة ، بل ان اسماءهم لا تزال موضع شك . والطفل الذي خلف ابا الجيش فقد كان اسمه عبدالله او زياد ، وقد كفلته عمته هند بنت ابى الجيش ، وعبد لابى الجيش يدعى رشيد . وكان من عبيد رشيد هذا ، عبد حبشي من اولاد النوبة اسمه الحسين بن سلامة [١٣] ، ونشأ الاخير حازما عفيفا ، فلما مات مولاه رشيد ، وزر لولد ابى الجيش ولاخته هند بنت ابى الجيش . وقد تمكن الحسين هذا من كبح جماح حكام الاقاليم والجبال ، الذين خرجوا عن الطاعة في اواخر عهد ابى الجيش .

واختط الحسين بن سلامة مدينة الكدراء [١٤] ، على وادى سهام ، كما اختط مدينة المعقر ، على وادي ذوال . وكان عادلا على الرعايا كثير الصدقات والصلات [١٥] في الله تعالى ، مقتديا بسيرة عمر بن عبدالعزيز

---

(١٣) يحيى بن الحسين ٣٦ ، ابن الديبع (ب) ورقة ١٩

(١٤) الهمداني (ص) ٥٤ ، ٧٢

(١٥) عمارة / حسن ٢٠١ ـ ٢٠٣ حاشية ١٣

في اكثر الاحوال • وعمر في وظيفته ثلاثين سنة حيث توفى سنة اربعمائة واثنـــين •

ومن محاسن الحسين بن سلامة انه انشأ الجوامع الكبـــار ، والمنارات الطوال من حضرموت الى مكة ، كما انه حفر الآبار الروية ، والقلب [16] العادية في المقافر المنقطعة •

٧ ــ ويقول الجندي : « انه من الواضح ان سلطان بني زيـــاد ظل في عنفوانه مدة تبلغ ١٦٨ سنة (٢٠٣ ــ ٣٧١ هـ) ، ثم قام منهم بعد هذا التاريخ الى وفاة آخر امرائهم في سنة ٤٠٩ هـ ، حكام ليس لهم من الحكم غير مظهره ، استمروا ٣٨ سنة ، وزر فيها مرجان مـــن عبيد الحسين بن سلامة • وكان للاخير عبدان من عبيد الحبشـــة هما : نفيس ، وكان يتولى التدبير بالحضرة ، والثاني نجاح وهو جد ملـــوك زبيد • ثم وقع التنافس بين نفيس ونجاح ــ عبدي مرجان ــ علـــى وزارة الحضرة • وكان نفيس عسوفا مرهوبا ، ولكن نجاح كان رؤفـــا بالناس ، عادلا على الرعايا • ونما الى نفيس ان عمة ابن زياد (مولاه) ، تكاتب نجاحا سرا ، وتميل اليه • فشكا نفيس من ذلك الى مرجـــان • ففبض مرجان عليها وعلى ابن اخيها ابن زياد ، وهو آخر القوم ، فزالت دولة بني زياد باليمن وانتقلت الى عبيد عبيدهم •

« ثم ان مرجان لما قبض على موليه : عبدالله وعمته هند ، دفعهما الى نفيس فبنى عليهما جدارا وهما قائمان يناشدانه الله حتى ختمـــه عليهمـــــا •• »

« وكان بنو زياد ، لما اتصل بهم اختلال الدولة العباسية ، مـــن قتل المتوكل سنة ٢٤٧ هـ ، وخلع المستعين سنة ٢٥٢ هـ ، تغلبوا علـــى

---

(١٦) عمارة / حسن ٤٠ ــ ٤١ (القلب = الابار)

ارتفاع اليمن وركبوا بالمظلة وساسوا قلوب الرعايا ببقاء الخطبة لبني العباس ، فلما قتل نفيس مولاه وعمته ، تملك وركب بالمظلة وضرب السكة باسمه ... »

٨ ـ وحين نما الى نجاح ما فعله نفيس في مواليه ، دعا الاحمر والاسود ، وقصد نفيسا الى زبيد ، فجرت بينهما عدة مواقع منها : فشال ورمع وهما على نجاح ، ومنها : القعدة وهي على نفيس . ومنها : يوم العرق وفيه قتل نفيس على باب زبيد حيث قتل معه خمسة آلاف من الفريقين ، وفتح نجاح زبيد في ذي القعدة سنة ٤١٢ هـ . وقال نجاح لمرجان : مافعل بسواليك وموالينا ؟ قال : هم في ذلك الجدار ..

فأخرجهما نجاح ، وصلى عليهما ، وبنى لهما مسجدا ، واعاد مرجان في موضعهما فبنى عليه حيا ، وركب نجاح بالمظلة وضرب السكة باسمه ،

وكاتب أهل العراق ، وبذل الطاعة ، ونعت نجاح بلقب المؤيد نصيرالدين ، وفوض اليه تقليد القضاء لمن يراه ، والنظر العام على الجزيرة اليمنية .

٩ ـ ويقول الخزرجي « بعد وفاة الحسين بن سلامة سنة ٤٠٢هـ ، تناثرت بلاد اليمن الى ولايات وقلاع وحصون على النحو الآتي :

تغلبت همدان على صنعاء ، وتغلب بنو معن (١٧) على عدن ولحج وأبين والشحر ، وحضرموت ، وتغلب بنو الكرندي ـ وهم قوم من

---

(١٧) بنو معن ليسوا من ولد معن بن زائدة الشيباني ، الذي كان واليا على اليمن في الفترة ما بين (١٤٥ ـ ١٥١ هـ) ، من قبل الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور (عمارة / حسن ٢٠٩ حاشية ١٩ ، ٢٠)

حمير [١٨] ـ على السمدان وعلى حصون الدملوة وصبر وذخر ، وتعكر وهو الحاكم على الجند ومخلاف جعفر ومخلاف عنه ، وتغلب ابو عبدالله الحسين بن النيعي على حصن حب ، وهو نظير التعكر ، وعلى عزان ، وخدد ، وبيت عز ، وحصن الشعر ، وحصن أبور والنقيل ، والسحول والشـــوافي ..

وتغلب بنو وائل [١٩] بن عبس ، على وحاظة وحصونها : يريـــس وزهران والخضراء وسعب ، ويفوز [٢٠] .

---

(١٨) هم اهل المعافر ـ وقال عمارة : ولبنى الكرندى سلطة ظاهرة ودولة فاخـــرة (عمارة / حسن ٢٠٩)

(١٩) وهم من ذى الكلاع ، ولهم رياسة متأثلة ، وفيهم حماقة ، يرون انهم اشرف بني آدم على الاطلاق ومنهم أسعد بن وائل ، صاحب الكرم العريض والثناء المستفيض (نفســـه)

(٢٠) راجع التعريف بكل هذه الاماكن والحصون بكتاب (عمارة / حسن ٤٦ ـ ٤٧)

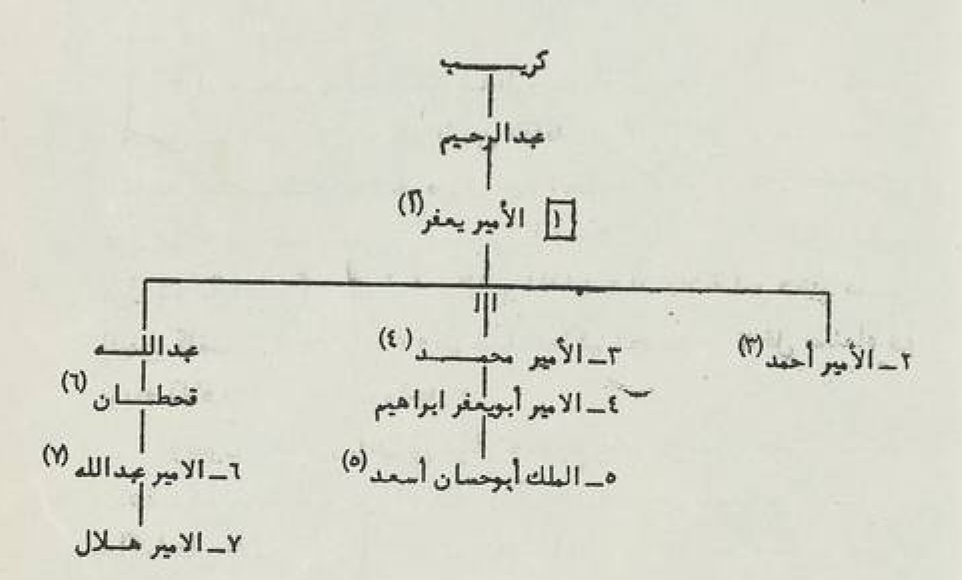
خامسا : دولة بني يعفر الحوالي الحميري [1]

٢٢٥ ـ ٣٩٣ هـ = ١٠٠٣ م

(بصنعاء وجند)

٢٢٥ ـ ٣٩٣ هـ

٨٤٠ ـ ١٠٠٣ م



---

(١) الهمداني (ب) ٦٠٧ ـ ٦٠٨

(٢) اول من تولى الامارة سنة ٢١٢ هـ (نفسه جـ ٢)

(٣) تنازل (نفسه)

(٤) قتل سنة ٢٧٠ هـ (نفسه)

(٥) توفى سنة ٣٣٢ هـ (نفسه)

(٦) تزوج بمعاذة بنت علي بن الفضل الجدني الجيشاني

(٧) قام بالدعوة الفاطمية ، وغزا زبيد سنة ٢٧٩ هـ ، وتوفى سنة ٣٨٧ هـ (هـ / ج : ٣٣٣)

أهم الاحداث في عهدها :

١ ــ قامت دولة آل يعفر الحوالي الحميري [٨] في اليمن في اواخر عهد الخليفة المتوكل العباسي (٢٣٢ ــ ٢٤٧ هـ) وكان جدهم عبدالرحيم بن ابراهيم الحوالي ، نائبا عن جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي ، الذي كان واليا على الجند من قبل الخليفة المعتصم (٢١٨ ــ ٢٢٧ هـ) . ولما توفي عبدالرحيم خلفه ابنه يعفر . وهو رأس الدولة ، وباعث استقلالها سنة ٢٤٧ هـ [٩] . واستمر اعقابه في صنعاء ، حتى سنة ٢٨٧ هـ ، وهو من اولاد التبابعة من حمير ، كما حكاه عمارة [١٠] .

٢ ــ ونسمع عن يعفر بن عبدالرحيم لاول مرة ــ كما جاء في الجندي ــ عندما كان يحكم اليمن القائد التركي ايتاخ ، الذي نصبه الخليفة المعتصم سنة ٢٢٥ هـ . وفي عهد الخليفة الواثق (٢٢٧ــ٢٣٢هـ) ، عزل ايتاخ ، واعيد جعفر بن دينار واليا (وكان قد وليها من قبل ثم عزل بتولية ايتاخ) . يقول ابن الاثير [١١] : « ان ولاية ابن دينار على اليمن كانت سنة ٢٣١ هـ ، وان هذا الحاكم الجديد دخل صنعاء فى اربعة آلاف فارس والف راجل .

ويقول الجندي : اذابن دينار ، هاجم يعفر بن عبدالرحيم ، ولكنهما تهادنا ، ولما بويع المتوكل بالخلافة سنة ٢٣٢ هـ ، عين حمير بن الحارث حاكما على اليمن ، ولكن الحاكم الجديد عجز عن مقاومة هجمات يعفر .

---

(٨) الهمداني (ك) ٦٠٧ ــ ٦٠٨

(٩) تولى الامارة عام ١٦٢ هـ (نفسه جـ ٢)

(١٠) عمارة (كاى ٤)

(١١) ٨/٧

حتى اضطر الى العودة هاربا الى العراق ، ثم اغتيل المتوكل بعد ذلك سنة ٢٤٧ هـ ، وسيطر يعفر على صنعاء والجند ، ولكنه لم يسيطر على تهامة ، التي كانت منذ سنة ٢٠٣ هـ خاضعة لنفوذ بني زياد (١٢) .

٣ ـ ولما توفي يعفر ، خلفه ابنه محمد ، الذي دان لسيادة الخليفة المعتمد العباسي (٢٥٦ ـ ٢٧٩ هـ) فنصبه حاكما على صنعاء ، ودخلت في حوزته حضرموت والجند وتحالف مع بني زياد ، وكان يدفع لهم الجزية السنوية .

وفي سنة ٢٦٢ هـ حج محمد هذا ، بعد ان اناب عنه ولده ابراهيم ، فلما عاد سنة ٢٦٥ هـ ، شيد مسجد صنعاء على الطراز الذي احتفظ بطابعه حتى عصر الجندي . وقد قتل ابراهيم اباه . ثم لم يكفه قتله ـ فيما نقل الجندي عن ابن الجوزي ـ بل قتل عمه وابن عمه وزوجة ابيه قبل انقضاء سنة اشهر على وفاة المعتمد . اي في المحرم سنة ٢٧٩ هـ . وظل ابراهيم محالفا لبني زياد ، ولكن حكمه لم يدم طويلا . حيث توفي فخلفه ابنه اسعد ، الذي في عهده غزا الامام الهادي الرسي (١٣) صنعاء سنة ٢٨٨ هـ ، وزج في السجن برؤساء بني يعفر ، ولكنهم تمكنوا من الهرب الى شبام حيث استرد أسعد نفوذه فيها على اتباعه ، ثم تمكن من ارغام الامام على ترك صنعاء ، ولكن القرامطة (١٤)

---

(١٢) عمارة / حسن ١٨٩ ـ ١٩٠ حاشية (٨)

(١٣) ورد نسبه في جمهرة انساب العرب لابن حزم ص ٢٨ على الوجه الاتي : يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن ابراهيم طباطبا بن اسماعيل بن ابراهيم ابن الحسن بن الحسن بن علي بن ابى طالب . ويقول نشوان الحميري في كتابه الحور العين ص ٢٢٩٦ : ولقبه الهادي الى الحق ، وولد هذا الامام سنة ٢٤٥ هـ ، وتوفي سنة ٢٩٧ هـ ، وكان عالما جليلا ، خطب له بمكة سبع سنوات (اتعاظ الحنفاء ١٢) .

(١٤) يذكر (كاى) نقلا عن المؤرخين العرب ، كلمة « القرامطة » كثيرا بدون تحفظ والواقع ان اسماعيلية اليمن ليسوا قرامطة ، بل فاطميون ، والفرق بين الاثنين ، ان القرامطة يؤمنون بالباطن فقط ، وان الفاطميين يؤمنون بالظاهر وبالباطن معا (هـ / ح ٢٧ ـ ٦١)

ما لبثوا ان فتحوها سنة ٢٩٩ هـ [١٥] . بل فتحوا جزءا كبيرا من بلاد اليمن ، ولكن عند وفاة علي بن الفضل القرمطي سنة ٣٠٣ هـ بادر أسعد الى توطيد سلطانه باليمن ، وظل مسيطرا عليها حتى وفاته سنة ٣٣٢ هـ .

٤ ــ بعد وفاة اسعد لم يستطع بنو يعفر قط ان يستعيدوا شأوهم، الذي بلغوه في عهد أسعد ، وفي السنوات الاثني عشر التالية ، وقعت فتن وثورات ، وبذلت محاولات كثيرة لقمعها ، وكانت هذه الاضطرابات مصحوبة بنزاع لا ينتهي بين افراد أسرة بني يعفر .

وفي سنة ٣٤٥ هـ استولى على صنعاء امام صعدة [١٦] الرسي المختار بن الناصر احمد بن الهادي ، ولكن لم يمض عام واحد حتى اغتاله زعيم همداني هو الضحاك . وقد آزر الضحاك رجلا من موالي بني يعفر يدعى علي بن وردان ، ونادى به أميرا على صنعاء ، ولكنه لم يستطع مقاومة ومعارضة قبيلة خولان [١٧] ، التي كان على رأسها الاسمر يوسف بن ابى الفتوح .

ولما توفى ابن وردان سنة ٣٥٠ هـ ، خلفه اخوه سابور حيث حالفه الضحاك الهمداني ، ولكنهما فشلا في قتال بني خولان ، فلاذا بالفرار . وبينما كانا يحاولان الهرب الى ذمار [١٨] لحق الاسمر بسابور وقتله ، فاضطر الضحاك للدخول في طاعة بني زياد بزبيد ، غير ان الاسمر

---

(١٥) اختلف المؤرخون في امر استيلاء علي بن الفضل على صنعاء ، فقال صاحب الانباء / ماضي انه تم سنة ٢٩٣ هـ ، وقال الجندي (سلوك كاى / ١٤٥) : انه كان سنة ٢٩٩ هـ ، والواقع انه دخلها سنة ٢٩٣ هـ ، ولكن لم يستقر امره فيها الا في سنة ٢٩٩ هـ (هـ / ح ٣٧) .

(١٦) تقع شرقي صنعاء وهي مملكة تشتمل على : صعدة ، قطابة ، ثلا ، وعلى حصون اخرى تعرف ببني الرسي (العبر / كاى ١٢٧) .

(١٧) خولان بطن من همدان القحطانيين (لسان العرب ١٣/٢٤٠)

(١٨) ذمار اسم قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء (ياقوت ٤/١٩٦)

الخولاني ، عرض الملك على الامير عبدالله بن قحطان [١٩] ، من سلالة أسعد بن يعفر فقبله ، ولما هم عبدالله في دخول صنعاء ، توالت الحروب بين المتنازعين ، وانتهت بان وفق عبدالله في استعادة نفوذه ، واستمتع بحكم طويل ، وان كانت تشوبه الفتن والاضطرابات • وفي سنة ٣٧٩هـ استطاع ان يغزو تهامة ، حيث هاجم ابن زياد بجيش كبير وتمكن من هزيمته هزيمة منكرة [٢٠] ، وبعدها فتح زبيد واستباحها ، وقطع الخطبة لبني العباس في انحاء دولته ، واعلن طاعته لخلفاء الفاطميين بمصر ، وظل على ولائه لهم حتى توفى سنة ٣٨٧ هـ وبوفاته آذن نفوذ بني يعفر – كأسرة كبيرة حاكمة باليمن – بالنهاية • فقد زال آخر اثر لسلطانهم في صنعاء ، ولم يكن حالهم بخير من حال غيرهم من الرؤساء خاملي الذكر – حتى لنجهل من بعد اسماءهم • ولكن نجد لهم ذكرا في وقت متأخر في سنة ٦٧٩ هـ ، حين نقرأ في عقود الخزرجي وفي ابن حاتم ، ان سلطان اليمن [٢١] ، من الدولة الرسولية • استرد ملكه فى حصن كوكبان من بني حوال •

---

(١٩) سلوك / كاى ٤٧

(٢٠) وقد ورد في مصادرنا ان الحسين بن سلامة كان وصيا على عرش بني زياد من سنة ٣٧٢ – ٤٠٢ هـ

(٢١) الملك المظفر شمس الدين يوسف (الاول) بن عمر (٦٤٧ – ٦٩٤ هـ)

سادسا : الدولة الفاطمية الاولى في اليمن

٢٦٨ – ٣٠٣ هـ

١ – حالة اليمن قبل ظهور الدعوة الفاطمية :

لم تكن بلاد اليمن وحدة سياسية تجمع شمل الولايات التي انهكتها المنافسات الداخلية والاختلافات المذهبية ، تحت لواء واحد ، وتقود الجميع نحو هدف واحد بل كانت الولايات في هذه البلاد شبه مستقلة عن الدولة العباسية ، اداريا وسياسيا لضعف الخليفة عن حربها ، ولكنها لم تستطع الاستقلال عنه دينيا ، لان الولاة كانوا لايستغنون عن بيعة الخليفة لتثبيت سلطانهم (١) • فكان بنو زياد في زبيد ، وبنو يعفر في صنعاء ، يعترفون بالسيادة لبني العباس ، ثم دخل بنو يعفر تحت سيادة بني زياد ، حيث استمر الحكم في دولتهم – كما رأينا – حتى خلع ابو الجيش اسحق طاعة العباسيين ، وحلت في عهده عوامل الاضطراب التي ادت الى عدم الاستقرار وفقدان الوحدة السياسة • ومن اهمها ظهور الامام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي سنة ثمانين ومائتين ، حيث نزل صعداء لنشر دعوة الامام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابى طالب ، واتبعه عدد غير قليل من القبائل التي كانت تميل الى التشيع ، فصارت الزيدية من يوم ظهوره من أهم العناصر في حياة اليمنيين •

وقد ادى هذا الاضطراب السياسي الى كثرة النزاع بين الولايات، بل بين زعماء كل ولاية ، مما زاد الطين بلة ، ومهد لقيام الدعوة الفاطمية (٢) ، التي ظهرت باليمن سنة ٢٦٨ هـ على يد أبى القاسم

---

(١) ابن الاثير / الكامل ٢١٣/٩

(٢) يحيى بن الحسين ٢

(منصور اليمن) وزميله علي بن الفضل الجدني •• وهكذا اصبح فى بلاد اليمن ، بعد ظهور منصور اليمن سنة ٢٦٨ هـ اربع ولايات هـي الدولة الزيادية في زبيد ، ودولة بني يعفر في صنعاء ، ودولة بني الرسي في صعدة ، والدولة الفاطمية تحت قيـادتي منصور اليمن وعلـي بـن الفضـل •

وتتيجة لظهور الدعوة الفاطمية ، واستيلاء الداعيين فيما بعـد على معظم بلاد اليمن بالاضافة لمـا قام به اتباع الائمة الزيدية مـن حروب ، اضطربت الاطراف على ابى الجيش وخرج زعماء البلاد كـل فى جهته • ولم يسع ابو الجيش امام هذه الاضطرابات الا مهادنتهـم واعترافه بما تحت ايديهم خضوعا لسياسة الامر الواقع •

ونظرا لبعد بلاد اليمن عن مركز الخلافة في بغداد بالاضافة الـى وعورة الطريق وطبيعة بلاد اليمن الجغرافية المعقدة ، اكتفى خلفاء بنـي العباس بان يعهدوا الى ولاتهم من جهة وتكليف زعماء البلاد من جهـة اخرى بالقضاء على تيار الدعوة الفاطمية ، ولكن ضعف الولاة وتنازعهم الدائم مع زعماء البلاد المتنافرين ، كان من أهم العوامل التي سـاعدت على انتشار الدعوة الفاطمية فيها • لهذا حق لابن الفضل اليمـاني ان يقول عندما عرض عليه الامام الفاطمي الحسين بن احمد ابو المهـدي عبيد الله ، ان يقوم ببث الدعوة باليمن : « والله ان الفرصة ممكنة في اليمن ، وان الذي تدعون اليه جائز هنالك ، وناموسنا يمشـي عليهم • اعرف فيهم من ضعف الاحلام ، وقلة المعرفة باحكام الشريعة المحمدية » •

في هذا الجو السياسي المضطرب في بلاد اليمن ، وفي هذه البلبلـة الدينية ظهر ابو القاسم منصور اليمن فى تلك البلاد فتمكن في فتـرة وجيزة من ان ينشيء دولة موالية للخليفة الامام المهدي عبيد الله بـن الحسـين •

٢ ـ سفارة الفاطميين في بلاد اليمن :

كان لولاة الفاطميين الاقدمين خبرة ودراية باختيـــار الرجال . وكانوا يبذلون كل جهدهم في تحويل اكبر عدد من الرجال النافعـــين للدعوة الى مبادئهم ، خصوصا من كانوا يلمسون فيهم نبوغا ، فقـــد ظفروا بابي القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي وهو من ولد عقيل بن ابى طالب ، عند قبر الحسين بن علي بالكوفة . وكان ابو القاسم يدين بمذهب الاماميه الاثنى عشرية فتمكن الامام الحسين ابن أحمد من تحويله الى مذهبه . ويقول ابو القاسم : « وكان الامـــام يخصني ويقربني ، ويرمز بقرب الامر ودنو العصر » (٣) فقال له : « يا ابا القاسم ، البيت يماني ، والركن يماني ، والدين يماني ، والكعبة يمانية ، ولن يقوم هذا الدين ويظهر الا من قبل اليمن ... يا ابا القاسم .. هل لك في غربة في الله ؟ » . فقلت : « يامولاي الامر اليك ، فما أمرتني به امتثلته » .. قال : « اصبر ، كأني برجل قد اقبل الينا من اليمن ، وما لليمن الا انت » . فقلت : « استعين بالله على ما يرضيك (٤) » .

من هذا نرى ان ابا القاسم اصبح مهيئا للامر الذي اراده الامام ، واصبح موضع ثقته ، وامله الذي يرجوه ، ونرى ايضا ان الامام كـــان على علم بوصول علي بن الفضل الجدني الخنفري الجيشاني (٥) ، بطريق رئيس الدعوة في اليمن من قبل هذا الامام ، في الوقت الذى كان فيـــه ابن الفضل لا يعرف شيئا عن الامام المستور الحســـين بن احمد ولا عـــن دعوتـــه .

---

(٣) النعمان / افتتاح ٣ ، ادريس (ع) ٥/٤٠

(٤) النعمان / افتتاح ٩

(٥) جدن من ذى جدن ، وجيشان مدينة باليمن ، وفي قرة ١٢ قال : انه ولد خنفر بن سبا الاصغر ، كان اول أمره لا شهرة له ، وقد تعلم اصول الدعوة في الكوفة ثـــم رجع الى اليمن . ويقول النعمان (افتتاح ٩) وكان ابن الفضل شابا جميلا مـــن اهل بيت تشيع ونعمة ويسار ، ويقال له ابو الحسن بن علي بن الفضل ، خـــرج حاجا من جيشان في جماعة من اهلها) .

وصل علي بن الفضل الى الكوفة سنة سبع وستين ومائتين ، بعد ان ادى فريضة الحج في مكة ، واخذ يبكي عند قبر الامام الحسين بن علي وينتحب ويعد مناقبه ويذكر فضله [6] ، مما جعل الفاطميين ودعاتهم يحرصون على استمالته الى دعوتهم .

وعندما وصل علي بن الفضل عند الامام الحسين قال الامام : « يا ابا القاسم ، هذا الذي كنا ننتظره ، فكيف رأيك في الذي عرضنه عليك من اهل اليمن ؟ » فامتثل ابو القاسم لاوامر الامام التي قال له فيها : « .... الى عدن لاعة فاقصد ، وعليها فاعتمد ، فمنها يظهر امرنا ، وفيها تعز دولتنا ، ومنها تفترق دعاتنا » [7] . ثم أمره بالاستتار والاعتماد على التأويل : واتخاذ التشيع وسيلة لتحقيق اغراضه ، وان يقول بقرب ظهور المهدي [8] ، ثم قال له : « واجمع المال والرجال ، والزم الصوم والصلاة والتقشف ، واعمل بالظاهر ، ولا تظهر الباطن ، وقل لكل شيء باطن ، وان ورد عليك مالا تعلمه ، فقل لهذا من يعلمه وليس هذا وقت ذكره [9] . كما أوصاه بعلي بن الفضل خيرا ، فقال له . « هو شاب قريب عهد بالامر ، فانظر كيف تسوس امره » [10] . ثم توجه الامام لعلى بن الفضل فقال له : « ان هذا الرجل الذي نبعث به معك هو بحر علم ، فانظر كيف تصحبه [11] ، ثم قال : « الله بصاحبك، وقره واعرف له حقه ، ولا تخالفه فيما يراه لك ، انه اعرف منك ،وانك ان خالفته لم ترشد [12] . ثم قال لهما : « ابعثكما الى اليمن ، تدعوان الى ولدي هذا ، فسيكون له ولذريته عز وسلطان ، وان الله عز وجل قسم لليمانيين ، الا يتم أمره في هذه الشريعة الا بنصرهم [13] .

---

(٦) افتتاح ١٠ (٧) النعمان ١٢
(٨) نفســـه (٩) النعمان ١٣
(١٠) نفســـه ١٤ (١١) نفســـه ١٤
(١٢) الحمادى / كشف ٢٣ (١٣) ادريس «ز» ٦٥

بعد ذلك خرج السفيران من الكوفة الى القادسية في نهاية سنة سبع وستين ومائتين ، ووصلا مكة في حين قدوم الحجاج من اليمن (١٤)، وبعد تأدية مناسك الحج اتجها جنوبا حتى وصلا الى غلافقـــة في اول سنة ٢٦٨ هـ ، وكانت في هذا الوقت بندرا لمدينة زبيد على ساحل البحر الاحمر • ثم افترق الداعيان بعد ان اتفقا على ان يتصل كل واحد منهما بصاحبه ليتعرف احواله • فاتجه ابو القاسم الى مدينـــة الجند وكانت غايته عدن (١٥) ، وقد وصل اليها عن طريق بعض تجار هذه المدينة من بني موسى • وهناك في عدن لاعة نزل أبو القاســـم في دار من دور ابن خليع (١٦) ، حيث تزوج ابنته (١٧) وتقلد مقاليد الدعوة هناك •

أما علي بن الفضل فقد اتجه الى بلاد يافع الجبلية بالقرب مـــن الجنــــــد •

٢ ـ نشاط منصور اليمن الحربي :

نهج السفيران منهجا واحدا في نشر نفوذهما في بلاد اليمن ، وقد اتخذا الدين وسيلة لنشر هذا النفوذ • فأظهر كل منهما الزهد والتقشف والصلاح ابتغاء الوصول الى غايته (١٨) كما تظاهر كل منها بالتفقه في الدين ، والتضلع في المذاهب السنية ، وكانا يأمران بالمعروف وينهيـان عن المنكر • فمال اليهما كثير من اهل اليمن ، واقبلوا عليهما من كـــل فـج ، وبخاصة بعد ان اظهرا دعوتهما علنا في سنة سبعين ومائتين ، بعد ان قام كــل منهما بدعوته سرا لمدة سنتين • فأصبح لكلمنهما جماعة كبيرة ، تخلص له الاخلاص كله • وبعد ان قوى حزب كل منهما فـــي جهته عمل على الحصول على الاموال ، لتنفيذ اغراضه ،وللدفاع عـــن

(١٤) ادريس (ع) ٣٥/٥

(١٥) ادريس (ع) ٣١/٥ ـ ٣٢

(١٦) وهو الداعي :حمد بن عبدالله بن خليع ، الذي كان قائما بالدعوة الـى أن قبض عليه الامير ابن يعفر حيث توفى في السجن قبل وصول ابى القاسم بوقت قليل •

(١٧) النعمان ١٧ ، ادريس (ع) ٣٨/٥

(١٨) يحيى بن الحسين ٢٠

اتباعه ، وكانت الزكـاة هي السبيل المستقيم ، الذي يتفق وامـور ندين ، فأمر ابو القاسم من جهة اتباعة بجمعها ، واستعمل عليها منهم ثقاة عدول ، يقبضون اعشارهم (اعشار اموالهم) على مايوجبه الفقـه [١٩] .

ولما هوجم ابو القاسم وقتل بعض اصحابه ، اشـار عليه بعض مشايخ الدعوة بالاتحاد وتدبير الدفاع عن كيانهم ، وقال صـاحب العيـون [٢٠] : « ان ابا القاسم طلب من اتباعه ألف دينار ، فاعانه بها خمسة منهم ، فاستعد بها ، وصعد عبر محرم ، وسكن به ، وأسكن معه خمسين رجلا من وجوه الدعوة » .

وبينما نرى أبا القاسم يقوم بتنفيذ هذه الخطة . اذ بابن الفضل يسلك نفس الطريق فيأمر اتباعه المخلصين ببناء حصن فوق جبلهم ، ويتم له ذلك في جهة سرو يافع [٢١] ونحن نرى انه كان لبناء هذه الحصـون غرضان : فالغرض الاول الظاهر ، هو حفظ اموال الزكـاة ، ولكـن الغرض الحقيقي هو اتخاذها قواعد ارتكاز يبسط منها الدعاة نفوذهم السياسي والمذهبي .

وقد ساعدهم على هذا النجاح المستمر الظروف المحيطة . فقـد قتل محمد بن يعفر في سنة سبعين ومائتين ، واختلف اهل بيته فيمـا بينهم . تلا ذلك خطوة عملية جديدة ، وهي دور الحرب وتكوين الدولة المنشودة ، دولة المهدي ، فأبو القاسم لم يصعد عبر محرم الا عندمـا هجم عليه اسحق بن طريف بجيش جرار ، حيث قتل من اتباع الدعـوة اثنى عشر رجلا . يقول ادريس [٢٢] : فضاق الامر على أصحابه فاجتمع

---

(١٩) الحمادى ٢٥
(٢٠) ادريس (ع) ٤١/٥ ، ابن الديبع (ق) ورقة ١٢
(٢١) الحمادى ٢٨
(٢٢) ادريس (ع) ٤٠/٥

اليه المشايخ من أهل الدعوة ، وسألوه حسن النظر والتدبير لهـــم ، فعرفهم ان ذلك لا يكون الا بحصن يلجأون اليــه ويمتنعون فيــه ، فعرضوا عليه حصون البلد فاختار منهم عبر محرم . واحتله كما سـبق ان ذكرنــاه .

ولا بد ان يكون ابو القاسم قد اتفق مع بني العرجي سـلاطـين همدان ، اصحاب هذه البلاد ، على استعمال بعض الاماكن والحصون في بلادهم ، لان هذا الاحتلال يبعد ان يكون حصل قهرا ، لانه يتنافى مع ما كان يدعو اليه من عدم التعدي على حقوق الغير ، كما ان قوتــه لم تكن قد نظمت تنظيما كافيا ، وان اصحاب هذه الجهات لم يخرجوا عليه في يوم من الايام .

ومهما يكن من شيء فقد احتل ابو القاسم ، عبر محرم ، ثم جمع جمعا من اتباعه ، واستولى على جبل الجميمة ، ثم هاجـم بيت ريبب (وهو رأس مسور) ثلاث مرات ، حتى استولى عليه ، فأثار ذلك حنق رؤساء الدويلات ، واشعلوا نار الحرب في وجهه ولكنها كانت حـربـا همجية ، كان مآلها الفشل في الوقت الذي كان ابو القاســم واتباعه يحاربون تنفيذا لمبدئهم ، ونصرة لاقامة دولة اهل البيت ، وكانت هناك رأس مفكرة تقودهم من نصر الى نصر . ففي سنة سبعين ومائتين امتد نفوذه كثيرا فتسمى « المنصور باليمن » (٢٣) . واستولى على جبـل مسور من اعمال صنعاء اليمن ، باتفاق عمله مع مأمور الحوالي بجبـل مسور . فدخل الحصن الواقع بمسور ومعه ثلاثة آلاف رجل وحصنه ودربه ، وبنى فيه دارا للهجرة ليلجأ اليها اتباعه . واصبح هذا الجبـل القاعدة الحربية التي كانت تسير منها الحملات الى الجهات المجاورة .

واستولى على جميع مخاليف المغرب ، مغرب اليمن ، فأخذ بـلاد

---

(٢٣) النعمان ٣ ، ابن الديبع (ق) ١٢ .

عيان وبني شاور (٢٤) وحلان ؛ ثم استولى على ذخار (٢٥) وملك شبام حمير (٢٦) وجبلها كوكبان وما زال يجوز المعاقل ، ويسلك مدن اليمن الجلائل ، واقبل الناس اليه طوعا وكرها ، فدخل كثير من بني يعفر وملوك حمير في الدعوة طائعين وكارهين ، وقويت فى ارض اليمن دعوته وعلت كلمته (٢٧) • وكان هذا النصر سببا في ان استعمل الداعي الطبول والرايات ، وكان يقول : « والله ما أخذت هذا الامر بمالي ولا بكثرة رجالي ، وانما انا داعي المهدي الذي بشر به النبي محمد صلى الله عليه وسلم » • فانتقل اليه الناس بأموالهم واولادهم ، ودخلوا فى بيعته ومذهبه (٢٨) • ولم يقف نشاط ابى القاسم الحربى عند هذا الحد ، بل أرسل جيشا قويا لمساعدة علي بن الفضل سنة تسع وتسعين ومائتين ، حين احيط به في مخاليف البيض (٢٩) في تهامة • وكان من اثر هذه المساعدة ، ان عاد ابن الفضل سالما الى بلاده •

٤ ـ فتوح علي بن الفضل :

اما عن اتساع نفوذ علي بن الفضل ، فقد هجم على بلاد ابن ابى العلاء سلطان لحج وأبين ، بحجة ان في ذلك جهاد لاهل المعاصي ، ووجد اتباعه ان في هذا العمل فرصة لجمع الثروة ، فاندفعوا في صفوفه لتحقيق اغراضه • ثم ان ابن الفضل استغل وجود نزاع بين ابن أبى العلاء وبين كاتبه جعفر بن ابراهيم المناخي (٣٠) حاكم أبين لسيده ،

---

(٢٤) تسمى الآن كحلان تاج الدين •
(٢٥) تسمى الآن ضلع كوكبان •
(٢٦) وهو شبام كوكبان •
(٢٧) ادريس (ع) ٥/٤١ ـ ٤٢ •
(٢٨) ابن الديبع (ق) ورقة ١٢ •
(٢٩) وفى رواية البياض •
(٣٠) يقول يحيى بن الحسين (انباء / دار ٢٠) : وهو الذي ينسب اليه مخلاف جعفر ، ولكن ابن الديبع (بقية ورقة ٩) يقول : ان مخلاف جعفر ينسب الى جعفرمولى ابن زياد ، كذا ورد في تاريخ ابن المجاور (١ / ورقة ٥٤) وهو الآن معروف بالعدين والحبيش ـ راجع (هـ / ح ص ٣٦ هامش ١)

واتفق ابن الفضل وجعفر على قتال ابن ابى العلاء واقتسام الغنائم مناصفة • ودارت الحرب في خنفر [٣١] ، وكان النصر فى النهاية للحليفين وغنم ابن الفضل ــ سبعين الف بدرة ــ من خزائن ابن ابى العلاء [٣٢] • وكان من آثر هذا النصر ان دخل في طاعته قبائل مذحج وغيرها ، كما كان هذا النصر خطوة لاشتباكه مع حليفه بالامس ، ذلك لان علي بن الفضل بعد ان اقتسم الغنائم في حضور العساكر والقبائل ، وسلم احد الشطرين منها الى سفير المناخي ، قال يخاطب الجميع : « ان جعفرا ارسل الي لما بيني وبينه من العهد بقسيمة ما غنمت وقد احضرتكم شهودا على تسليمه اليه ، لاني لا رغبة لي في المال ، انما انا قمت لنصرة الاسلام » • ثم قال للسفير : «انصرف الى صاحبك ليلتك ، وقل له يستعد للحرب » وارسل معه كتابا الى المناخي قال فيه : « بلغني ما انت عليه من ظلم المسلمين ، واخذ اموال الناس بغير حق ، وانا قمت لارد الحق لاهله ، وان اردت اتمام مابيني وبينك ، فرد الظلامات الى اهلها ، وادفع لاهل دلال دية ما قطعت من أيديهم [٣٣] • وذلك ان المناخي كان قد قطع ايدي ثلثمائة رجل من أهل دلال [٣٤] على حجرة المذيخرة • وقد يكون ابن الفضل اتخذ هذه الحادثة وسيلة لمحاربة المناخي ، او يكون على حق فيما ادعاه من انتصار للحق • ومهما يكن من شيء فان الحرب دارت بين الفريقين • فأظهر ابن الفضل دراية حربية ومعرفة فائقة باساليب الحرب ، لانه على الرغم من هزيمته اول الامر ، عاد ليلا وهزم عدوه شر هزيمة ، ودخل المذيخرة سنة اربع وتسعين ومائتين • ثم دخل حصن التعكر ، وتبع جعفر المناخي حتى قتله في وادي نخلة سنة ٢٩٤ هـ ، فقوى بذلك مركز ابن الفضل كثيرا ، فاتجه باتباعه الى

(٣١) الهمداني (ص) ٥٣ مدينة في ابين
(٣٢) البدرة بها عشرة الاف درهم (ابن الديبع ق ورقة ١٢)
(٣٣) الحمادى ٢٩
(٣٤) دلال بلدة في بعدان من اعمال اب

بلاد يحصب [٣٥] ، فدخل منكث واحرقها ، ثم هجم على صنعاء ودخلها لاول مرة من ناحية الشهابيين [٣٦] ، وذلك في سنة ثلاث وتسعين ومائتين [٣٧] . وقد حاول أسعد بن ابى يعفر مرارا استرجاع صنعاء ، وبقيت المدينة مكان تجاذب ، حتى استقر الامر له فيها سنة تسع وتسعين ومائتين [٣٨] . ولم يقف طموح ابن الفضل عند هذا الحد ، بل استمر في فتوحاته حتى دان له معظم تهامة بعد ان استولى على زبيد ، وقتل واليها المظفر بن حاج ، الذي فقدت بغداد بقتله أكبر ممثل لها في اليمن .

د ـ ثقة المهدي بمنصور اليمن :

استمر السفيران يعملان في اول الامر لهدف واحد ، وهو بناء دولة المهدي حتى اصبح الجزء الاكبر من اليمن خاضعا لنفوذهما . وتمكن منصور اليمن ، كما يقول برنارد لويس [٣٩] : « عن طريق الدعوة ، ولاول مرة ، من تكوين دولة اسماعيلية في اليمن وسر الامام كثيرا عندما وردت اليه الهدايا من اليمن ، وقال لابنه : « هذه اول ثمرة ايامك ، وبركة دولتك » وتمثل قول الشاعر :

الله اعطاك التي لافوقها ... وكم ارادوا منعها وعوقها
عنك ، ويأبى الله الا سوقها ... اليك حتى طوقوك ، طوقها [٤٠]

---

(٣٥) نشوان (ش) ٤٩ ، ٩٣ والآن تعرف باسم يحصب العليا ويحصب السفلى وهي قرية من ظفار حمير وفيها آثار الحميريين ، والقرية معروفة بكرم اهلها ولا يزال يسكنها الى الآن جماعة من آل الصايحي .

(٣٦) ينسبون الى شهاب بن عاقل بن قضاعة (نشوان «ش» ٥٨) .

(٣٧) انباء : ماضي ٤٤ ـ ٤٥

(٣٨) سلوك / كاى ١٤٥ ، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ استيلاء ابن الفضل على صنعاء ، فقال صاحب الانباء / ماضي ٤٤ ان هذا الاستيلاء كان سنة ٢٩٣ ، وقال الجندي / سلوك / كاى ١٤٥ انه كان سنة ٢٩٩ ، وارى انه ليس هناك تناقض في هذا لان ابن الفضل دخل صنعاء سنة ٢٩٣ ولم يستقر امره فيها الا سنة ٢٩٩ .

(٣٩) اصول الدعوة الاسماعيلية ص ٩٥

(٤٠) النعمان ١٨

ولثقة رؤساء الدعوة بأبي القاسم لقبوه بالمنصور ، وشبهوه بفجر الدعوة الذي مهد لشمسها بالظهور ، فقالوا فيه : « كان ابو القاسم بمثابة الفجر المتنفس ، وبه كشف الله عز وجل عن الاولياء الغمة وانار حنادس الظلمة » [٤١] •

ويدلنا على مبلغ ثقتهم به انهم كلفوه بارسال الدعاة الى الجهات المختلفة ، لانه ليس من المعقول ان يقوم ابو القاسم من تلقاء نفسه بهذا الامر • فبعث بابن اخيه الهيثم داعيا الى السند ، حيث استجاب اليه الكثير من اهلها [٤٢] وارسل ابا محمد عبدالله بن العباس داعيا الى مصر [٤٣] ، ووزع الدعاة في سائر البلدان باليمن ، والى اليمامة والبحرين [٤٤] ، والسند والهند والمغرب ، ولما أرسل الامام داعيه ابا عبدالله الشيعي الصنعائي الى منصور اليمن ، قال له : « امتثل سيرته ، وانظر الى مخارج اعماله ومجاري افعاله ، فاحتذها ، وامتثلها ، فاعمل عليها » والمنصور لذلك كان دعامة من دعائم الفاطميين ، وكان «ملكا مسددا » كما وصفه الجندي او قل : « ان تأسيس الدولة الفاطمية قام على اكتافه ، ثم خلق في اليمن مستودعا من مستودعات الدعوة الفاطمية » •

٦ ـ سبب امتناع المهدي عن قصد اليمن :

لهذا كله استقر رأي الامام على ان تكون هجرته الى اليمن • ويقول جعفر الحاجب [٤٥] وكان في صحبة المهدي حين فراره من

---

(٤١) الخطاب : غاية المواليد ٤٨ ، ٤٩

(٤٢) النعمان ١٨ ، ادريس (ع) ٥/٣٨

(٤١) ادريس (ع) ٥/٣٨

(٤٤) وجه ابو القاسم نظره الى اليمامة وذلك بسبب قيام دولة الاخيضر العلوية (ابن حزم : انساب العرب (ع) واعتقد ان اهلها سيرحبون بالدعوة الفاطمية ، لذلك بعث اليها الدعاة لنشر الدعوة الفاطمية « القلقشندى ١/١١٩»)

(٤٥) سيرة جعفر الحاجب ١١٠٠ ، ادريس (ع) ٥/١٢٨

سلميه : « وأمرنا المهدي بأخذ أهبة السفر والخروج معه ، واظهر لنا انه يريد اليمن » • ويؤكد القاضي النعمان المغربي [٤٦] ان المهدي لما وصل الى مصر ، كان يأمل ان يقصد اليمن ، وان الذين صحبوه كانوا جميعا على هذا الاعتقاد ، وان الداعي منصور اليمن آكد لليمنيين ان المهدي سيظهر في بلادهم ، ولم يثنه عن عزمه الا انحراف علي بن الفضل الجدني عن الدعوة الفاطمية [٤٧] • من ذلك نرى ان الامام كان يرغب في الذهاب الى اليمن رغبة اكيدة ، ولكن ماقاله ابن الاثير [٤٨] من انه لما شاع خبره عند الناس ايام المكتفي العباسي (٢٨٩ ــ ٢٩٥هـ) هرب هو وولده ابو القاسم نزار • وخرج معه خاصته ومواليه يريد المغرب • وما قاله الجندي [٤٩] من ان الامام لما بلغه نجاح ابى القاسم في نشر دعوة المهدي في اليمن قال : « هذه دولتك قد قامت لكن لا احب ظهورها الا من المغرب » يبعد عن الحقيقة لانه من المحتمل ان يكون السبب الذي دفع الإمام لتغيير رأيه يرجع الى مابلغه من ابي القاسم من اخبار انحراف علي بن الفضل ، والاستقلال علنا ، عن الدعوة الفاطمية • واننا نعتقد ان ابا القاسم بصفته رئيس الدعوة فى اليمن كان دائم الاتصال بالامام ، وانه كان يبعث له بتقارير عن أحوال الدعوة والمستجيبين من حين الى حين • ولا بد انه اخبر الامام بما وجد في ابن الفضل من اهمال في اداء واجباته وميله الى الاستقلال ، وعدم امتثاله لاوامر ابى القاسم • وحدث هذا الانحراف عن جادة الدعوة قبل وصول الامام الى مصر ، مما جعله لا يرحب كثيرا بفكرة اقامة الدولة الفاطمية المنشودة في اليمن • ومن المحتمل ان يكون المهدي قد غير

(٤٦) النعمان (ف) ١٢٧ ، ١٣٨
(٤٧) نفسه ١٣٨ ، الحمادي ٢٣ ، اتعاظ ٦٩
(٤٨) ابن الاثير ١٢/٨
(٤٩) الجندي / سلوك / كاى ١٤٢

وجهة نظره بعد وصوله الى مصر ، لانه يعلم ان العباسيين كانوا جادين في طلبه ، ولانهم ارسلوا عيونهم الى كل الجهات ، التي يحتمل ان يكون المهدي قد هرب اليها ، كما لا يبعد ان يكون ماجاء في رواية سيرة جعفر الحاجب (٥٠) عن الداعي ابن العباس ، له الاثر في امتناع المهدي عن قصد اليمن • فقد قال ابن العباس للنوشري (٥١) عامل العباسيين على مصر ، حين سأله عن حقيقة المهدي المختفي عنده : « اما الرجل النازل علي فوالله لا وصل اليه شيء الا مايصل الي ، لانه رجل هاشمي شريف ، تاجر من وجوه التجار ، معروف بالفضل والعلم واليسار ، والذي اتى الرسول في طلبه ، قد اعطيت خبره بانه قد توجه الى اليمن ، قبل ورود هذا الرسول بمدة طويلة •

اما ما قاله الحمادي (٥٢) والقاضي النعمان (٥٣) والمقريزي (٥٤) ، من انه لم يثنه عن عزمه في الذهاب الى اليمن ، الا خروج ابن الفضل ، فاننا نقول : ان ابن الفضل مال الى الاستقلال قبل قيام الامام برحلته ، ولكن خروجه كان بعد فرار فيروز (٥٥) الى اليمن • فقوى في ابن الفضل هذه النزعة الاستقلالية • وفي ذلك يقول ادريس (٥٦) : « ان فيروز احزنه مسير الامام الى المغرب ، واستبعد

(٥٠) سيرة جعفر الحاجب ١١٣ ، ادريس ١٢٧/٥

(٥١) عيسى النوشري وهو اول وال ولي على مصر من قبل العباسيين بعد زوال الدولة الطولونية • وكانت مدة ولايته عليها خمس سنين وشهرين ونصف (٢٩٢-٢٩٧ هـ) (الكندي : الولاة ٢٥٨ - ٢٦٧) المقريزي : خطط ١٢٤/٢ - ١٢٥ ، اتعاظ ٣١ هامش رقم ٢ •

(٥٢) كشف ٢٣ (٥٣) افتتاح ١٣٨

(٥٤) اتعاظ ٦٩

(٥٥) وهو داعي دعاة المهدي وباب ابوابه ، وقد احزنه مسير المهدي الى المغرب ، فقال الامام : عجبت لرجلين من شيعتنا ، احدهما تغمه مفارقتنا ، والآخر تغمه صحبتنا وذلك ان الداعي ابا علي المقيم بمصر رغب في الذهاب مع الامام ولكن الامام طلب منه البقاء في مصر الى ان يتهيأ قدومه (ادريس «ع» ١٢٨/٥-١٢٩) •

(٥٦) ادريس (ع) ١٢٦/٥

المسانة فتخلف في مصر ، ثم سار الى اليمن فوصل الى داعي اليمن ابى القاسم ، الذي أحسن لقاءه وأكرم مثواه ، لما كان يعرف له من القرب من الائمة ... ، ثم ان فيروزا أراد ان يضله ويغويه ، فوجد نيته في ولاء الائمة قوية ، فلما لم يجد منه حيلة توجه الى علي بن الفضل ، فوجد منه مراده ، واستفزهما الشيطان ، وصارا من أهل الطغيان والضلال ، وخرجا من جملة أهل الايمان فظفر منصور اليمن بفيروز وقتله ، وحارب علي بن الفضل .. » ولسنا نشك في ان هذا حدث بعد وصول المهدي الى بلاد المغرب ، ويدل على ذلك ماقاله جعفر الحاجب [٥٧] : « خرج المهدي من مصر ، وخالفه فيروز قبل خروجه منها ومضى الى اليمن » .

٧ ـ انتقاض علي بن الفضل :

اما عن علاقة علي بن الفضل بالفاطميين ، فانه لما استقر في اليمن ، ظل على ولائه للامام مدة ، اظهر فيها التقشف والورع ، ويدلنا على ذلك ماقاله الحمادي [٥٨] « أخذ بالنسك والعبادة ، فكان نهاره صائما ، وليله قائما ، فأنسوا اليه وأحبوه ، ثم انهم قلدوه أمرهم ، وجعلوا حكمهم اليه ، فسألوه ان ينزل من ذلك الجبل [٥٩] ، ويسكن بينهم ، فقال : لا أفعل هذا ، ولست اسكن بين قوم جهال ضلال ، الا ان يعطوني العهود والمواثيق ، الا يشربوا الخمر ، ففعلوا ذلك ، وانهم ينكرون المنكر ، وينكرون على أهل المعاصي باجمعهم » . فحلفوا له على الطاعة ، وان لا يخالفوه بما أمر ، فوعدهم خيرا [٦٠] .

من هذا نرى ان ابن الفضل ظل مدة فى بلاد اليمن على ولائه للفاطميين . وهذه المدة لا تقل عن عشرين سنة اذا علمنا انه وصل اليها

---

(٥٧) سيرة جعفر الحاجب ١١٥

(٥٨) كشف ٢٩

(٥٩) سرو يافع وهو ناحية باليمن ارضها جبلية منيعة (الحمادي ٢٨)

(٦٠) سلوك / كاى ١٤٣

سنة ٢٦٨ هـ ، وان خروجه علنا لم يكن الا بعد ان استولى على المذيخرة سنة ٢٩٤ ، فاعجبته واظهر بها مذهبه ، وجعلها مقـر ملكه . واتهم المؤرخون ابن الفضل بانه احل لاصحابه شرب الخمر ونكاح البنـات والاخوات (٦١) ، كما اظهر المجوسية ، وكفر بما جاء من عند اللـه عز وجل (٦٢) ، وكان اذا خاطب نوابه استهل كتبه بعبارة : « من باسط الارض وداحيها ، ومزلزل الجبال ومرسيها ، علي بن الفضل » (٦٣) .

ويروى انه لما دخل الجند ، خطب شاعره على منبرها فقال :

خذي الدف يا هـذه والعبـي ... وغني هزاريك (٦٤) ، ثم اطربي

تولـى نبـي بنـي هاشـم ... وهـذا نبـي بنـي يعـرب

لكـل نبـي مضـى شـرعـة ... وهـذه شـرائع هـذا النبـي

فقد حط عنـا فروض الصـلاة ... وحط الصيام ، ولـم يتعـب

ولا تطلبـي السـعي عند الصفا ... ولا زورة القبـر فـي يثـرب

وهي قصيدة طويلة (٦٥) ، تدور حول محرمات الشريعة والاستهانة بهـا . والمصادر التي وصلتنا اليها لم تفدنا باكثر من ان علي بن الفضل استقل عن الدعوة الفاطمية وخرج عن الدين الحنيف . ولكـن كيف نتصور هذا ، في الوقت الذي نجد فيه ان ابا القاسم منصور اليمـن ـ مع علمه اليقين بميول ابن الفضل الاستقلالية ـ يقوم بمساعدته في حروبه ويهنئه على انتصاراته ، وكيف نتصور ان المجتمع اليمني يقبل رياسة ابن الفضل لمدة عشرين سنة مع علمه بانه ارتكب الفواحش طوال

---

(٦١) نفسه ١٤٣ ـ ١٤٤

(٦٢) هـ /ح ٤٢ هامش ١

(٦٣) الجندي / سلوك / كاى ١٤٨

(٦٤) الهزار = العندليب

(٦٥) جاء بعضها في كشف ٣١ ، سلوك / كاى ١٤٤ ، وقال نشوان الحميري (حور ١٩٩) : وغالب الظن ان قائل هذه الابيات من الخطابية ، ثم نسبت الابيات الى شاعر من شعراء علي بن الفضل .

هذه المدة • ولكن من المحتمل ان يكون منصور اليمن ظل على اتصال بصاحبه ، وظل يساعده حتى اعلن استقلاله عن الدعوة واهلها فتبرأ منه ، وكذلك الحال بالنسبة للمجتمع اليمني فاننا نعتقد ان ابن الفضل يجوز انه بالغ في يمنيته ، وتطرف في قحطانيته ، حتى تحدى حدود الاسلام ، فلذلك قيل انه لما عاد الى المذيخرة ، عاصمة ملكه ، ورأى انه اضحى سيد اليمن ، عمل على التخلص من جميع المذاهب وقيودها فنادى بقطع الحج وقال : « حجوا الى الحرف ، واعتمروا الى الثلاث » (والثلاث حصن قريب من الحرف •)

ولا يمكن بحال من الاحوال ان تنسب ماقام به ابن الفضل ، الى زميله منصور اليمن الذي ظل على ولائه للفاطميين حتى وفاته ، ويقول ادريس [٦٦] : « وعجبا لمن ينسب الى أهل الدعوة من اتباع الائمة أفعاله ، وهم الى الله والى اوليائه منه براء ، ولا يفعلون ما يفعل ، ولا يرون ما يرى ، قائمون بالاعمال الشرعية من الطهارة والصوم ، مؤتون الزكاة • حاجون بيت الله الحرام ، متولون محمد (ص) وعليا وصية ، والائمة من ذريته عليهم السلام مجاهدون في سبيل الله ، موفون اعمالهم الهم ، مجانبون لما حرمت الشريعة الغراء » •

٨ ـ الصراع بين أبى القاسم وابن الفضل :

ظل ابن الفضل ينافق منصور اليمن ويخادعه ، ويقول له : « انما أنا سيف من أسيافك ، والمنصور يهابه ويخافه على نفسه ، لما يراه من شهامته واقدامه [٦٧] ولما تمكن نفوذ ابن الفضل ، واضحى سيد اليمن ، أعرب عما يجيش في نفسه من رغبة ملحة فى تكوين دولة يمنية مستقلة عن العباسيين والفاطميين ، كما فعل ابو سعيد الجنابي [٦٨] ، الذي

---

(٦٦) ادريس (ع) ٥/٤٣

(٦٧) الحمادي ٣٢

(٦٨) كان ظهوره سنة ٢٨٦ وقتل سنة ٣٠١ (ابن الاثير ٦٣/٨ والجنابي نسبه الى جنابة وهي بلدة على الخليج العربي) .

كون دولة مستقلة بالبحرين • وكتب الى ابى القاسم منصور اليمن قائلا : « ان لي بأبى سبعيد الجنابي اسوة ، وانت ان لم تنزل الي وتدخل في طاعتي نابذتك الحرب »[69] ، فكتب اليه المنصور يعاتبه ، ويذكره بالعهود والمواثيق التي أخذها عليه رؤساؤه ، كما ذكره أيضا بخطر النكث ، كيلا يتلاشى أمر الدعوة باليمن وقال في كتابه : « كيف نخلع طاعة من لم نر خيرا الا ببركة الدعاء اليه ، وقد اعطينا من العهود ما قد علمته »[70] • لكن ابن الفضل أجاب بقوله : « انما هذه الدنيا شاة ، ومن ظفر بها افترسها »[71] • وتابع منصور اليمن الرسل الى ابن الفضل يعظه ويذكره وينهاه ، ولكن ما لبث هذا ان تمادى في انكاره ، وتناهى في اصراره[72] وكان معنى ذلك بدء الصراع بين الداعيين في اليمن ، او بعبارة أخرى بدء الصراع بين اهل الدعوة انفسهم ، الموالين للفاطميين والخارجين عليهم ، كما كان معنى ذلك ان يستعد ابو القاسم، فحصن بلاده ولا سيما جبل مسور ، وعول على ان يلاقي الصدمة وحده، وقامت الحرب بين الداعيين سنة تسع وتسعين ومائتين • ودارت بينهما وقائع كثيرة وقتال شديد ، تمكن به منصور اليمن من حماية مغربها من ابن الفضل ••••

ومهما يكن من أمر ، فان هوة الخلاف بين الطرفين قد اتسعت • وعرض هذا اتباع الدعوة في اليمن لهجمات المنافسين في الحكم • وظل الحال كذلك حتى أمر (الامام المهدي) رجلين من أهل دعوته ، وممن في حضرته ، حتى وصلا مدينة صنعاء ، ودخل احدهما على ابن الفضل

---

(٦٩) الجندي / سلوك كاى / ١٤٦

(٧٠) انباء / ماضي ٥٤

(٧١) الحمادي ٣٣

(٧٢) ادريس (ع) / ٤٧

مدعيا بانه طبيب ففصده وسمه وخرج من عنده ، وبادر بالهرب هـو وصاحبه ، ومات ابن الفضل [٧٣] . وكان موته سنة ٣٠٣ هـ [٧٤] ، ولكننا نرجح ان يكون اغتياله حدث سنة ٣٠٢ هـ خاصة اذا علمنا ان وفاة منصور اليمن كانت سنة ٣٠٣ هـ ويرهن على ماذهبنا اليه ماقاله صاحب العيون [٧٥] من ان « الداعي ابا القاسم استقر أمره بعد قتل هـذا اللعين » .

٩ ـ انتهاء عهد الدولة الفاطمية الاولى باليمن :

ومهما يكن من شيء فان ابن الفضل قد حفر قبره بيده ، بسبب ثورته على رئيسه ابى القاسم ، وقال الحمادي [٧٦] : « فبعد موته تولى بعده ابنه الفأفأ ، فزحف الحوالي بالعسكر لحرب القرامطة ، فدخل التعكر ، ثم تقدم الى جبل التومار ، ثم هدم المذيخرة سنة ٣٠٤ . ودخل على القرامطة فقتلهم ، وأخذ من الغنائم ما لا يحصى ، وسبى بنات القرمطي وكن ثلاثا ، واصطفى أسعد الحوالي منهن واحدة (اسمها معادة) [٧٧] وهبها لابن اخيه قحطان ، فولدت له عبدالله » . وعبدالله بن قحطان هذا ، قام بالدعوة الفاطمية فيما بعد ، وظل أسعد ابن ابى يعفر يتتبع انصار ابن الفضل في كل البلاد ، ويقتلهم حيثما وجدوا ثم رجع الى صنعاء .

وأما منصور اليمن فبقى الى آخر حياته أمينا في مهمته ، وانه ظل على ولائه للفاطميين . ومما لاشك فيه ان حركة ابن الفضل ، قد أثرت كثيرا على اتباع الدعوة فاضعفت مركزها ونفوذها ، واضطر المنصور

---

(٧٣) ادريس (ع) ٥/ ٤٩

(٧٤) الجندي / سلوك / كاى ١٤٩

(٧٥) ادريس (ع) ٥/ ١٥٠

(٧٦) الحمادى ٣٨

(٧٧) الزيادة من سلوك / كاى ١٤٩ ١٥٠

ازاء ذلك الى الالتجاء الى مسور وغيرها من الاماكن الحصينة البعيدة عن العدو الى التستر وكتمان امره حتى وافته المنية •

١٠ ـ الدعاة بعد منصور اليمن حتى ظهور الصليحي :

تعتبر هذه الفترة (٣٠٣ ـ ٤٣٩ هـ) حقبة مظلمة في تاريخ الدعوة الفاطمية باليمن ، ومع ذلك ، فقد استمر بعض الافراد والجماعات على تمسكهم بالدعوة برغم الصعوبات التي حاقت بهم ••• وساعد على بقائهم طبيعة بلاد اليمن الجبلية الوعرة حيث كانوا يتخذون من الحصون العالية النائية وسيلة للتستر والبعد ما أمكن عن اعدائهم • كما ان الاضطهاد الذي لاقوه بسبب عقيدتهم ، كانت من أهم الاسباب التي حملت هؤلاء على التعاضد والمبالغة في التستر ، كما ساعدت رياسة الدعوة في القاهرة على تغذية هذه المنطقة السرية باليمن ، بكتب الدعوة والمعلومات التي استقيناها عن هذه الحقبة ، اعتمدنا فيها على كتاب الكشف لابن مالك الحمادي ، والسلوك للبهاء الجندي ، وعيون الاخبار ، ونزهة الافكار للداعي ادريس عماد الدين • وان كان ما ورد في هذه المراجع عن هذا الموضوع ، لم يشف الغلة ، لانهم اقتصروا في كتاباتهم ، على سرد اسماء الدعاة ، ولم يذكروا شيئا عن نشاطهم الديني والسياسي •

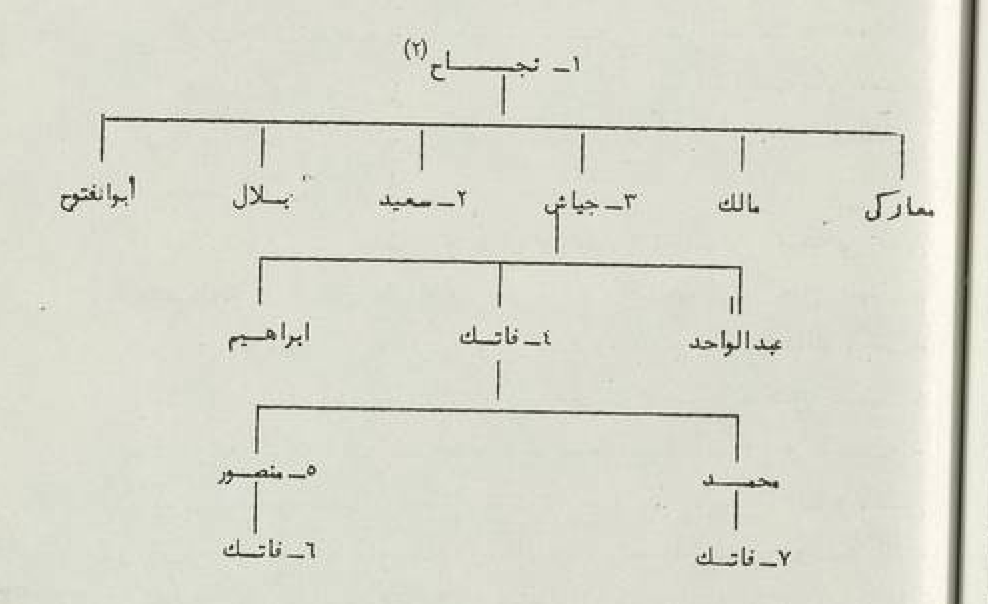
وهاك اسماء هؤلاء الدعاة ، كما اوردها المؤرخون السابقون [٧٨] :

---

(٧٨) هـ / ح ٤٩ ـ ٦١

الرقم	الحمادي كشف ٢٢،٣٩ـ٤٢	الجندي سلوك / كاى ١٣٩ ـ ١٠٤	ادريس عماد الدين عيون ١/٧ ـ ٢ نزهة ١/٣٢ـ٣٣	ملاحظات
٢	أبوالقاسم المنصور الحسن ابن زاذان من أهل الكوفة من ولد عقيل بن أبي طالب	منصور بن زاذان بن حوشب بن الفرج بن المبارك من ولد عقيل بن أبي طالب	أبوالقاسم الحسن ابن حوشب ـ منصور اليمن .	تدم الى اليمن سنة ٢٦٨ وبقى قائما بها حتى توفى سنة ٣٠٢ هـ فى خلافة المهدى وفى الحور : أبوالقاسم أبوالحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفى ، وجاء اسمه كاملا فى افتتاح ٢ : أبوالقاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفى ، وسمى المنصور باليمن ، صاحب دعوة اليمن .
٣	عبد الله بن عباس الشاورى قتله أبو الحسن بن منصور غيلة	عبد الله بن العباس الشاورى ، كان خصيصا بمنصور اليمن ، وكان قد قدم على المهدى برسالة المنصور ، قتله الحسن بن المنصور غيلة	عبد الله بن العباس أرسلة منصور اليمن أيام حياته الى مصر لمهام الدعوة	ذكر صاحب الانباء / دار ٢٤ أنه قتل سنة ٣٣٦ ، وعلى ذلك يكون قد توفى فى عهد الخليفة المنصور الفاطمى .
٣	ابن الطفيل قتله ابراهيم عبد الحميد السباعى وهوجد بنى المنتاب .	ابن الطفيل قتله ابراهيم ابن عبد الحميد .	يوسف بن موسى بن أبى الطفيل ، وفى نزهة يوسف بن أبى الطفيل .	تولى رياسة الدعوة باليمن فى عهد الخليفة المعز الفاطمى .
٤			جعفر بن أحمد بن عباس .	لم يرد اسمه فى النزهة وجاء فى حواشيه العيون ١/٧ وأغلب الظن أنه ابن أخى عبد الله بن عباس الشاورى
٥			عبد الله بن محمد بن بشر من قدم	قام داعيا للامام العزيز بالله
٦			محمد بن أحمد بن العباس من شاور وهو من قدم	قام بالدعوة فى عهد العزيز
٧	ابن رحيم	ابن رحيم وكان كاتب أولاد المهدى بالقيروان ومصر	هارون بن محمد بن رحيم من قدم	كانت فى أيام الحاكم الذى أرسل له سجلا سنة ٣٩١ وتولى رياسة الدعوة فى عهد العزيز وبقى فى عهد الحاكم
٨	يوسف بن الاشج من شبام حمير	يوسف بن الاشج	يوسف بن احمد بن الاشج من حمير	تولى رياسة الدعوة فى عهد الحاكم
٩	سليمان بن عبد الله الزواحى من حمير	سليمان بن عبد الله الزواحى من ضلع شبام	سليمان بن عبد الله بن عامر الزواحى	تولى رياسة الدعوة فى عهدى الحاكم والظاهر
١٠	على بن محمد الصليحى من الأخروج من حراز	على بن محمد الصليحى من الاخروج من حراز	على بن محمد الصليحى قام بالدعوة الى الامام الظاهر ثم المستنصر	انظر (سابقا)

سابعا: دولة بني نجاح
٤٠٣ ـ ٥٥٥ هـ
١٠١٣ ـ ١١٥٠ م
(أحباش بزبيد والكدراء والمهجم والوديان) (١)



---

(١) الهمداني: صفة

(٢) هـ/ح ٣٤١، زامباور ـ المترجم ١٨١/١

اهم الاحداث في عهدهم :

١ ـ عرفنا ان نجاح كان عبدا لمرجان ، وانه تمكن من التخلص من نفيس ومرجان بقتل الاول ، ودفن الثاني حيا ، وانه استقل بحكم زبيد ، بعد ان اعلن الطاعة لبني العباس ، واصبح يلقب بالمؤيد نصير الدين ، وكان ذلك عام ٤١٢ هـ . وظل نجاح مالكا لتهامة اليمن ، من أعمال ابن طرف الى عدن ، وملوك الجبل تعظم دولته ، وتتقي صولته ، الى ان قتله السلطان علي بن محمد الصليحي ، على يد جارية اهداها له سنة اثنين وخمسين واربعمائة [٣] . ولكن هذا القتل لم يكن حدا فاصلا بين الطرفين ، بل كان بداية لعهد نزاع طويل بين الصليحيين والنجاحيين .

٢ ـ وفي سنة خمس وخمسين واربعمائة ، شمر الصليحي عن ساعد الجد في فتح تهامة ، وسار الى زبيد وافتتحها ، ثم احتل التهائم كلها ، وطرد منها آل نجاح ، الذين استقروا في جزيرة (دهلك) بعد هزيمتهم ، ثم افترقوا بعد ذلك . فأما معارك الاكبر فقد قتل نفسه غبنا ، واما الذخيرة فكانت حالفة (لم تبلغ سن الحلم) ، وأما سعيد الاحول وجياش ، فكانا رجلي البيت ، وما منهما الا من تأدب وعاشر وكاثر [٤] ... فجياش تنكر ودخل زبيد ، حيث استخرج وديعة كانت له عند عبدالرحمن بن طاهر القيني وعاد الى (دهلك) حيث عكف على العلم حتى برع . أما سعيد الاحول فانه خرج من زبيد مغاضبا لاخيه جياش ، حين نهاه عن الغدر بصاحب (دهلك) . ودخل سعيد زبيد متسترا ، حيث أقام عند ملاعب الخولاني ، الذي كان من اكثر الناس حبا لآل نجاح .

٣ ـ وفي الوقت الذي كان فيه السلطان علي بن محمد الصليحي ،

---

(٣) عمارة / حسن ٦٢

(٤) نفسه ٦٢

يستعد للقيام بالحج عام ٤٥٩ هـ ، كانت نار الحقد وحب الانتقام تلتهم قلوب بني نجاح ، بزعامة سعيد الاحول ، فكانوا يتربصون الفرص للايقاع بالصليحي ، والقضاء على دولته ، التي كانت سببا في زوال ملكهم . وكان يشجعهم على الاستمرار في المطالبة بحقوقهم ، ويقوى عزمهم على الاخذ بثأر نجاح ، فرح البيشي ، أحد عبيد نجاح (٥) ، وكان يقول في تحريضه : « انه قد اشتهر أمركم ، فادركوا نفوسكم ، والا فانه قد حان هلاككم » (٦) . وعلى الرغم من ان السلطان علي الصليحي قد عفا عنه ، بعد ما حلف هذا الخائن بالايمان المغلظة بانه بريء مما اتهم به ، فانه ما لبث ان أمر الصليحي مرة بقتله عندما ثبت له فساده وعناده ، وكان من أثر قتله ان شق الاحباش عصا الطاعة على مواليهم بزبيد ، حيث وثبوا على أبي السعود وأحمد ابني اسعد بن شهاب ، فقتلوهما .

وقتلوا من كان معهما من أهل حراز ، ونهبوا ما كان عندهم من أموال وكراع (٧) .

٤ ــ لما قوى أمر الاحباش ، عزموا على محاربة السلطان علي ابن محمد الصليحي ، فاستدعوا من كان على رأيهم من العبيد بتهامة والحجاز ، للقيام معهم لحرب الصليحي . وعرفوا بواسطة جواسيسهم ان الصليحي قد تحرك بموكبه الكبير من صنعاء ، يوم الاثنين السادس من ذى القعدة سنة ٤٥٩ هـ وانه لم يكن معه أحد من اهل البأس والمراس لان رجاله قد تقدموه ، وجميع أمواله واثقاله مبثوثة فيما بين هجر والمهجم ، ولم يكن مع الصليحي في المهجم الا ابنه الموفق وزوجته

(٥) ولما بلغ الصليحي خبر فرح هذا استقدمه وعاقبه ، ولكنه انكر التهمة وحلف الايمان المغلظة انه سيذهب ويأتي براس سعيد الاحول وصدقه الصليحي ، ولكن فرح عندما وصل الى زبيد أخذ يحرض العبيد ضد الصليحي (هـ / ح ١٠٠)

(٦) هـ / ح ١٠٠

(٧) ادريس (ع) ٧/ ٩٠

اسماء بنت شهاب ، واخواه عبدالله وابراهيم وجماعة من بني الصليحي، وكان الصليحي ، لما علم ان الاحباش في طريقهم لقتاله ، قد انفذ عبيده لمقاتلة عدوه ، وقد عهد اليهم بهذا الامر لوثوقه فيهم ، لانه ولي نعمتهم، وله عليهم فضل واحسان • فهبوا مسرعين متظاهرين بالحماسة والاخلاص ، ولكنهم اضمروا الخيانة والغدر لانهم حين التقوا في الطريق ببني جلدتهم ، غدروا بسيدهم ، وحرضوا العبيد من الحبشة على قصده ، ودلوهم على موضعه • وقالوا لهم : ان فاتكم غدا السبت لحق بأصحابه وعسكره وامتنع عليكم • فاصغوا الى نصيحتهم وقويت نفوسهم ، وصحت عزائمهم ، وساروا اليه مجدين ، حتى فاجأوه بضيعة يقال لها أم الدهيم ، وانقضوا عليه في يوم السبت الحادي عشر من ذى القعدة ، ومعه بنو عمه الذين أبلوا بلاء حسنا • وكان السلطان عبدالله بن محمد أشدهم يومئذ اقداما وأعظمهم بطشا بالاعداء » •

قتل السلطان علي الصليحي واخواه عبدالله وابراهيم ، وبعض اقاربه • اما الامير الموفق بن السلطان علي الصليحي ، ومهنا بن علي ابن المظفر الصليحي ، فقد اتجها الى مكان السيدات لحمايته ، ولكن العبيد ما لبثوا ان حاصروا هذا المكان واستمر حصارهم حتى يوم الاربعاء الخامس عشر من ذى القعدة ، فاستأمن مهنا وخرج الى الاحول ، فأخذ منه ميثاقا شديدا على الحرائر الصليحيات ، وعلى من بقى من بني الصليحي وسواهم • وحلف له اغلظ الايمان بانه سيطلق سراحهم ليسيروا الى صنعاء ، فوثق بقوله ، ونقل السيدات الى دار اخرى ، وغدر الاحول بالرجال فقتلهم عن آخرهم ؛ ونهب كل ماكان في الدار من أموال جليلة القدر من العين والورق [٨] ، وسائر مايدخره

(٨) الورق هو المال من الدراهم المضروبة

الملوك (٩) • وكان الداعي قد اعدها لينفق منها على الجند ، وعلى صالح البيت الحرام • ويقدمه الى امامه (١٠) • ومما غنمه الف فرس وثلاثة آلاف جمل بعددها (١١) •

وسألت الملكة السيدة اسماء بنت شهاب ، سعيدا الاحول ان يسمح لها ، هي ومن معها من النساء بالعودة الى صنعاء ، فامتنع • ثم سار الى زبيد ومعه النساء ورأسا الملك علي بن محمد الصليحي ، وأخيه السلطان عبدالله ، محمولا على رمحين أمام هودج الملكة أسماء • ونصب الرمحان أمام الطاق الذي تنظر منه الملكة الحرة أسماء في الدار التي حلت بها •••

قال جياش (أخو نجاح) : « وعزت نفس أخي سعيد من ذلك المقام ، وشمخ بنفسه حتى علي ، وانا أخيه ابن امه وابيه • ذلك اني اشرت اليه ، ان يحسن الى السيدة الملكة اسماء ، ويعفو عمن معها من بني الصليحي ، وهم مائة وسبعون سلطانا ويعفو عمن معها من ملوك قحطان ، وهم خمسة وثلاثون سلطانا • وان يكتب على يديها لولدها ، المكرم بن علي الصليحي : « أنا ادركنا ثأرنا ، واسترجعنا ملكنا وقد أحسنا اليك ، وحملنا اليك امك بصيانة ، والعفو عن بني عمك ، وقلت له : « والله يا مولانا ، لئن فعلت ذلك ، لانزعتك قحطان في ملك تهامة ، ولئن كرهت ذلك ليهجن حفائظها ولتطلبن دخولها ••• »

فأجابني سعيد بقوله : « لاتقطعن ذنب الافعى وترسلها •• ان كنت شهما فاتبع رأسها الذنبا ، » ثم أمر بالصليحيين فقتلوا عن آخرهم •

---

(٩) انباء / دار ٤٠

(١٠) ادريس (ع) ٧/ ٩١

(١١) عمارة / كاى ٦٤

قال جياش : لا أنسى رأس الصليحي في عود المظلة ، وقراءة المقرىء : « قل اللهم مالك الملك ••••• » ولا انسى قول الشاعر العثماني [١٢] :

ماكان اقبح وجهه في ظلها　　　ماكان أحسن رأسه في عودها

ولما وصل سعيد الاحول زبيد ، أنزل الحرة اسماء بنت شهاب «دار شحار» ونصب الرأسين قبالة طاقتها •

يقول عمارة : « وامتلأت صدور الناس هيبة من سعيد بن نجاح ، بعد مقتل الصليحي ، واستوثق الامر بتهامة له ، وبعث الى الحبشة من اشترى له عشرين الف عبد ممن يحملون الحراب » •

٥ ـ بعد مقتل الصليحي تغلب ولاة الحصون ، على ما في ايديهم من المعاقل ، وكاد أمر المكرم ان يتضعضع ، ولكنه تمكن بعد قليل من ان يثبت اقدام دولته نوعا بعد القضاء على المنتقضين • ولما استقرت الامور في صنعاء وما حولها من مخاليف ، عول المكرم على السير الى زبيد ، واتفق فى هذه الاثناء ، ان بلغه في شهر صفر سنة ستين واربعمائة من أمه الملكة اسماء ، كتاب لطيف قالت فيه : انها صارت حاملا من العبد اللعين ، سعيد الاحول ، وانه من الواجب ان ينقذها قبل ان تقع الفضيحة والعار [١٤] وقد ذكر صاحب الانباء [١٥] ، ان العبد لم يتصل بها ؛ وان هذا لم يحدث ••• وقد وجد المكرم في هذا الكتاب ، خير مثير لحفائظ العرب ، فجمع الناس واوقفهم على ماتضمنه كتاب أمه

---

(١٢) ادريس (ع) ٨/١٢٠ ـ ١٢١ : « وهذا الشاعر من نسل الخليفة عثمان بن عفان • ولما قتل الملك المكرم ، سعيد الاحول سنة ٤٦١ هـ ، اراد القبض على هذا الشاعر العثماني ، الذي فر متنقلا من بلد الى بلد ، وقد توسط له الوزير عمران بن الفضل اليامى ، عند المكرم ، ولكن المنية ادركت الشاعر ، قبل وصول عفو المكرم عنه » •

(١٣) عمارة / حسن ٩٦

(١٤) عمارة / كاى ٢٣

(١٥) انباء / دار ٤١

السيدة أسماء ، فضجوا بالبكاء ، ولم يزل المكرم يخطب في كل مكان ويقول لهم : « من يكن يرغب في الحياة ، فلا يكن معنا »[١٦] ، الى ان صفا له من الخلصاء عدد غير كبير .

وخرج المكرم من قرية (العمد)[١٧] ، في يوم الاربعاء لست بقين من شهر صفر سنة ستين واربعمائة ، في عشرة آلاف راجل وفارس[١٨] ، واستمر بمن معه من رجاله حتى وطىء تهامة من شرقي زبيد ، فقصدوا قرية (التربية) ، ودخلوا مسجدها يوم الجمعة عند الفجر ... وعندما تكامل رجاله ، ركبوا خيولهم ، وقصدوا باب الشبارق[١٩] ، وهو الباب الشرقي من زبيد . ثم نظم المكرم جيشه استعدادا للمعركة . فتقاتل الجيشان في يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر صفر سنة ٤٦٠ هـ ، وقد قاتل سعيد الاحول وجيشه قتالا شديدا حتى انطوى عليهم الجناحان ، فانكسر جيشه كسرة شنيعة، وهزموا شر هزيمة[٢٠] .

وكان سعيد الاحول قد أعد العدة للهرب ، فبعد ان تحققت له هزيمة جيشه خرج مع من سلم من خواصه من باب النخل (الباب الغربي لمدينة زبيد) ، متجهين الى البحر وقد اعدت له سفن هنالك ، فركبها من فوره ، وهرب الى جزيرة دهلك[٢١] وكان سبب نجاته انشغال

---

(١٦) ابن الديبع / ق ورقة ٢٣

(١٧) العمد فى ارض لعسان في بطن تهامة ، ومواردها اسفل سهام واسفل سردد ، وسوقها المهجم والكدراء (الهمداني « صفة ١٠٥ ـ ١٠٦ ») وقال القاضي محمد الحجري : انها قرية من قرى همدان من مديرية آل شريح .

(١٨) قال ابن الديبع / ق ورقة ٢٣ ، بغية ورقة ١١ : « ان عدد جيش المكرم كان ثلاثة آلاف فارس غير المشاة » ، الانباء / دار ٤١ قال : « انه كان عشرين الف حربة » ، عيون ٩٩/٧ قال : « انه كان عشرة آلاف فارس ورجل » .

(١٩) يوجد في السور الذي بناه سيف الاسلام طغتكين ، حول زبيد سنة ٥٨٩ هـ ، اربعة ابواب (بغية ورقة ٧ ـ ٨) .

(٢٠) القسي ٥٥

(٢١) بامخرمة ٨/١

المكرم ومن معه فى الوصول الى والدته السيدة اسماء « فلم يتتبع العبد أحد . ولا أقيم له في ذلك صد (٢٢) ودخلت العرب زبيد عنوة ، ولم يزل القتال الى صلاة الظهر (٢٣) .

وفي يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الاول سنة ستين واربعمائة ، خرج المكرم من زبيد ومعه امه الملكة اسماء والحرائر الصليحيات . وأسرع الى صنعاء لان الاخبار جاءته من اسماعيل ابن أبي يعفر الصليحي عامله على صنعاء بان الحالة تقتضي وجوب عودته سريعا ... فوصل صنعاء ليلة السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ستين واربعمائة . وبنى مسجدا على رأس والده وعمه عبدالله ، بعد ان نقلهما من « دار شحار » بزبيد الى صنعاء . وفي ذلك تقول عمارة (٢٤) : « وأنا ادركت مشهد الرأسين » .

٦ ــ استخلص المكرم أمه وقريباته من آل الصليحي ، من أسر آل نجاح ، ولكنه كان يشعر ويفكر بعمق في وجوب أخذ الثأر من سعيد الاحول وبني جلدته ، لانه كان يرى فيهم عدوه التقليدي . وان والده ــ شهيد ام الدهيم ــ ، وان ثأره بل ثأر العرب جميعا لايمكن ان تنام عنه أعين العرب . لهذا أخذ المكرم بعد ان استقرت الامور ، يستنهض العرب من جديد للاخذ بالثأر من العبيد ، وقام الشعراء يحرضون العرب على وجوب الاخذ بالثأر ، ومن هؤلاء الشعراء : الحسين بن علي القمي (٢٥) ، الذي نظم قصيدة طويلة جاء في مطلعها : (٢٦)

(٢٢) القمى ٥٧

(٢٣) عمارة / كاى ٢٥ قال : « ظهر يوم الاثنين ١٩ صفر سنة ٤٦٠ هـ »

(٢٤) عمارة / كاى ٢٦

(٢٥) هو ابو عبدالله الحسين بن علي بن القم ، كان ابوه صاحب ديوان الخراج بتهامة ، وقد ظهر شأنه في ايام الملك علي بن محمد الصليحي . ولد ابنه الحسين بزبيد وتادب بها ، وكان يعد من فضلاء اليمن، ورؤساء شعرائها « الجندى / سلوك ورقة ٨٨ » وقال عمارة عنه « انه كان شاعرا مترسلا يكتب عن الملكة الحرة اروى بنت احمد (النكت العصرية ٢/٥٦٧) . وكان على صلة وثيقة بالسلطان سبا بن احمد الصليحي واقام معه بحصن أشيح (عمارة / كاى ١٢٧) .

(٢٦) ادريس (ع) ٧/١١٠ ــ ١١١

افحطان هزي البيض واعتقلي السمرا ... وردي العوالي من دماء العدا حمرا
ولا تهدري ثأر المظفر[٢٧] انه ... بنى لكم مجدا وشاد لكم فخرا

ولما صحت عزائم العرب على القتال ، بعد ان استنهضهم الملك والشعراء والخطباء ، قام المكرم من صنعاء في يوم الخميس غرة شهر رمضان سنة ٤٦١ هـ • قاصدا سعيد الاحول فى زبيد فوصل الى (العند) يوم الاحد : وحثهم على عدم النهب او السلب ، وتأمين الناس على أموالهم وأرواحهم ، وانهم لايريدون الا قصد عدوهم ، فأطاعوه •

وجاءت المكرم الاخبار بان سعيدا الاحول ، قد تحرك منذ اول رمضان الى المخلاف او الى عدن ، فأرسل قائده عامر بن سليمان الزواحي ، في جل من معه من جنب وسنحان وحمير الى جهة نقيل صيد • واتجه المكرم بمن معه من همدان وآل حراز نحو جبل الشعر ، حيث كان سعيد الاحول وجيشه ، قد تعلقوا بالجبل[٢٨] ، فملك الرعب قلوب الجبشة ، وايقنوا بالهلاك ، فحل عليهم المكرم ، وهزمهم هزيمة منكرة وادرك رجل من شاكر[٢٩] ، سعيد الاحول ، فقتله عند قرية ماية[٣٠] • واتى برأسه الى المكرم • وقتل بلال بن نجاح ، واخوه مانك ، بجهة نقيل صيد ، على يد عامر بن سليمان الزواحي •••

وعاد المكرم بعد ذلك الى زبيد ، وفي يوم السبت غرة شوال ،

---

(٢٧) المراد بالمظفر هو الملك علي بن محمد الصليحي •

(٢٨) وكان عدد جيش سعيد الاحول ١٢ الفا ، وعدد جيش المكرم ٧٠٠ رجل ، ذلك لان معظم جيشه كان مع الزواحي (ادريس «ع» ١١٢/٧)

(٢٩) شاكر بن بكيل قبيلة همدانية مشهورة تسكن شمالى اليمن ولها فروع (الهمدانى «ص» ١٦٩ — ١٩٤) •

(٣٠) ماية : قرية في راس جبل بني حارس ، متصلة بجبل الشعر مباشرة ، وهي الحد الفاصل ما بين اليمن الاعلى واليمن الاسفل •

صلى بالناس وخطبهم خطبة أفاض فيها بالدعاء لابيه ، على ماقيضه الله له من الاخذ بثأر أبيه [31] •

ثم ترك المكرم زبيد بعد ان ولى عليها السلطان أبا حمير سبا بن أحمد الصليحي • واراد متابعة جياش بن نجاح ، فوصل الى الهجر صباح يوم الجمعة ٢٨ شوال سنة ٤٦١ هـ ، وعلم فيها بان جياشا هرب الى الهند ، ثم اتجه المكرم الى الساعد ، بعد ان خلف على الهجر عليا ومحمدا ابنى مالك بن شهاب الصليحي وجماعة من أهل الحجاز وأهل المغرب (مغرب اليمن) [32] •

٧ ـ ولما قتل سعيد الاحول سنة ٤٦١ هـ ، هرب اخوه جياش بن نجاح الى بلاد الهند، ولكنه ما لبث ان عاد الى اليمن متنكرا ، وذلك بعد ستة أشهر من هربه • وذلك حينما علم بمرض الملك المكرم ، واضطراب احوال دولته • وكان قد اشترى في الهند جارية هندية ، تزوج منها ، وأحضرها معه الى اليمن ، وقد انجب منها ابنه المسمى الفاتك ، الذي تولى الحكم بعد وفاة ابيه سنة ٤٩٨ هـ • فظل هو وزوجته الهندية ووزيره خلف بن أبى الطاهر الاموي [33] مختفين بزبيد ، حتى عرف جياش ان الوالي أسعد بن عراف (والي زبيد من قبل المكرم) ، حدث بينه وبين وزيره علي بن القم نزاع ، اضطر الوزير ان

---

(٣١) ادريس «ع» ١١٣/٧

(٣٢) ويرى عمارة / كاى ٣٠٠ في قتل سعيد الاحول ، ان قتله كان عام ٤٨١ هـ في عهد الملكة الحرة اروى بنت احمد ، واتبعه في هذا الخزرجي (ك) ٢٣ ، انباء / دار ٤٢ ، ابن الديبع في ورقة ٢٤ ، وهذا يخالف الواقع ، وما اثبتناه فهو راي صاحب العيون ١١٣/٧ •

(٣٣) المنسوب الى زياد بن أبيه ، دعى سفيان بن حرب الاموى (ادريس «ع» ١٣٣/٧) صحب هذا جياش الى بلاد الهند ، وعاهده على ان يقاسمه الامر ولقبه (قسيم الملك) وبه رجع جياش الى الملك (بامخرمة ٧/٢) ، وساءت العلاقة بينه وبين جياش بعد ذلك فاقصاه (الاصبهاني خريدة ورقة ٢٧٦) •

يقول يوما : « لو وجدت كلبا من آل نجاح لملكته زبيد » [٣٤] • كما قال في مناسبة اخرى : « عجل الله لنا بكم آل نجاح » [٣٥] • فاغتبط جياش من سماع هذه الاخبار ، وأخذ يعد العدة ، فاتصل بالحبشة المتفرقين في البلاد ، وأمرهم بالاستعداد ، كما اتصل بعلي بن القم (وزير الوالي أسعد بن عراف) ••• وتعاهدا على كتمان الامر ، حتى يتخلصوا من أسعد بن عراف ، حاكم زبيد ، ولما استوثق جياش لنفسه ، أمر بضرب الطبول ، فثارت معه عامة المدينة (مدينة زبيد) وخمسة آلاف من الحبشة ، وأسر ابن عراف ••

قال بن عراف : « ما يؤمنا منكم يا آل نجاح ، والايام سجالا بين الناس ، ومثلي لا يسأل العفو » •• فأجاب جياش : « ومثلك لا يقتل يا أبا حسان » • ثم أحسن جياش اليه والى اولاده خيرا ، وسيره بجميع ما ملك من أهل ومال [٣٦] •

ولم يمض شهر واحد ، حتى اصبح يركب في عشرين الفحربة من عبيده وبني عمه الذين كانوا مستضعفين في البلاد [٣٧] •

٨ ـ ولما فوضت الملكة الحرة أروى بنت احمد ، امور دولتها الى السلطان أبى حمير سبا بن أحمد الصليحي ، وجعلته نائبا عن ابنها علي بن احمد المكرم ، وحاميا لذمار دولته من المعتدين ، دخل سبا فى حروب متوالية مع جياش بن نجاح • وذلك لان حصون بن المظفر ومنها . مقرو : صاب ، قوارير ، الظفر ، الشرف [٣٨] كانت مطلة على تهامة ، وهي أقرب الى تهامة من جميع الجبال ، فكان اذا برد النسيم نزح العرب

---

(٣٤) انباء / دار ٤٣
(٣٥) ابن الديبع (ق) ورقة ٤٠
(٣٦) عمارة / حسن ٩٦
(٣٧) نفسه
(٣٨) عمارة / كاى ٣٣

بقيادة سبا اليها ، وارتحل جياش عن البلاد ، ويقيم سبا حتى يجبى خراجها ويبسط العدل فيها ، وكان يحتسب للعمال ما قبض منهم جياش في اشهر الصيف والخريف ، فاذا انفصل الشتاء وانصرم الربيع ، ارتحل بمن معه من العرب من تهامة الى الجبال ، وملك جياش تهامة ، اما بالقتال واما لشدة الحر ، وانتشار الوباء في العرب • ويقول عمارة [٣٩] :

« واذا عاد جياش الى زبيد نشرت المصاحف وابتهلت له الرعايا بالدعاء ، وظهرت الفقهاء ، وتطاولت العلماء ، واحتسب جياش للعمال ما قبضه منهم سبا ونوابه في مدة الشتاء والربيع » •

ولما طال ذلك على جياش ، واتعبه حرب العرب ، وخشى منهم الغلبة ، دبر له وزيره خلف بن أبى الطاهر ، حيلة فأرسل من يشير على الامير سبا الصليحي بوصوله الى زبيد [٤٠] وقد كاتبه اعيان من فيها ببذل الطاعة ، واخفوا الغدر ، فاطمأن الصليحي الى قولهم ، وذهب الى زبيد ومعه ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل ، وكان جياش قد أعد العدة والجموع ، واتصل بالشريف يحيى بن حمزة بن وهاس [٤١] ، ليكون معه في حرب الامير سبا •••

فلما انتهى سبا وجيشه الى باب زبيد ، وكان الشريف وغيره ممن مع جياش قد اعدوا كمينا ، ظهر على الناس بغتة ، ووقعت بين الطرفين

---

(٣٩) عمارة / كاى ٣٣

(٤٠) هذا ما ورد في ادريس (ع) ١٣٣/٧ ، وقال عمارة / كاى ٣٣ : « اشار الوزير خلف على جياش بان يعتقله ويقبض على امواله واملاكه ، ويقيم محمد الغفاري وزيرا له ففعل ذلك ، ثم ان خلفا نقب الحبس وهرب الى سبا ، فحسن موضعه منه ، فلم يزل يحسن لسبا النزول بتهامة ، وضمن له من الحيل والمكايد ، ما يقطع به دابرة جياش ونتيجة لهذا الافراء استحكمت اطماع العرب فى بلاد تهامة .»

(٤١) ادريس (ن) ٦١/١ : « هو من اشراف تهامة عسير ، تعرف بالمخلاف السليماني ، وهم ينتسبون الى موسى بن عبدالله بن الحسن بن علي بن ابى طالب . وهم أقارب لاشراف مكة ، وذريتهم لاتزال معروفة في تهامة عسير ، ومن قراهم صبيا وابو عسن وحرض وضمر والملحا وغيرها .

موقعة الكظائم [٤٢] في يوم الجمعة الخامس من ذى الحجة ، سنة تسع وسبعين واربعمائة ، حيث انهزم سبا ومن معه ، وقتل الاميران : قيس بن أحمد بن مظفر (اخو الامير سبا) ، ومحمد بن مهنا الصليحيين، وحمل الشريف يحيى بن حمزة ، على القاضي عمران بن الفضل اليامى ، فطعنه طعنة مات بسببها بعد ايام [٤٣] . وعقر فرس الامير سبا ، فاضطر ان يسير راجلا في غمار الناس حتى حمله بعض جنده على جواده [٤٤] .

ويقول عمارة [٤٥] : « ولم يقدر العرب على أخذ تهامة بعد هذه الموقعة » .

٩ ــ وكان جياش بن نجاح ــ الذي اطلق عليه لقب ابو الطامى ــ شاعرا فصيحا ، وله ديوان شعر ضخم ، وعدة مجلدات من النثر . وهو الذي صنف كتاب « المفيد فى اخبار زبيد » الذي اعتمد عليه عمارة في كتابه « تاريخ اليمن » .

ومن شعر جياش :

ويحسدني قومي واكرمهم فهل ... سواى حوى الاكرام منه حسود [٤٦]

ومن قوله :

اذا كان حلم المرء عون عدوه ... عليه، فان الجهل أبقى واروح [٤٧]

وفي الصفح ضعف والعقوبة ... اذا كنت تعفو عن قليل وتصفح

---

(٤٢) كذا في ادريس (ن) ٦٢/١ ، ادريس (ع) ١٣٣/٧ ، وفي رواية انباء / دار ٤٢ : « الكضائم والكظائم جمع كظيمة ، والكظيمة هي شبه بئر من سطح الارض الى مجرى الماء الذي تحت الارض وتستعمل هذه لتنظيف مجارى الماء تحت الارض ، وهذه الكظائم منتشرة في اليمن .

(٤٣) يقول ادريس (ن) ٩٣/١ : « ان احمد بن عمران خرج ومعه اخاه الحسين يطلبان الثار في ابيهما فنزلا تهامة وتعرفا على الامام فقتلاه » وقد ايد هذا الخبر صاحب الانباء / دار ٤٣ .

(٤٤) ادريس (ع) ١٣٣/٧ ، عمارة / كاى ٣٣

(٤٥) عمارة / كاى ٣٣

(٤٦) الاصبهاني : خريدة رقة ٢٧٩

(٤٧) بامخرمة : قلادة ٢/٢ ورقة ٦٤١ ، حاشية ٧٥ عمارة / حسن ٢٤٥ ــ ٢٥٥

١٠ ـ ويحكى الاصبهاني : الظروف التي افضت الى موت القاضي أبو محمد الحسين بن أبى عقامة (مؤتمن الدولة) [٤٨] فيقول : « لقد اراد جياش امرأة جميلة ، وهي فتاه من ربيعة ، التي كانت تسكن وادى موزع [٤٩] ، وانقسم أهلها في أمر زواجها منه • وقد نصح القاضي ابناء قبيلتها ، وكان تغلبيا تربطه بهذه القبيلة وشائج القربى ، بألا يستجيبوا لطلبه ولكن جياشا فاز بمأربه ، بما انفق من المال • وقد أعلمته المرأة حين تزوجت به بما صنعه القاضي في أمر زواجها ، فقبض عليه جياش وقتله ، فكتب ابو عبدالله الحسين بن علي بن محمد القم الى جياش قصيدة جاء فيها :

اخطأت يا جياش في قتل الحسين ... فقأت معتديا به عين الزمن [٥٠]
ولم يكن منطويا على ذخر ... مبرأ من الفسوق والدرن

١١ ـ ولم يزل جياش مالكا لتهامة من سنة اثنين وستين واربعمائة حتى سنة ثمان وتسعين واربعمائة ، ثم مات في ذى الحجة منها [٥١] ، وترك من الاولاد : الفاتك بن الهندية ومنصور وابراهيم وعبدالواحد والذخيرة ومعارك • وولى بعده ابنه الفاتك ، وخالف عليه اخوه ابراهيم ابن جياش ، كما خالف عليه أخوه عبدالواحد بن جياش ، وجرت بينهم وقائع وحروب ، حتى ظفر فاتك بأخيه عبدالواحد ، فعفا عنه واكرمه واغناه وأرضاه ، واما ابراهيم بن جياش فقد لجأ الى أسعد بن وائل بن عيسى الوحاظي ، ففعل معه من الاكرام ، ما لم يسبقه اليه احد •

١٢ ـ ولما توفى فاتك بن جياش سنة ثلاث وخمسمائة ، ترك

---

(٤٨) كان عالما مجتهدا مشاركا في كثير من العلوم ، ومن مصنفاته كتاب : « جواهر الاخبار » وكتاب في الفرائض والحساب وآخر في المساحة ، وقد ولى القضاء في عهد الصليحيين ثم في عهد جياش ، وكان الامير اسعد بن شهاب يثنى عليه مع مخالفته له في المذهب وكان جياش يجله ويكرمه ، (بامخرمة ٢/٢ ورقة ٦٣) •

(٤٩) الهمداني (ص) ٥٣ ، ٩٨

(٥٠) عمارة / حسن ١٠٠

(٥١) الاصبهاني : خريدة ورقة ٢٧٩ ، بامخرمة : قلادة ٢/٢ ورقة ٦٤١

ولده المنصور صغيرا ، فملكته عبيد أبيه ، وانتهز ابراهيم بن جياش فرصة وفاة اخيه فاتك وهبط الى تهامة ، فالتقى هو وعبيد فاتك في قرية (هويب) من وادي زبيد . ولما خرج عبيد فاتك من زبيد الى هويب لقتال ابراهيم ، وخلت منهم ، ثار عبدالواحد بن جياش في زبيد فملكها ، وحاز دار الامارة ، والتف الناس حوله لحبهم له .

ولما رأى ابراهيم بن جياش ان اخاه عبدالواحد قد سبقه الى الامر ، توجه الى الحسن بن ابى الحفاظ الحجوري ، صاحب (الجريب) (٥٢) ... واما عبيد فاتك بن جياش ومولاهم المنصور بن فاتك ، فقد نزلوا سنة ثلاث وخمسمائة في رحاب الملكة الحرة اروى بنت أحمد ، فأكرمت مثواهم ، وتعهدوا للملكة بدفع ربع متحصل تهامة اذا هي ساعدتهم ، وتم نصرهم على عبدالواحد . فأرسلت المفضل بن ابى البركات بجيش كبير يساعده جيش آخر بقيادة زريع بن العباس ، وعمه مسعود بن الكرم الهمداني (٥٣) . وقد تمكن المفضل من الاستيلاء على زبيد بعد حصار طويل . وطرد عبدالواحد بن جياش . وماطل المفضل في تولية المنصور بن فاتك (٥٤) ، ولكنه ما لبث ان عاد مسرعا بسبب اضطراب الاحوال ، فاستقر الامر بعد ذلك لمنصور بن فاتك ولعبيد أبيه ، فكانت الامارة من اولاد فاتك ، والوزارة في عبيده ، وظلوا يتوارثون الحكم كما هو واضح في الجدول السابق ، حتى سنة ٥٥٣ هـ ،

---

(٥٢) ينسب الى حجور وهو حي من همدان وهم ولد حجور بن أسلم بن عليان بن زيد ابن عريب بن جشم بن حاشد . وحي حجور عظيم باليمن والشام والعراق ، يقارب نصف حاشد ، ومنهم بني الصليحي ببيت الاخروج ، وهم من بني عبيد بن اوام بن حجور (هامش ادريس «ع» ٢٢٢/٧ ، الهمداني (ك) ٩٧/١ — ٩٩ ، والحسن هذا من ولد حريث بن شرحبيل ، ثم من ولد موله بن حجور ثم من قدم) (ادريس (ن) ٨٦/١ .

(٥٣) وكان والي عدن من قبل الملكة اروى . وقد قتلا على باب زبيد سنة ٥٠٣ هـ وتولى أمر عدن بعدهما ابو السعود بن زريع ، وابو الغارات بن مسعود (بامخرمة : ثغر عدن ٨٦/٢) .

(٥٤) يروى الخزرجى (كفاية) ٥٦ : « ان المفضل هم ان يغدر بالمنصور ويأخذ زبيد » .

حيث قتل فاتك بن محمد ، آخر امرائهم ، وبقتله زالت دولتهم ، وملك علي بن مهدي تهامة اليمن كما سنذكره بعد ..

١٣ ـ اما عن عبيد فاتك بن جياش وعبيد ابنه منصور « فهم وان كانوا من الاحباش ، فلم تكن ملوك العرب تفوقهم فى الحسب ، الا في النسب ، والا فلهم الكرم الباهر ، والعز الظاهر ، والجمع بين الوقائع المشهورة والصنائع المذكورة » (٥٥) .

واول من وزر منهم انيس الفاتكى ، وكان من الجزلين الاحباش ، من نفس البطن الذي ينتسب اليه ملوك بني نجاح . وكان أنيس هـذا جبارا غشوما ، مهابا شجاعا . وقد استضعف سيده منصور بن فاتك ، فطغى وتجبر . وبنى دارا واسعة رضية وعمل لنفسه مظلة للركـوب . وضرب سكة باسمه ، وهم ان يفتك بسولاه منصور ، ولكـن منصورا (وكان قد بلغ مبلغ الرجال) ، اولم وليمة كبيرة في قصره (قصر الامارة) دعا اليها انيسا وكبار رجال العبيد ، فلما حضروا أوقع بهم ، وقتـل انيسا ، واصطفى امواله وحريمه ، فممن صار اليه بالابتياع من ورثـة انيس جارية مغنية ، يقال لها علم (٥٦) ، فتزوجها منصور ، وانجبت له ابنـه فاتكـا ...

١٤ ـ وزر بعده الشيخ من الله الفاتكي (٥٧) ، وهو الذي سـور مدينة زبيد ، بعد الحسين بن سلامة . وكان له الكرم الباهر والشجاعة

---

(٥٥) عمارة / حسن ١٠٢ ، انباء / دار ٤٦

(٥٦) كانت الحرة الصالحة علم كثيرة الحج والصدقة ، وقد وكل اليها سيدها وزوجها منصور بن فاتك بن جياش امر تدبير ملكه ، فكان لا يقطع احد من كبار رجـال الدولة ، امرا الا بمراجعتها ، ولم يزل ذلك من عادتها حتى توفيت سنة ٥٤٥ هـ (سلوك / دار ٣ ورقة ٤٥١ ، انباء / دار ٤٦ ، عمارة / حسن ٣٢٨) .

(٥٧) انباء / دار ٤٦

والهيبة • وهو الذي كسر ابن نجيب الدولة (٥٨) ، على بـاب زيد ، وقتل من أصحابه مائة من العرب ، وثلثمائة أرمني رماة ، وخمسمائة من العبيد ، وذلك في اواخر سنة ثمان عشرة وخمسمائة ••

وله وقعة اخرى مع الامير أسعد بن أبى الفتوح (٥٩) ، حيث قتل فيها من العرب ما ينيف على الالف رجل • ومن اعمال الخير التي اجراها، انه تصدق على مدارس الفقهاء الحنفية ، والشافعية ، بما اغناهم عمـن سواهم ، من الاراضي والمرافق (٦٠) ، وكان يثب على المدح ثـوابـا جزيـــلا ••••

ويؤخذ عليه انه لما وزر الى منصور بن فاتك سنة ٥١٧ هـ ، تخلص من سيده بان قتله بالسم ، وملك ابنه فاتك (ابن سيده منصور) ، وهو يومئذ طفل صغير • كما كان يؤخذ عليه كذلك انه كان زير نساء ، فقيول عمارة (٦١) : « ان آل نجاح كان لهم أكثر من الف سرية ، ما منهن احد تسلم من الوزير من الله ، الا عشر نساء من حظايا منصور بن فاتك ، منهن الحرة الملكة ام فاتك بن منصور ••• ومنهن ام ابى الجيش والحرة رباض ، والحرة ام ابيها ، وجنان الكبرى ، وتسني •• •الخ » •

ويذكر عمارة ، ان الحرة ام ابى الجيش ، هي التي تمكنت مـن القضاء عليه ، فمكنته من نفسها ، ثم وقع عليها ، ومسحت ذكره عنـد الفراغ ، بخرقة فيها سم قاتل ، فتهرأ ومات من ليلته ، وكانت وفاته ليلة السبت الخامس عشر من جمادى الاولى ســـنة اربع وعشـــرين

---

(٥٨) ارساه الوزير الافضل بن بدر الجمالي الى الملكة اروى الصليحية ليشد مـــن ازرها في بلاد اليمن ، ولما زاد نفوذه طمع في محاربة الدولة النجاحية في زبيـــد سنة ٥١٨ هـ ، والوزير يومئذ بها من الله الفاتكي ، ولكن ابن نجيب الدولة هـزم شر هزيمة (هـ / ح ١٧٠ – ١٧١ ، ادريس (ع) ١٨٣/٧ ، عمارة حسن ١٠٢) •

(٥٩) هو ابن عم المفضل بن ابى البركات ، أقامته الملكة اروى بنت احمد ، بعد وفـاة المفضل للذب عن مملكتها ، وكان متوليا حصني تعز وصبر ، واستمر في خدمتهـا من سنة ٥٠٤ الى سنة ٥١٤ هـ حيث قتله رجلان من اصحابـه (كفـايـة ٥٦ ، انباء / دار ٤٦ ، با مخرمة : ثغر عدن ١٧) •

(٦٠) انباء / دار ٤٦

(٦١) عمارة / حسن ١٠٣ – ١٠٤

وخمسمائة [62] .

١٥ ـ ثم وزر بعده ـ لفاتك بن منصور ـ رزيق الفاتكي ، وكان شجاعا كريما ، ولكن لم يكن له نفوذ في سياسة العسكر ، ولا خبرة في اقامة نواميس السلطنة ، فلم يلبث فى الوزارة الا قليلا ، حتى استقال منها ...

١٦ ـ وزر بعد ابى منصور مفلح الفاتكى الحبشي ، وكان هذا رشيدا من الاعيان ، أهل الخبرة والفقه والادب والشجاعة والرياسة الكاملة . وكان الناس يقولون : لو كان له نسب من قريش ، كملت له شروط الخلافة . وكان عفيفا . ويحكى عنه انه قال « والله ما عصيت الله بفرجي منذ خلقت ... » [63] .

وأما احواله مع العسكر ، فان قصر الملك فاتك بن منصور ، نشأت به رجال من عبيد الملكة الحرة (ام فاتك بن منصور) ، كان على رأسهم سرور . وكان هؤلاء الرجال هم الذين يتكلمون على لسان مولاهم الملك . وصار الوزير في امور السكان اجنبيا معهم ، وعظم جانب الحرة ، واستمالوا اليهم كثيرا من رجال الجيش . ثم اخذوا يدبرون الحيلة ليخرجوا مفلحا من زبيد ، فسيروه بجيش الى عدن لمحاربة سبا بن ابى السعود ، وعلي بن ابى الغارات الزريعيين . فلما خرج مفلح من زبيد ، ثار محمد بن فاتك بن جياش ، على الحرة وولدها فقضى ذلك برجوع مفلح الى زبيد . ثم دبر سرور على خروج مفلح مرة اخرى ، بان كاتب عرب الزعلي والعمراني ، ليقوموا بالهجوم على اعمال المهجم ، وفيها يومئذ القائد مسعود الزبيدي . فقضى ذلك بخروج مفلح الى المهجم ، وبعد ليلة من خروجه ، تسلل جنده وتركوه ورجعوا الى المدينة ، فتوجه بحريمه وخاصته الى حصن الكرش . وكاتب الشريف غانم بن يحيى السليماني الحسني ، وهو يومئذ ملك

---

(٦٢) عمارة / حسن ١٠٤ (٦٣) نفسه ١٠٧

مخلاف سليمان بن طرف . واشترط مفلح للشريف وبني عمه ، اسقاط الاتاوة المقررة عليهم لصاحب زبيد ، وقدرها ستون الف دينـار ، وان يضيف لهم اعمال الواديين الواسعة ، اذا هم ساعدوه ، على دخول زبيد. فسار الشريف في ألف فارس ، وعشرة آلاف راجل ، ناصرا لمفلح علـى أهل زبيد ، فلقيهم القائد سرور ، وكسرهم وطردهم . فعاد مفلح الـى حصن الكرش ، حيث توفى سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وخلفـه ولده منصور الذي استمر في القتال ، ولكن ما لبث ان خذله رجاله . فاستأمن القائد سرور ، ودخل زبيد والوزير يومئذ اقبال فخلع علـى منصور ، وأنزله في دار ابيه ، ولكنه غدر به في اليوم التالي ، فانكـر الملك الفاتك ، والقائد سرور هذا العمل على الوزير ، وهم الملك بـه ، ولكنه أبقاه على دخن . فانتقم الوزير من سيده بان قتله بالسم سـنة ٥٣٠ هـ (٦٤) .

١٧ ـ وآخر هؤلاء العبيد وامامهم ، هو القائد ابو محمد سرور أمحرة الفاتكى الحبشي . وقد اشترته الحرة الصالحة (حـرة زبيد) لولدها فاتك بن منصور . وقد ربته فأحسنت تربيته ، ولما كبر وترعرع، ولته زمام المماليك ، وصرفت له الرياسة على كل من ان بقصرها . ثم ولى الرياسة على الجند ، فملكهم بالاحسان والصفح عنهم ، ثم ترقت به الحال الى ان ولى الترسل بين السلطان والوزراء والاكابر . وقـد تزوج من وردة ، جارية الوزير مفلح ـ بعد وفاة مولاها ـ بحصـن الكـرشـ ...

وتقول وردة : « لما تزوجني القائد ابو محمد سرور ، وجدت رجلا مشغولا عن الدنيا ، وعن النساء ، وعن التنعم ، بالنظر فى معالي الامور. فلم ازل به حتى حللته ، وتدرجت به حتى ملكته ... فكان لا يخالفنى فيما أراه .... واذا غضبت عليه ، كاد ان يفارق الحياة من الغـم

---

(٦٤) نفسه ١١٤ .

والنكـد ... [٦٥] .

وعرفنا ان الحال اخذت تترقى بسرور ، حتى تمكن من اخـراج الوزير مفلح من زبيد ، ولم يزل يحاربه ، حتى مات في الجبال ...

وبلغ من تقديره واجلاله ، انه اذا ما وصل الى مولاته الحـرة الصالحة نزلت عن سريرها اكراما منها ،وتبجيلا لقدره .. وقالت لـه : « .. أنت يا ابا محمد وزيرنا .. بل ومولانا .. بل ورجلنـا الذى لايحل لنا ان نخرج عن طاعتهفي شيء... فيصيح بالبكاء بين يديها [٦٦] .

وظل ابو محمد سرور الفاتكى يتصرف في امور الدولة ، حتى دبر علي بن مهدي ، على قتله ، فقتل في شهر رجب سنة احدى وخمسـين وخمسمائة . [٦٧]

---

(٦٥) عمارة / حسن ١١٥ (٦٦) نفسه ١١٨ (٦٧) نفسه ١٢٣

— ١٦٠ —

— ١٦٦ —

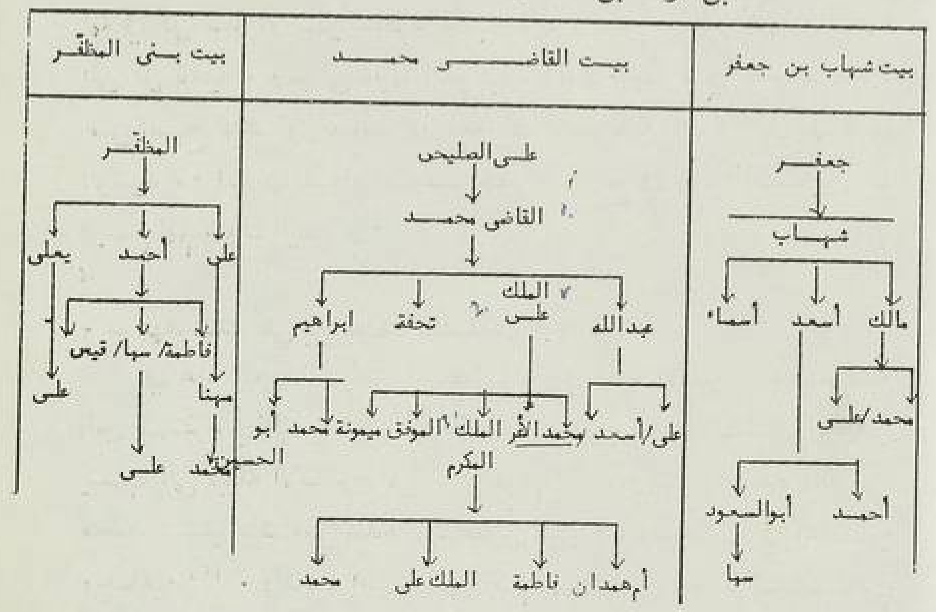
— ١٦٢ —

ثامنـا ـ دولـة الصليحيين

٤٣٩ ـ ٥٣٢ هـ

١٠٦٦ ـ ١١٣٨ م

بيت الاخروج : وهو من بنى عبيد بن اوام بن حجور بن أسلم بن عليان ابن زبيد بن عريب بن جشم بن حاشد ... بن حيران ابن نوف بن همدان .



ملحوظة : وردت في البحث اسماء الصليحيين الآتية ، ولم اتمكن من الحاقهم بالجدول :

١ ـ السيدة الملكة الحرة اروى بنت احمد بن محمد بن القاسم الصليحى .

٢ ـ السيدة الرداح بنت الفارع بن موسى الصليحى والدة الملكة اروى .

٣ ـ سويد بن زيد الصليحى ، والد السيدة الحرة الجمانة زوجة السلطان ابى حمير سبا بن احمد .

اهم الاحداث في عهدها :

١ ـ كانت حالة اليمن قبل ظهور الصليحيين ، مقطعة الاوصال ، لم تكن بها وحدة سياسية تجمع شمل البلاد تحت لواء واحد ، بل كانت السلطة موزعة بين الامراء والزعماء المتباغضين المتنافرين • ويعبر ما ذكره صاحب الانباء [١] اصدق تمثيل للحالة فيقول : « من سنه ٤٠٥ الى سنة ٤٤٨ ، عم الخراب صنعاء وغيرها من بلاد اليمن ، لكثرة الخلاف والنزاع وعدم اجتماع المملكة الواحدة ••• واظلم اليمن وكثر خرابه ، وفسدت احواله ••• وكانت صنعاء واعمالها كالحرقة ، لها في كل سنة او شهر سلطان غالب عليها ، حتى ضعف اهلها وانتقلوا الى كل ناحية • وتوالى عليها الخراب ، وقلت العمارة في هذه المدة ، حتى اصبح عدد دورها الف دار بعد ان كانت مائة الف دار في عهد الرشيد •• الا ان صنعاء تراجعت بعض التراجع في زمن الصليحيين لما اجتمع لهم ملوك اليمن » •

٢ ـ عهد الملك علي بن محمد الصليحي :

في هذا الجو السياسي المضطرب ، وفي تلك الاحوال السياسية الغير مستقرة في اليمن ، ظهر ابو الحسن علي بن محمد الصليحي ، وهو ينسب الى قبيلة الاصلوح من بلاد حراز [٢] • وكان والده القاضي محمد ، سنيا ، شافعي المذهب ، حسن السيرة ، مطاعا في اهله وجماعته [٣] • وكانت القرية التي يقيم بها القاضي محمد تسمى (فتر) من اعمال حراز [٤] ، فنشأ ابنه علي ، على طريقته في بدايته ••• ونعرف مما روى عن نشأته ، واحواله في شبابه ، انه لوحظ عليه مخايل

---

(١) انباء / دار ٢٧ـ٢٨
(٢) هـ / ح ٦٤ هامش «١»
(٣) الخزرجي : كفاية ٤٧
(٤) ادريس «ع» ٢/٧

النجابة (٥) ودلائل الفضائل (٦) ، وطموح النفس ، وان الاحوال تقلبت به في بادىء الامر من عسره من خفض الى رفع ، ومن ضر الى نفع (٧) • ويقول ابن الجوزي (٨) : « انه كان شابا اشقر اللحيه ، ازرق العينين ، وليس في اليمن من يماثله في ذلك » •

ولما انتقلت رياسة الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن الى الداعي سليمان بن عبدالله الزواحي ، كان هذا كثير التردد على القاضي محمد : « فكان يركب اليه كثيرا ، لرياسته وسؤدده وصلاحه وعلمه » (٩) •

وقد لاحظ الشيخ سليمان مخايل النجابة على الطفل علي بن محمد الصليحي ، وكان علي هذا دون البلوغ ، فاخذ الشيخ يتصل بعلي ، ويطلعه على ما عنده من اخبار وآمال ومشروعات كبار ، حتى استماله ، وغرس في قلبه ما غرس ، من علومه وادبه ومحبة مبادئه (١٠) • ولما اطمأن الزواحي لنضج تعاليمه ، في نفس تلميذه ، جعله خليفته في الدعوة ، بعد ان وافق الامام المستنصر بالله الفاطمي في مصر على ذلك (١١) •

« وطالع الزواحي حضرة امامه في أمره ، فأتيح له ان يفضي بمكنون سره » (١٢) ، واننا نعتقد ان الداعي الزواحي قد تمكن بما اتى من قدرة وسعة علم ولباقة فائقة وطلاوة في الحديث ، من ادخال الشاب علي في علوم الدعوة واقناعه بضرورة الحرص عليها ، كما نعتقد انه لم يلاق

---

(٥) الخزرجي : كفاية ٤٧

(٦) ادريس «ع» ٣٨/٧

(٧) عمارة / كاى ١٥

(٨) مرآة الزمان ١/٢ ورقة ٨٨ ب ولا يؤيده احد من المؤرخين في هذا الوصف

(٩) الخزرجي : كفاية ٤٧

(١٠) ادريس (ن) ٣٤/١ ، انباء / دار ٣٨ ، كفاية ٤٧

(١١) ادريس (ن) ٢/٧

(١٢) ادريس (ع) ٢/٧

أي صعوبة في جذبه اليه ، لما أبداه علي من رغبة صادقة في الاستمرار والتقرب من شيخه المفيد ، وهذا بفضل ذكائه الذي ظهر فى سن مبكرة ، ثم ان عزم علي وجده وحرصه على الا يفلت منه هذا الامر جعله ينكب على دراسة كتب الدعوة ، التي آلت اليه بعد موت الزواحي • لان هذا، كما قال الخزرجى [١٣] : « كان قد اوصى قبل وفاته بجميع كتبه لـه ، وأعطاه مالا جزيلا كان قد جمعه من أهل مذهبه » ، وهذا يدل دلالـة واضحة على نضوج الدعوة واصولها ، في عقل هذا الشاب ، الذي كتب له ان يلعب دورا هاما في تكوين تاريخ اليمن » •

وكان ذكاء الصليحي من أهم عوامل نجاحه ، فلم يكـد يبلـغ الحلم ، حتى تضلع في معارفه التي بلغ بها وبالجد السعيد ، غاية الامـل البعيد [١٤] • فاصبح ــ كما قال عمارة [١٥] : « عالما فقيهـا في المذهب الفاطمي مستبصرا في علم التأويل » • ولا يخفى ان طلاب السـلطة ، يراعون دائما جانب العامة ، وهم السواد الاعظـم في كـل مجتمع ، فيعملون لهم كل حساب ويتقربون اليهم بما يرضيهم ، ولما كان الدين هو جامعتهم الكبرى ، ومن اكبر أسباب سعادتهم ، تمسك الصليحي بالديانة الاسلامية والمثل العليا [١٦] • فكان متفقها فى عقائد المذهب السـني ، وكان لايظهر حقيقة مذهبه الا لمن يثق به ، فاتخذ الدعوة بالتي هـي أحسن ، لتكوين مجتمعه الذي ينشده ، وليصل الى ماتصبو اليـه

---

(١٣) كفـايـة : ٤٧
(١٤) نفســه
(١٥) عمـارة / كاى ١٤ ــ ١٥
(١٦) هـ / ٧١ هامش (١)

نفســه • ولم تكن دعوة الصليحي في اول الامر للامراء وعلية القــوم وأصحاب المصالح ، لانه كان يفهم تماما ان هؤلاء سيحاربونه باي حال من الاحوال ، ولكنه اتصل بالعامة ، بل وبالمتحمسين منهم للدين ، وهم الحجاج • فكأنه دخل بدعوته في هذا الميدان ، متشحا ومتجملا بالدين ومحاسنه ، وهو متحقق بانه لابد من ان يستميل اليه أعوانا ، ولو طــال به الزمن ، مادام متمسكا بالدين [17] •••

ولما كان الصليحي من طلاب السلطة المطلقة •• وجد انه لايسكنه ان يستغنى عن العامة ، لانهم السواد الاعظم فى الرعية ، وبهم تجبـى الاموال ، ومنهم تتألف الجنود ومن استطاع كسب ثقتهم ، وجــذب قلوبهم ، ملكوه ، ولا يجتذب قلوب العامة في تلك العصور مثل الدين• فاذا اجتمعت السياسة والعدالة ، تمت وسائط السلطة ، وتولى أمــور الناس ، أقدرهم على استرضاء العامة •••

فهم علي الصليحي هذا كله ، ولا غرو ، فان آماله ودأبه علــى تحقيق هذه الآمال كفيلة بنجاحه ووصوله الى تحقيق اغراضه •••

وكان موسم الحج من سنة ثمان وثلاثين واربعمائة فاتحة عهــد جديد في نجاح الصليحي حيث بايعه ستون رجلا من قبيلة همدان [18] ، على الموت او الظفر بقيام الدعوة [19] ، وعلم كل منهم انه جندي مــن جنود الله ، فباعوا انفسهم بيع السماح ، وتضافرت القوى على نصـرة الدعوة بالانفس والمال • وقد قال عمارة في اتباع الصليحي : « وما منهم الا من هو من قومه فى منعة وعدد كثير » [20] ، فبانضمامهم للدعوة عز

---

(17) ابن الديبع (ق) ورقة ٢١ ، الخزرجى (كفايــة) ٤٧١

(18) هـ / ح ٧١ هامش (١)

(19) ابن الديبع (ق) ٢١ ، الخزرجى (كفاية) ٤٧

(20) عمــارة / كاى ١٧

جانبها ، وقوى ساعد الصليحي ، كما كان ذلك مشجعا لمن كان مترددا من المستجيبين ، على ان يحذو حذوهم •

٣ ـ قيام الصليحى بالثورة :

تمكن علي بن محمد الصليحي بذلك من تكوين جماعة صغيرة مخلصة له ، وقد اصبحت هذه الجماعة نواة لقوة كبيرة التفت حوله ، ولكن هذا تطلب منه الكثير من الجهد والتدبير والتقدير واعمال الرأي ، ليجمع هذه القلوب المتفرقة اولا ، وليجعلها تندفع في تيار الحرب لرفع راية الامام ثانياً • ولقد بذل الصليحي واصحابه جهدا كبيرا في هذا السبيل ، لجمع الكلمة وتوحيد الهدف • فتمكن بفضل ما اوتي من شخصية قوية نادرة ، ان يتغلب على هذه المشكلة ، بان جعل اصحابه يعتقدون انهم يحاربون لنصرة الامام واعلاء كلمة الله ، وليس لامر من امور الدنيا ، فكتب له ما تمنى من التوفيق ، واخذ في الاسباب ، فكاتب من جهة امامه في مصر الخليفة المستنصر بالله وطالعه في هذا الامر ، واخذ من جهة يعاهد اصحابه ، ومن صحت في نفوسهم دعوته ، كما حدث ان اتفق مع الهمدانيين على الوصول اليه فى يوم معلوم ، وجد في الاستعداد لتنفيذ خطته ، فأرسل الى أهل دعوته رسلا يحثهم على الوصول اليه ، واشترى العدد اللازمة ، فخف لمقابلته كبار أهل دعوته من نواحي حراز [٢١] • وقد استقر رأيهم جميعا على ان يقوموا بهذا الامر ، عند صلاة العصر من يوم الاربعاء ، لاربع عشرة ليلة خلت من شهر جمادى الاول سنة تسع وثلاثين واربعمائة [٢٢] ، وهي التي اتفق مع أهل دعوته على ان يوافوه فيها • واجتمع له في هذه الليلة ثلثمائة رجل ، عدا من جاء من نواحي حراز •

---

(٢١) ادريس (ع) ٤/٧ ـ ٥ ، هـ / ح ٧٣ هامش (٢)

(٢٢) هـ / ح ٧٣ هامش (٣)

فلما صاروا بحضرته اطلعهم على ما عقد عليه العزم ، واخبرهم بانه أمر أهل دعوته في جميع النواحي بان يوافوه في يوم معلوم ، وانه قد عزم على عمارة (مسار) ، واظهار دعوة المستنصر بالله الفاطمي والجهاد في سبيل الله . وقد استقر مجلس الشورى هذا على الاستمرار في خطة الداعي ، وسرهم هذا الرأي وايقنوا بالغلبة والظفر ، كما استقر رأيهم على وجوب الاخذ باسباب الاستعداد « فجمعوا ما استطاعوا من العدة ، وتواصوا ببذل النفوس والاموال فى طاعة الله تعالى وطاعة رسوله وطاعة الامام »[٢٣] . وجاءتهم الاموال من كل اتباعه ، فأثنى عليهم وشكر لهم سعيهم وقال لهم : « سوف يضاعف الله لكم اضعاف ما اسلمتم ، وليمكنكم الله من ديار الظالمين ، ولتنالن ما ترومونه ببركة أمير المؤمنين »[٢٤] .

ولما أتم علي بن محمد الصليحي استعداده للثورة ، قام فاستولى على قمة جبل مسار سنة ٤٣٩ هـ بغير قتال ، بعد ان هرب اهلها ، ونشر على رأسه بنودا ترجع الى عهد الدعاة السابقين[٢٥] . ولم يمض شهر على احتلاله حتى بناه ودربه وحصنه واتقنه[٢٦] .

٤ ـ حروب الصليحي :

ا ـ قيام جعفر العياني وجعفر الشاورى لمحاربة الصليحي :

لما زاد نفوذ الصليحي ، خاف جماعة من زعماء اليمن عاقبة ذلك . فقصد الشريف جعفر بن الامام القاسم بن العياني صاحب صعدة فى جمع كبير من أصحابه حصن الاخروج ، فقاتل أهله ، وكان به الحسين ابن مهلهل من أصحاب الصليحي ومعه جماعة من همدان وبني

---

(٢٣) ادريس (ع) ٥/٧ ـ ٦
(٢٤) نفسه
(٢٥) نفسه ٦/٧
(٢٦) الخزرجي : كفاية ٤٧

شهاب [٢٧] • وانتهز هذه الفرصة جعفر بن العباس الشـاوري [٢٨] ، صاحب مغارب اليمن الاعلى ، وقام على رأس جند كثيف (ثـلاثـين الفـا) ، وقصد عبرى ، أسفل جبل مسار ، وأرادوا طلوع الجبـل ، ولكن الصليحي واتباعه تمكنوا من هزيمته وقتله ، فقوى بذلك مركزهم وزاد نفوذهم وقويت روحهم المعنوية ، وخافهم من كان يترقب ــ من القبائل ــ نتيجة هذه الموقعة ، فاضطر الشريف حين سمع بخبر قتـل حليفه ابن العباس وهزيمة جيشه ، ان يترك حصن الاخروج وينجـو بنفسـه [٢٩] •

ب ــ محاربة الصليحي لابن جهور :

تقدم الصليحي بعد ذلك بجيشه فاستولى على حضور [٣٠] واخذ حصن بتاح [٣١] ولكن ابن جهور اعتصم بحصـن لهـاب ، فحاصره الصليحي وضيق الخناق عليه فاضطر ابن جهور ان يستعين بنجاح [٣٢] ، ولكن هذه الوساطة لم تنجح ، فاضطر ابن جهور ان يسلم نفسـه للصليحي الذي انزله في ضيافته واكرمه واحسن اليه •

ج ــ واقعة صوف :

اراد الصليحي بعد ذلك ان يتبع سياسة المهادنة ازاء سلاطين اليمن واصحاب الدويلات المجاورة ، اذا نفعت هذه السياسة ، والا فمحاربتهم بالقـوة • لذلك حاول ان يهادن السلطان ابا حاشد صاحب صنعـاء ، كما هادن اباه السلطان يحيى بن ابراهيم الصحارى [٣٣] من قبل ، ولكن

---

(٢٧) ادريس (ع) ٨/٧ ، وبنو شهاب نسبهم الهمداني الى كهلان ثم الى كندة ، وجعلهم تشـوان من قضاعـة •

(٢٨) الخزرجي : كفـايـة ٤٧

(٢٦) ادريس (ع) ٩/٧

(٣٠) الهمداني (ص) ١٠٦

(٣١) با مخرمة • ثغر عدن ١٥٩/٢

(٣٢) اسـس الدولة النجاحية بزبيد سنة ٤١٢ هـ

(٣٢) الخزرجي : كفـايـة ٤٧

هذه المحاولة باءت بالفشل ، فأدى هذا الى قيام الحرب بين الطرفين ، انتهت بقتل صاحب صنعاء عند صوف ، هو وألف من اتباعه [٣٤] ، واستولى الصليحي على صنعاء « ورأى الناس من عدله وفضله وحسن سيرته ما ألف له القلوب ، وأرغم له أهل النخوة والمكابرة [٣٥] ·

د ـ واقعة نجد الحاج :

فلما استولى الصليحي على صنعاء ، اضطرب الامام ابو الفتوح [٣٦] ، واتصل بنجاح القائد صاحب تهامة ، وطلب منه اخراج الصليحي عن صنعاء وتملكها · فأدت المكاتبات بين الامام والقائد الى فساد العلاقة بين الصليحي وصاحب تهامة ، كما ادت الى وقوع الحرب بين الصليحي والامام المذكور في سنة ٤٤٠ هـ واتنهت بقتل الامام ونحو سبعين رجلا من اتباعه بنجد الحاج [٣٧] ببلاد رداع ، ومثل به ، فحمل رأسه الى صنعاء ، ودفنت جثته في أفيق ببلاد عنس ·

هـ ـ واقعة الهرابة :

ولما كان المغلوب على أمره تحدثه نفسه دائما بشق عصا الطاعة كلما اتيحت له الفرصة ، فالهمدانيون باعتبارهم أكبر القبائل التي دانت للصليحيين فكروا في خلع طاعته ، فاتصل بعض رؤساء بطون همدان بالشريف القاسم بن جعفر الامام منصور القاسم العياني ، واستنهضوه هو واتباعه ، وخرجوا جميعا لغزو الصليحي ، وكان ذلك سنة ٤٤٨ هـ · وتقابل الجمعان بالقرب من قرية هرابة [٣٨] ، فردهم الصليحي ، وحاصر الشريف الذي اعتصم هو ومن معه بالقرية سبعين ليلة ، ولكنهم دافعوا عنها دفاع الابطال ، حتى قتل كثير منهم ومات كثيرون لنفاذ المؤنة ، فاضطر الشريف الى ان يسلم نفسه للصليحي ، فأكرمه وخلع عليه ، ولم

---

(٣٤) انباء / دار ٣٩

(٣٥) ادريس (ع) ١٥/٧

(٣٦) المقريزي / اتعاظ ١٣ ، هـ / ح ٨٢ هامش (١)

(٣٧) اتحاف المهتدين ٥١ ، هـ / ح ٨٢ هامش (٢)

(٣٨) الكبسي / ورقة ١٦ ب ، هـ / ح ٨٢ هامش (٣)

تكن سياسة الصفح التي اتبعها الصليحي هذه المرة سياسة هوادة او تردد ، بل قصد منها تسكين الثارات ، لان في تسكينها لليمن ولليمنيين كل الخير ....

و ـ واقعة الزرائب :

وتمشيا مع سياسة المهادنة والملاطفة ، كان العليحي يلاطف نجاح صاحب الدولة الحبشية في زبيد تهامة ، التي حملت لواء السنة باليمن بعد زوال دولة بني زياد. ولكنه ادرك ان دولته الفتية لا يمكن ان تكون لها شخصية معنوية وكيان قوي ، الا اذا قضى على أكبر منافسيه وهو نجاح . وكان الصليحي يلاطفه حتى قوى مركزه ، ودانت له معظم بلاد اليمن ، ثم بدأت العلاقة تتوتر بين الطرفين بفضل مساعي الامام ابى الفتح صاحب صعدة ، التي افسدت بين الصليحي وصاحب زبيد .

فحلت الوحشة بعد الانس ، والجفاء بعد حسن الصلة ، وما لبث ان قامت الحرب بين الطرفين ، حيث التقى الجمعان بالزرائب من اعمال ابن طرف ، وأستمر القتال فانكسر الاحباش ولم يبق منهم الا الف (من عشرين الف) التجأوا الى جبل يعرف بالعكوتين [٣٩] سنة ٤٥٠هـ .

وبعد ذلك بقليل مات نجاح بالكدراء سنة ٤٥٢ هـ على يد جارية كان قد أهداها اليه الصليحي لتحقيق هذا الغرض [٤٠] ، ولكن هذا القتل لم يكن حدا فاصلا بين الطرفين ، بل كان بداية لعهد نزاع طويل بين الصليحين والنجاحين [٤١] .

ز ـ نتصاراته في اليمن الاسفل :

قصد الصليحي اليمن الاسفل بجيوشه ، فاستولى على جبل

---

(٣٩) ادريس (ع) ١٤/٧ ، هـ / ح ٨٤ هامش (١)

(٤٠) عمارة : كاى ١٦ ، هـ / ح ٨٤ هامش (٢)

(٤١) ابن الديبع (ق) ورقة ٢ ، انباه / دار ٤٠ ، هـ / ح ٨٤ هامش (٣)

صبر قهرا ، وبلاد بني الكرندي ملوك المعافر ، وحصن الدملوة ، كما استولى على بلاد الحسين التبعي ، صاحب حصن حب ، وبعدان والسحول والشواف [42] . ودخل الجند : « وهي يومئذ مدينة اليمن الاولى ، ولم يكن في اليمن أشهر منها ومن مدينة صنعاء في الجاهلية وابتداء الاسلام ، الى أوان الصليحي [43] ، ثم سار الى عدن [44] واستولى على بلاد بني معن الذين كانوا يملكون عدن . ثم هادن بني معن ، وسلم اليهم بلادهم ، لما بذلوه له من السلم .

ح ـ فتح تهامة :

بعد ذلك شمر الصليحي عن ساعد الجد في فتح تهامة ، وسار الى زبيد ففتحها ، ثم احتل التهائم كلها ، وطرد منها اولاد نجاح ، الذين استقروا في جزيرة دهلك بعد هزيمتهم : « وسار الناس بالعفو والصفح ، ورفع السيف وبسط العدل ، ولاذت العرب به ، الذين كان العبيد استطالوا عليهم أيام نجاح .

ه ـ تحقيق الوحدة اليمنية :

لم تكد سنة ٤٥٥ هـ تنتهي حتى كان الصليحي قد ملك قطر اليمن جميعه : قلاعها وحصونها ومدنها وسهولها وجبالها ، وامتد نفوذه من مكة الى حضرموت . وتمنعت عليه صعدة بعض التمنع باولاد الناصر ، ولكنه ما لبث ان قتل القائم منهم وملكها [45] .

وارسل الصليحي الى السلطان معن خطابا بعد فتح تهامة جاء فيه : « الدولة حصينة ، والصولة مكينة ، والرايات منشورة ، والاخبار منصورة ، وسيوف الحق على الاعداء مشهورة ، والحضرة بالسعود محروسة ... الخ . « وهذا يدل على اطمئنانه باستقرار أمور الدولة وتوحيد كلمة اليمن . وجعل الصليحي صنعاء عاصمة ملكه ،

---

(٤٢) المقتطف ٦٦

(٤٣) ادريس (ع) ١٥/٧

(٤٤) نفسه ١٤/٧

(٤٥) انباء / دار ٤٠

وبنى فيها عدة قصور ، واسكن معه جميع ملوك اليمن تحت علم واحد، ورأت اليمن بعد عدة قرون طويلة وحدة البلاد في ظل حكم عادل قوي •

٦ ـ تولية الحكام :

ولى على تهامة الامير أسعد بن شهاب [٤٦] ؛ صنو السيدة الحرة اسماء بنت شهاب زوجته فدخل أسعد زبيد سنة ٤٥٦ وسكن دار شحار [٤٧] ، واحسن السيرة في الرعية • واذن لاهل السنة في اظهار مذهبهم [٤٨] ، وعامل ارباب الدولة النجاحية بالحسنى • وولى ابنه الامير أحمد بن علي الصليحي على الجند وما يليها ، واستعمل أخاه السلطان عبدالله بن محمد الصليحي على حصن التعكر وما والاه ، فلما كانت سنة ٤٥٧ اختط السلطان عبدالله هذا مدينة ذى جبله بأمر أخيه الملك علي [٤٩] •

٧ ـ دخول الصليحي مكة وموقفه من الاشراف :

لما خرجت مكة عن طاعة المستنصر [٥٠] وقطعت الخطبة له من سنة ٤٥٣ ، أرسل الصليحي الى واليها الشريف شكر الحسيني [٥١] ، وحذره مغبة خروجه ، وتبودلت بين الطرفين مراسلات تنطوي على كثير من التهديد والوعيد [٥٢] •

ولما عيل صبر الصليحي ، وضاق صدره ، استأذن الامام ليسمح له في ازالة الشريف عن مكة ليكون له أمرها ، فاجابه الامام الى طلبه بعد ان نهاه عن سفك دماء المسلمين • وعلى ذلك توجه الصليحي الى مكة في السادس من شهر ذى الحجة سنة ٤٥٤ [٥٣] ، حيث انتزعها

---

(٤٦) هـ / ح ٨٧ هامش (٤) •

(٤٧) بناه شحار بن جعفر مولى ابن زياد (عمارة / كاى ١٩) •

(٤٨) ابن الديبع (ق) ورقة ٢٢ •

(٤٩) ادريس (ع) ١٢٢/٧ •

(٥٠) سرور ٩ ــ ٢٩ •

(٥١) **هـ / ح ٨٩ هامش (١)**

(٥٢) وتبادل الطرفان قصائد الشعر يتوعدان فيهما بالحرب (راجع ذلك في هـ/ح ٨٩) •

(٥٣) هـ / ح ٩٠ هامش (٢)

من بني ابى الطيب • ذلك ان شكرا لما توفى ، وخلفه ابـن جعفر (٥٤) ـ رئيس الهواشم وزوج ابنة شكر ـ (٥٥) ، اوقع بالسـليمانيين الهزيمة وأخرجهم من الحجاز ، واستقل بادارة مكة ، وأعاد الخطبـة للخليفة المستنصر ، ولكنه ما لبث ان انحرف فأمر بذكر الخطبـة باسم الخليفة العباسي • ولما انتهى الصليحي من اداء فريضة الحج ، اخرج من الاموال والصدقات للبيت واقامة حرمه ومناسكه ما يفـوق حـد التصور (٥٦) ، وعامل الناس بالحسنى واظهر العدل والاحسان وعمـل على استمالة الناس الى جانبه بما امتلك من الاموال ، فطابت قلوبهـم ورخصت الاسعار ، وأمنت الحاج أمنا لم يعرف من قبل حتى انهم كانوا يعتمرون ليلا ونهارا ، وأموالهم محفوظة ورجالهم محروسـة (٥٧) • واستمر الصليحي بمكة حتى يوم عاشوراء من سنة ٤٥٥ هـ يخطب للخليفة المستنصر بالحجاز • وفي اثناء اقامته بمكة ، راسله الاشـراف الحسينيون المغلوبون على أمرهم ، وطلبوا منه ان يختار من بينهم واليا عنهم وبذلوا له الطاعة ، فأقام على مكة واليها السابق محمد بن جعفر واعطاه مالا وسلاحا ، واصلح بين العساكر ، ودل بذلك على حسـن سياسته وتقديره لعواقب الامور •

وبعد عودة الصليحي الى صنعاء ، شكر له الخليفة المستنصر حسن صنيعه وامتثاله لاوامره بعدم اراقة الدماء فيها (٥٨) •

٨ ـ حالة اليمن بعد عودة الصليحي من الحجاز :

أ ـ في اثناء غيابه عن اليمن قامت الفتن والثورات في بعض انحاء

(٥٤) القلقشندي ٤/ ٢٧٠ •
(٥٥) ابو الطيب : شفاء الغرام (الباب ٣٧)
(٥٦) ادريس (ع) ١٩/٧ •
(٥٧) الفاسي : تحفة الكرام ١٨٨ •
(٥٨) السجلات رقم ٧

مملكته فثار عليه قوم من عنس وزبيد والتجأوا الى جبل مثوة [٥٩] ، فقصدهم الصليحي وحاربهم حتى دانوا له بالطاعة .

ب ـ ولاية العهد : فكر الصليحي في ولاية العهد لابنه الاكبر الامير محمد ، فكتب الى المستنصر بالله سنة ٤٥٦ بما استقر عليه الرأي، وقد وافق الخليفة على ذلك ، ولقب الامير باسم « الامير الاعز شمس المعالي » واذن له الامام ان يذكر هذا اللقب على منابر البلاد اليمنية . وكان وصول سجل المستنصر الى صنعاء في شهر رجب سنة ٤٥٦ ، وتصادف ان توفى فى شهر شعبان من نفس السنة الامير أسعد بن شهاب والي الصليحي على زبيد واعمالها ، فرأى الصليحى ان يولي ابنه الاعز ، على ماكان لخاله أسعد . ولقد وصل الامير الاعز الى زبيد في شهر شعبان سنة ٤٥٧ ، وفي شهر المحرم سنة ٤٥٨ زار الصليحي وزوجته اسماء ، ابنيهما الامير الاعز في زبيد ، وبعد زيارة قصيرة عادا الى صنعاء ، وبعدها بقليل ـ أي في نفس شهر المحرم سنة ٤٥٨ هـ ـ توفى الامير الاعز وعمره ٢٧ سنة [٦٠] ، فلما بلغ الصليحي خبر وفاة ابنه عاد الى زبيد حيث اقام العزاء فيها لمدة سبعة أيام . وبعد أيام من وفاة الاعز توفيت أخته ميمونة غما على أخيها الاعز . وقد ارسل الصليحي للامام يخبره بذلك ، فورد سجل الامام للصليحي في شهر ربيع الآخر سنة ٤٥٨ هـ وفيه عزاء الامام وتعيين الامير المكرم وليا للعهد بعد أخيه [٦١] .

جـ ـ ارسل الصليحي وفدا الى الامام المستنصر ، وكان يبغى السماح له بالحج ليطهر نفسه من دنس الدنيا ، ويقضي على الفساد الذي حل بالحرم المعظم ويقوم مناره ، ويقيم للعدل عماده ، ويعمر طرقه

---

(٥٩) حصن مثوه من مصانع رعين في مخلاف ذى رعين (الهمداني «ص» ١٠١ ، ١٢٥)

(٦٠) ادريس (ع) ٧٨/٧

(٦١) هـ / ح ٩٥ ـ ٩٦ ، ادريس (ع) ٨٠/٧ ـ ٨١

للسفر ، ويطهرها من المفسدين [٦٢] ، فوافق الامام على طلبه وارسل اليه سجلا [٦٣] بذلك مؤرخا في شهر ربيع الاول سنة ٤٥٩ هـ ، وفيه نصح لداعيه بان يعالج الامور ـ فى هذه الجهات ـ بتأليف القلوب وتجنب الحروب ، وان يؤثر الخير والعافية ما استطاع وان يجنب نفسه والناس الفتنة ما وجد الى ذلك سبيلا وقال : « وأنت خير من لحظته عين الامامة بالاصطناع ... » . كذلك طلب الصليحي من الامام ان يسمح له بالمثول بين يديه .فرد عليه بانه يشفق عليه لبعد الطريق ومشقته [٦٤] .

د ـ بعد ان استعد الملك علي الصليحي استعدادا حسنا ، اوصى ابنه المكرم : « بالعدل وحسن السيرة والسياسة ، وتقوى الله في الجهر والسريرة ، والعمل باعمال الشريعة واقامة دعائمها ، والائتمار باوامرها والانتهاء عن محارمها [٦٥] ، ثم قام الموكب الملكي من صنعاء يوم الاثنين السادس من ذى القعدة سنة ٤٥٩ هـ ولكن الاحباش انتهزوا هذه الفرصة وغدروا بالسلطان علي الصليحي وقتلوه بضيعة يقال لها « ام الدهيم » في يوم السبت الحادي عشر من ذى القعدة سنة ٤٥٩ [٦٦] . ورثاه الشعراء منهم عمرو بن يحيى الهيثمي [٦٧] ، الحسين بن علي القم [٦٨] .

عهد الملك المكرم احمد الصليحي :

٩ ـ يقول صاحب قلادة النحر [٦٩] : « كان المكرم ضخما شجاعا ، وفارسا مقداما » . وقد منحه الخليفة المستنصر بالله لقب المكرم في سنة

---

(٦٢) نفسه .
(٦٣) نفسه ٧/٨٢ ـ ٨٦
(٦٤) هـ / ح ٩٧
(٦٥) ادريس (ع) ٧/٨٨
(٦٦) هـ/ح ٩٩ ـ ١٠١
(٦٧) هـ / ح ١٠٣ ، ادريس (ع) ٧/٩٢
(٦٨) هـ / ح ١٠٣، ١٠٤
(٦٩) ٢/٢ ورقة ٦٢٧

٤٥٦ هـ (٧٠)، واصبح وليا لعهد أبيه بعد وفاة أخيه الاكبر محمد الاعز في هذه السنة • وانابه والده عنه في الحكم عند ما قام بالحج سنة ٤٥٩ هـ (٧١) • ولما قتل والده وأسرت والدته، وقع المكرم في حيرة، وكاد يقضي على صرح الدولة الصليحة قضاء مبرما بسبب خروج المنافقين على عهودهم، وتآمر القبائل على الصليحيين • لذلك قرر المكرم قتال هؤلاء الذين خرجوا عن حظيرة دولته، مع علمه بان هذا الخروج كان من معظم الامراء والرؤساء والقبائل، ولكن صدق عزيمته ذلل هذه المصاعب • ولما استعرت الارض حول المكرم نارا، كان لابد له من معالجة هذه الحالة التي لم تر الدولة الصليحية مثلها، فاستند مما نسميه شجاعة اليأس قدرا، واخذ يشجع من ظل من أصحابه على الولاء، وملاقاة الصعاب، وقد صور صاحب العيون هذا الموقف بقوله : (٧٢) « وكان المكرم يثبت اصحابه على الدين ويذكرهم بما وعد الله به عباده الصابرين، وبماابتلى به مواليه الطاهرين، ويتلو ما أنزل الله في كتابه المبين : ألم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا، وهم لايفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا، وليعلمن الكاذبين » •

وأستطاع المكرم وأصحابه ان يرفعوا عن صنعاء الحصار وتتبعوا الاعداء، فانتصروا في ناحية حضور انتصارا تنفسوا بعده نسيم الامل، « وحارب الاعداء في كل مكان، والله يعطيه النصر ويبسط يده عليهم » (٧٣) •

١٠ ـ حروب المكرم :

أ ـ انتصر قائده اساعيل بن أبى يعفر الصليحي بجهة كحلان وهران، وجاءت كتب هذا القائد الى المكرم تخبره بان اهل هذه

---

(٧٠) ادريس (ع) ٧٩/٧

(٧١) ادريس (ع) ٧٩/٧ •

(٧٢) نفسه ٩٣/٧

(٧٢) القمى : رسائل ٤٩

النواحي قد دانوا له بالطاعة بعد حرب سجال • فسر المكرم كثيرا لسماع هــذه الاخبــار •

ب ــ قام قائده عامر بن سليمان الزواحي بالذهاب الى بلاد حمير والى مغرب اليمن لاصلاح الفساد ، وقد جاء اليه أهل هذه البــلاد طائعين ، بعد ان قاتل المتقضين قتالا شديدا حتى وصلت كتبهم الــى المكرم في يوم السبت العاشر من شهر ذى الحجة سنة ٤٥٦ هـ ، مستجيرة به مما لحقهم من عنف القائد الزواحي •

جـ ــ قام الامير الداعي حمزة بن ابى هاشم بن عبدالرحمن بــن يحيى الحسني [٧٤] سنة ٤٥٩ ومعه فريق من الناس الذين بايعوه علــى القيام بدعوته • واتجه بمن معه من اتباعه الى صنعاء في خمسمائة فارس وخمسة عشر الف راجل من همدان وغيرهم الى ان بلغ الملــوى [٧٥] • فأرسل المكرم جيشا لملاقاة الداعي فتقابل معه بالملوى يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذى الحجة سنة ٤٥٩ هـ ، ووقع القتال بين الطرفين ، حيث دارت الدوائر على الشريف واتباعه ، الذين ولوا هاربين تاركين الشريف وابنه ، فقتلا مع زعماء القبائل من أهل عسكرهما ، ويقول ادريس [٧٦] : « فما انجلت الموقعة الا عن ثمانمائة قتيل من اصحاب الشريف » •

د ــ قمع الفتن في حراز وبلاد بكيل :

أرسل المكرم كبار قواده (أحمد بن المظفر الصليحي ، واسماعيل بن ابى يعفر الصليحي ، وعامر بن سليمان الزواحي) الى حراز ، وكان كبار اهلها لا يزالون يدينون بالطاعة الى سلطان الصليحيين ، علــى حين كان الدهماء منهم يحاصرون حصن مسار ، حيث كان به مالــك بن شهاب الصليحي • وفي طريقهم الى هذا الحصن وافاهم من قبائل مجيح

---

(٧٤) انباء / دار ٤٠ ، هـ/ح ١٧ هامش ٢

(٧٥) هـ / ح ١١٧ هامش ٤

(٧٦) ادريس (ع) ٩٥/٧

وكرار (٧٧) ، وقدموا فروض الطاعة • وتقدم القواد الى حصن مسار فاستولى عليه • ولم يتركوا حراز الا بعد ان اخذوا العهود على من حولها من القبائل • ثم نهضوا لمحاربة بكيل « وكانت شوكتهم على المنابذة قوية ، وصولتهم على المحاربةشديدة ، وشدتهم على الجلاد عتيدة وآمالهم فى الضلال بعيدة » (٧٨) • وقد بلغ جيش المكرم بكيل في اول المحرم سنة ٤٦٠ هـ ، وأمر القواد جنودهم بالكف عن القتال في ذلك اليوم • واخذوا يراسلون بكيلا ويلاطفونهم ، فابوا الا عتوا واستكبارا • فلما حان وقت الظهيرة هبطت بكيل للقتال ، ونشبت المعركة ، وحمى وطيس القتال ، وكانت الدائرة على بكيل ، فقتل منهم ٣٢٠ رجلا (٧٩) ، وبعد استقرار الامور عاد القواد الى صنعاء •

هـ ـ واقعة ذى اشرف :

انتهز بنو نجاح فرصة انشغال جيش المكرم في اخضاع بكيل ، وأغار بلال وابو الفتوح ابناء نجاح بعساكر عديدة من العبيد وأهل تهامة ، على أسعد بن عبدالله الصليحي ، في حصن التعكر ، ووقع بين الطرفين ، قتال شديد ، دارت الدائرة فيه على العبيد بذى اشرف من قرى المخلاف (٨٠) ، فولوا منهزمين ، وغنم اصحاب الصليحي أموالا كثيرة ، ونجا بلال وابو الفتوح بعد ان نظرا القتل عيانا (٨١) •

و ـ حروبه مع العبيد :

بعد ان أستقرت الامور في الدولة ، قرر المكرم تصفية حسابه مع الدولة النجاحية وقد سبق ان ذكرنا ذلك في عهد الدولة النجاحية ،

---

(٧٧) من اسباع حراز (الهمداني «س») ١٠٥

(٧٨) القمى : رسائل ٥٢

(٧٩) ادريس (ع) ٩٦/٧ ـ ٩٨

(٨٠) القمى : رسائل ٥٢

(٨١) ادريس (ع) ٩٧/٧

وانه تمكن من هزيمتهم وان سعيدا الاحول تمكن من الهرب الى جزيرة دهلك . وخلص المكرم أمه اسماء من الاسر . ولما دخل زبيد لم يجعل لاحد سبيلا الى حريم بني نجاح واطلق من وقع فى ايدى العسكر من اولاد العبيد . وقد يكون راعى في ذلك ما سار من سيرة سليمة اثناء اعتقال الملكة اسماء وحرائر آل الصليحي . وقال عمارة : (٨٢) «ونادى منادي المكرم يومئذ يرفع السيف بعد الفتح ، وقال للجيش : اعلموا ان عرب هذه البادية يستولدون الجوارى السود . فالجلدة السوداء تعم العبد والحر » وقبل ان يغادر المكرم زبيد نقل الرأسين (٨٣) من مكانيهما وبنى عليهما مشهدا وفي ذلك قال عمارة : « وانا ادركت مشهد الرأسين » كما اقام اياما مهد فيها قواعد البلاد . واقام رسم الدعوة الهادية مع العادة الجارية (٨٤) . ثم قفل المكرم راجعا الى صنعاء يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الاول سنة ٤٦٠ هـ ، فوصلها ليلة السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٤٦٠ هـ ، حيث وجد واليه عليهما اسماعيل بن ابى يعفر الصليحي قد اشتد عليه المرض، ولم يمهله هذا المرض الا عشرة ايام ، ثم وافاه الاجل فعين مكانه ابنه عبدالله بن اسماعيل واطلق يده في كل ماكان يضطلع به ابوه .

ز ـ قمع الفتن الداخلية :

بعد ذلك أخذ المكرم يعالج الامور التي تعقدت في اثناء غيابه ويصلح ما افسده الطامعون ، وكان أول هذه الامور الفتنة التي قام

---

(٨٢) عمارة / كاى ٢٦ .

(٨٣) راس الصليحي واخيه عبدالله نقلهما من امام دار شحار بزبيد الى مكانهما في صنعاء .

(٨٤) القمي: رسائل ٢٦ .

بها القاسم بن جعفر العياني (٨٥) ، لانه نقض عهده واستمال ذيبان (٨٦) وبني جبير (٨٧) وبني الدعام (٨٨) ، وحرضهم على خلاف المكــرم ، ووعدهم بظهور عمه الحسين بن القاسم . وكانت همدان قد قتلته قبل ذلك الوقت بستين سنة (٨٩) ، فمال اليه فريق من الناس ، توجه المكرم بجيشه جهة ذيبان ومازال بها حتى دان اهلها له بالطـاعة وتعهدوا بالا يأووا الشريف القاسم ولا يوالونه (٩٠) .

ح ــ قام الملك المكرم لصلاح المغرب فانتهى الى اللومى (٩١) . ثم نهض منها فنزل بقرية مدع (٩٢) ، ولما صار بالجبل وهو مقـابـل لجبل حلان (٩٣) المطل على كافة بلاد المغرب وجدهم معتصين فيه لازمين لصياحيه (٩٤) . فاقتحم جبل حلان بمن معه ، مما اضطر اهله الـى الفرار ، وتوافد عليه أهل المغرب مذعنين .. فعفا عنهم واحســن اليهـــم (٩٥) .

ط ــ وصلت الاخبار الى المكرم بان سعيدا الاحول قد نــزل بالمخلاف وأنى حلفا من اعدائه قد تكون للقضاء عليه وعلـى دواتـه ، فنهض المكرم مسرعا الى صنعاء ومنها الى المخلاف ، حيث انتهى الـى وادي يينون (٩٧) ، فأخضع بني صعب من عنـس وبنـي الحـارث

---

(٨٥) هـ / ح ٨٢ ، ٨٣ ، ١٢٠ هامش ٤
(٨٦) عمارة / كاى ٢٦
(٨٧) الهمداني (ص) ١١
(٨٨) ادريس (ع) ١٠٤/٧
(٨٩) الهمداني (ص) ١٢ .
(٩٠) ادريس (ع) ١٠٤/٧
(٩١) نفســه ١٠٥/٧
(٩٢) يقع في جبل عيال يزيد مـن مديرية عمـران
(٩٣) ادريس (ع) ١٠٦/٧
(٩٤) القمى / رسائل ٦٠ .
(٩٥) نفســه ٦٠
(٩٦) ادريس (ع) ١٠٧/٧ .
(٩٧) نفســه ١٠٨/٧ ، واد ف بلاد المشرق

ومذحج في طريقه حتى وصل الى جبل الشعر حيث اقتحمه بشدة فأجفل اهل الجبل مولين تاركين كثيرا من الغنم والمتاع وفر التبعى والسخطى واعتصما بحصن القرانح [٩٨] ، فأمر المكرم بحصار الحصن وقتالهما ، ولما جن الليل خرج السخطى يريد النجاة ولكن قبض عليه وسلم للمكرم ، فأكرم مثواه واحسن اليه وكذلك فعل التبعى فأعطاه المكرم الامان • ولكن التبعى ما لبث ان هرب ولحق بسعيد الاحول ، وفي اليوم التاسع والعشرين من رجب عام ٤٦١ هـ ، توجه المكرم الى صنعاء ، فدخلها فى السابع من شعبان ، وهو يكثر من حمد الله والثناء على الامام المستنصر والذي ببركته تم له ما قام به من فتوح [٩٩] •

ى ـ فتح تهامة : كان المكرم يرى ان عدوه التقليدى لايزال قائما ، وان والده شهيد ام الدهيم [١٠٠] ، وان ثأره بل ثأر العرب جميعا لا يمكن ان تنام عنه أعين العرب • فالدم في عرفهم لا يعوض عنه الا الدم ، ولا جزاء لمهرقه غير القتل ، لذلك لم يكد المكرم يستقر شهرا واحدا في قاعدة ملكه ، حتى قام يستنهض العرب من جديد للاخذ بالثأر من العبيد • ولما صحت عزائمهم على القتال ، قام الملك المكرم من صنعاء في يوم الخميس غرة شهر رمضان سنة ٤٦١ هـ قاصدا سعيد الاحول في زبيد ، واتجه بجيشه نحو جبل الشعر حيث كان سعيد الاحول وجيشه • فهجموا عليهم وهزموهم شر هزيمة ، وقتل سعيد الاحول عند قرية ماية • وفي يوم السبت غرة شوال صلى المكرم بالناس سنة عيد الفطر ، وخطبهم خطبة افاض فيها بالدعاء لابيه على ماقيضه الله له من الاخذ بالثأر [١٠١] • ترك المكرم زبيد بعد ان ولى

---

(٩٨) حصن مطل على مدينة الطويلة شمالي غرب صنعاء (هـ / ح ١٢٩) •

(٩٩) ادريس (ع) ١٠٩/٧

(١٠٠) موضع بمقربة من المهجم (هـ / ح ١٣٠)

(١٠١) ادريس (ع) ١١٣/٧

عليها السلطان ابا حمير سبا بن احمد المظفر الصليحي ، وكـــان يبغى متابعة جياش بن نجاح ، ولكنه علم بان جياشا هرب الى الهند ، فاتجه المكرم الى الساعد ومنها الى صنعاء حيث اقام بها يصرف امور دولتـه الى ان توفيت أمه اسماء بنت شهاب سنة ٤٦٧ هـ على ماذكره ادريس عماد الدين [١٠٢] .

١١ ــ نقل المكرم عاصمة ملكه الى ذى جبلة [١٠٣] ، بعــد ان اشارت عليه زوجته الملكة الحرة اروى بنت احمد ، وترك صنعاء بعـد ان ولى عليها عمران بن الفضل اليامى وابا السعود بـن اسـعد بن شهاب [١٠٤] ، واستقر بدار العز التي بناها بذى جبلة [١٠٥] واقام بهـا مدة الى ان اشتد عليها مرض الفالج فأشار عليه الاطباء بالاحتجاب عن الناس ، فترك ذى جبلة وطلع حصن التعكر ، بعد ان فوض لزوجتـه شؤون ادارة دولته ، وبقى بحصن التعكر حتى وافته المنية في شــهر جمادى الاولى سنة ٤٧٧ [١٠٦] .

١٢ ــ وقد بلغت الدولة الصليحية فى عهد الملك المكـــرم اقصى اتساعها ، ولم تكسب ارضا ولا نفوذا اكثر مما كسبته في عهده ، فقام المكرم بأمر الدولة والدعوة في جزيرة اليمن ، وفي الجهات المضافــة اليهـا [١٠٧] ، ولعل الظروف التي حاقت بالدولة في عهده بعد مقتـل أبيه ، وقدرته على تذليلها ، بما احرزه في وقت قصير من انتصارات ، هي التي جعلت المؤرخين يصفونه بانه كان ملكا شجاعا شهما همامـــا

---

(١٠٢) نفســه ١٢١/٧

(١٠٣) هـ/ح ١٣٦ هامش (١)

(١٠٤) الخزرجي : كفاية ٥٢ يقول : انه ولى اسعد بن شهاب وهذا يخالف الحقيقــة لان اسعد توفى سنة ٤٥٦ هـ (عيون ٧٧/٧) والذي تولى هو ابو السعود بن اسعد .

(١٠٥) الخزرجي : كفاية ٥٢

(١٠٦) هـ / ح ١٤١ هامش (١)

(١٠٧) ادريس (ع) ١٢٣/٧

وفارسا مقداما [١٠٨] • وابدى امامه الخليفة المستنصر بالله الفاطمي مسرته على انتصارات المكرم ، فلقبه بـ « ذى السيفين » [١٠٩] ، « داعى السيف » [١١٠] •. وكان المكرم فوق ذلك كما قال عمارة ، فصيحا خطيبا مشهوراً بالثبات والاقدام ولم يكن في زمانه من يتعاطى حمل رمحه وسيفه وقوسه وشدة قوته وعظيم خلقته •

عهد السيدة الحرة الملكة أروى بنت أحمد الصليحية :

١ ـ نشأتها وزواجها :

كان اهل اليمن يخاطبونها بلقب « سيدتنا الحرة الملكة » ، حبا فيها واجلالا لها وهي اروى بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي [١١١] ، ولدت سنة ٤٤٠ هـ ، ويروى ان اباها احمد بن محمد، بعثه الملك علي الصليحي ، بعد استيلائه على حصن مسار مع الوفد اليمني ، الى المستنصر بالله الفاطمى بالقاهرة ، لكي يستأذنه فى اظهار الدعوة ، وانه مات في عدن ، وان اروى في هذا الوقت كانت في طفولتها • وامها الرداح بنت الفارع بن موسى الصليحى • قد تزوجت ـ بعد موت زوجها ـ من عامر بن سليمان بن عبدالله الزواحى، فرزقت منه سليمان بن عامر ، اخو الحرة لامها [١١٢] • وقد قامت بتربينها وتهذيبها وتأديبها الملكة اسماء بنت شهاب ، فنشأتها نشأة طيبة وفاضلة ، وذلك لاهتمام الملك علي الصليحي بها ، فكان دائما يقول لزوجته اسماء : « اكرميها ، فهي والله كافلة ذرارينا ، وحافظة هذا الامر على من بقى منا » •

---

(١٠٨) السجلات رقم ٤٠

(١٠٩) نفسه رقم ٣

(١١٠) ادريس (ع) ١٥٢/٧ ، نزهة ٨٣/١

(١١١) هـ / ح ١٤٢ هامش ١)

(١١٢) عمارة / كاى ٢٨

وقد كانت الملكة اروى على جانب كبير من الاخلاق الفاضلة ، الى جانب ما تمتعت به من جمال الخلقة ، فكانت بيضاء اللون مشربة بحمرة، مديدة القامة ، معتدلة البدن ، تميل الى السمنة ، كاملة المحاسن ، جهورية الصوت ، قارئة كاتبة تحفظ الاخبار والاشعار والتواريخ وأيام العرب (113) • ولها تعليقات وهوامش على الكتب ، تدل على غزارة مادتها • وكان يقال لها « بلقيس الصغرى » لرجاحة عقلها وحسن تدبيرها (114) • وكانت الملكة الحرة ، كما قال ادريس : « متبحرة في علم التنزيل والتأويل ، والحديث عن الائمة ، والرسل عليهم السلام • وكان الدعاة يتعلمون منها ، من وراء الستر ، ويأخذون عنها ويرجعون اليها • (115)

وامتازت ملكتنا بالصلاح والتقوى ، والخبرة الواسعة ، والمعرفة الفائقة باحوال الناس مما ساعدها على ادارة شؤون بلادها ، في ظروف سيئة احاطت بالبلاد ، قال ادريس (116) : « وكانت امرأة فاضلة ، ذات نسك وورع وفضل وكمال ، وعقل وعبادة وعلم ، تفوق الرجال فضلا عن ربات الجمال ، وتستحق مدح الشاعر حيث قال :

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

وقال ايضا (117) : « وقد استحقت التقديم والفضل على الفضلاء من الرجال » •

ومما مدحت به الملكة اروى قول الخطاب بن الحسن الحجوري (118) ، وكان لايمدح احدا الا الحرة الملكة ، وذلك من خالص ولائه وعظيم اجلاله :

---

(113) نفسه ٥٩

(114) الخزرجي : كفاية ٥١

(115) ادريس (ع) ٢٠٨/٧

(116) نفسه ١٢٢/٧

(117) نفسه ١٣١/٧

(118) نفسه ٢٢١/٧ – ١٢٢ ، هـ / ح ١٤٥

همم النفوس على النفوس مدارها وبها تبين كبارها وصغارها
انتم بنو الاصلوح جوهر يعرب وسواكم اصدافها وبحارها
ولانت يا ابنة احمد تنميك من تلك اللآلىء الفائقات كبارها
أنقذت من يم الضلالة اهلها كانوا بها طام بهم تيارها

كما مدحها الشاعر الحسين بن علي بن محمد القمى ، (١١٩) فقال :

اعلى الانام ابا واكرم طيبة واتم اعراقا واصلب عودا
لو كان يعبد للجلالة في الورى بشر لكانت ذلك المعبودا
او كان فى اثوابها بلقيس ما هابت سليمان ولا داودا
هي نعمة الله التي ما ماؤها ثمدا ولا معروفها مجحودا
هي رحمة الله التي مازال من فوق البرية ظلها ممدودا

وكان من الطبيعي ــ بعد ما علمنا كل هذا عن اروى ــ وبعد ما وقفنا على مقدار اهتمام السلطان علي الصليحي بها واهتمام زوجته ايضا ، ان تختار زوجة لابنهما الامير احمد المكرم • فاقترنت به بعد ان تولى منصب ولاية العهد ، سنة ٤٥٨ هـ • وكان لها من العمر ثمان عشرة سنة (١٢٠) •

وفي هذا الزواج قال الشاعر الحسين بن علي القمى ، قصيدة مدح فيها المكرم جاء فيها :

وكريمة الحسين يكنف قصرها أسد تخاف الاسد من صولاتها
وتكاد من فرط الحياة تغض عن تمثالها المرئى في مرآتها
ظفرت يداك بها فبخ انما لك تدخر العلياء مضنوناتها

(١١٩) ديوان أبى عبدالله حسين بن علي القمى ورقة ٥ ــ ٦ ، هـ / ح ١٤٦
(١٢٠) ادريس (ع) ٢٢١/٧ ، هـ / ح ١٤٧

وكان الملك علي الصليحي قد اصدقها عدن حين زوجها من ابنه المكرم ، ولم يزل ارتفاع عدن من حين زواجها يرفع اليها ، وهو مائة الف دينار يزيد وينقص [١٢١] .

فانجبت عليا ومحمدا وفاطمة وام همدان ، فاما علي ومحمد فسنتكلم عنهما فيما بعد ، أما ام همدان فقد تزوجت ابن خالها احمد ابن سليمان بن عبدالله الزواحي ، فرزقت منه بعبد المستعلى ، ثم توفيت سنه ٥١٦ هـ ، واما فاطمة فتزوجت من شمس المعالي علي بن السلطان سبا بن احمد الصليحي ، وتوفيت سنة ٥٣٤ هـ [١٢٢] .

٢ ـ نشاطها السياسي :

بدأت الملكة أروى نشاطها السياسي في عهد زوجها الملك المكرم ، وفي ذلك قال عمارة [١٢٣] : « لما توفيت اسماء بنت شهاب ، والدة المكرم ، فوض الامر لزوجته الملكة السيدة الحرة ، فاستبدت بالامر ؛ واستعفته في نفسها ، وقالت : ان المرأة التي تراد للفراش لاتصلح لتدبير أمر . فدعنى وما انا بصدده . » وكانت تستشير في هذه المدة القاضي عمران بن الفضل اليامى ، وابا السعود بن أسعد بن شهاب . ولما توفى زوجها سنة ٤٧٧ هـ ، لاقت الملكة الحرة وحدها عبء هذه المسؤولية الجسيمة ، واصبحت بتفويض من الخليفة المستنصر تتصرف في امور الدولة والدعوة [١٢٤] في اليمن والهند وعمان والاحساء . فلاقت بسبب هذه المسؤولية مصاعب كثيرة كادت تزعزع اركان الدولة الصليحية ولولا ما جبلت عليه الملكة من حسن التدبير وحسن اختيارها للرجال ، لعصفت بها تيارات الفتن والخلافات الداخلية .

---

(١٢١) عمارة / كاى ٤٩
(١٢٢) نفسه ٢٩
(١٢٣) نفسه ٢٩
(١٢٤) نفسه ٣١

وأول المشاكل التي قابلتها ، هي ان الملك المكرم ، قبل وفاته أسند الوصية في الدعوة الى الامير ابى حمير سبا بن أحمد المظفر بن علي الصليحي . وهذا ما حكاه عمارة [١٢٥] ، واتبعه الآخرون . وانفرد ادريس [١٢٦] ، نقلا عن السجلات [١٢٧] ، برأى آخر وهو الاصح « بان المكرم عندما توفى ، كتمت الحرة الامر ، الى ان جاءها سجل الامام المستنصر باقامة ولدها المكرم الاصغر عبدالمستنصر علي بن المكرم أحمد ، كما أمر المستنصر بان ترسل كل المراسلات الى علي بن المكرم . وكلفه بالقيام بمرافق الدعوة وامور الدولة [١٢٨] . وقد ذكر هذا الكلام في السجل المستنصري الصادر في شهر ربيع الاول سنة ٤٧٨ [١٢٩] . ولم يقف حسن سعى المستنصر عند هذا الحد ، بل امد الملك علي بن المكرم بالتأييد واوصاه بان يهتدى بهدى أمير المؤمنين « حتى تتآلف تلك الضمائر وتوافقك القلوب والسرائر ، وتستوثق الامور لك للبادى والحاضر » [١٣٠] .

وهكذا دلت سياسة المستنصر على بعد نظره ، فقد رفض تولية السلطان أبى حمير سبا بالرغم من وصية المكرم له . وولى علي بن المكرم ، لانه يعلم ان الملكة اروى ، من القوة والكفاية ، بحيث يسكن الاعتماد عليها فى تنفيذ السياسة التي ترضى الفاطميين [١٣١] . ولعله ادرك شيئا آخر ، وهو ان المحافظة على مبدأ الوراثة للابن الاكبر خير ضمان لعدم اثارة المنازعات . وخصوصا ان هذا المبدأ كان معمولا به في عهد الدولة الفاطمية الى أيام المستنصر . فقد تولى الطفل علي بن المكرم بدلا من

---

(١٢٥) نفسه ٣١ ، الخزرجي : كفاية ٥٢
(١٢٦) ادريس (ع) ١٢٦/٧ — ١٣٠
(١٢٧) السجلات رقم ١٤ ، ١٢٦
(١٢٨) السجلات رقم ١٤
(١٢٩) نفسه رقم ١٤ ، (ع) ١٢٩/٧
(١٣٠) ادريس (ع) ١٢٢/٧
(١٣١) عمارة / كاى ٣٥

السلطان سبا على الرغم من ان الاخير كانت تؤهله لهذا المنصب سنه وشخصيته الممتازة وغيرته على الدولة ، كما تؤهله ايضا مواقفه الحميدة في عهد الملك المكرم ، ووصية الملك المكرم له ، تعتبر أحسن شهادة بذلك . ونتيجة لمؤازرة الامام للملكة وابنها ، تخلى السلطان سبأ عن المطالبة بحقه . وتمكنت الملكة بحسن سياستها وتقديرها الصحيح لعواقب الامور ، من ان تقضي على هذه الفكرة ، فجعلت السلطان سبا نائبا عن ولدها ، وحاميا لذمار دولته من المعتدين ، فأبلى في ذلك بلاء حسنا [١٣٢] .

وثاني المشاكل هو النزاع بين السلطانين ـ سبا الصليحى وعامر الزواحي . ولما كان الصليحيون والزواحيون سداة الدولة الصليحية ولحمتها ، اهتمت الملكة كثيرا بأمر هذا النزاع ، ذلك لان المخالفين انتهزوا هذه الفرصة واخذوا يوقعون بين الطرفين ، لدك صرح الدولة الصليحية . لذلك عرضت الملكة الامر على الامام المستنصر ، الذي اسرع في رده وكلف الملكة بوجوب العناية لفض هذا النزاع ، حرصا على سلامة الدولة . وارسل المستنصر رسائله الى الطرفين [١٣٣] ، يحثهم فيها على تناسي الاحقاد ويأمرهم بوجوب طاعة الملكة وابنها ، والتعاهد في نصرة الدعوة ، وكان من أثر هذه المراسلات ان انتظمت الامور ، واذعن المؤمنون لاوامر الامام ، ودانوا بالطاعة للملكة ، وقد سر الامام بذلك ، فأرسل سجلا للملكة في شهر ربيع الاول سنة ٤٨٠ هـ [١٣٤] .

ولم يكد يخبو أوار هذه الفتنة ، حتى عاد السلطان سبا من جديد يطالب بحقه فى أمور الدعوة والدولة ، حسب وصية الملك المكرم ، وشجعه على ذلك وفاة الامير محمد بن احمد المكرم ابن الملكة الاصغر ،

---

(١٣٢) هـ / ح ١٥١ ـ ١٥٢
(١٣٣) نفسه ١٥٤ ـ ١٥٦
(١٣٤) السجلات رقم ٤٩

ثم وفاة الملك علي بن أحمد المكرم بعده بقليل • ولكن الملكة اروى لم تمكنه من ذلك بل قامت هي فكفلت كافة المؤمنين والدعاة الميامية والحدود المستجيبين ، خير كفالة ، واوضحت البرهان في ولاية الائمة • وأظهرت معالم الدعوة للتابعين وابانت وما هنت ، لما اصابها في سبيل الله » [١٣٥] • فاتخذ السلطان سبا سبيلا آخر لاقناعها بحقه بان طلب يدها للزواج ، ولكنها رفضت هذا الزواج ، واقتنع السلطان سبا بوجهة نظرها • وفوضت اليه الملكة أمور الدولة والدعوة وظل سبا في حصن أشيح [١٣٦] ، يقوم بتقديم المساعدة الى الملكة في كل ما يعود على الدولة بالخير حتى وافته المنية سنة ٤٩١ [١٣٧] •••

٢ ـ الملكة تدبر شؤون دولتها :

بعد وفاة السلطان سبا خرجت صنعاء واعمالها من حظيرة المملكة الصليحية • استولى عليها السلطان حاتم بن الغشيم المغلسي الهمداني ، وكان ناهضا كافيا [١٣٨] • ورضيت الملكة بالامر الواقع واتجهت الى تدعيم مابقى من هذه المملكة فاقامت المفضل بن ابى البركات بن الوليد الحميري على قيادة الجيش وادارة شؤون الدولة ، فأصبح رجل الدولة ومدبرها والمرجع الى رأيه وسيفه ، والملكة لا تقطع أمرا الا به • وللمفضل في نصرة الملكة مواقف حميدة وعديدة • وظل في خدمة الملكة حتى توفى فى شهر رمضان سنة ٥٠٤ [١٣٩] •

وقد ادت وفاة المفضل الى خروج بعض الجهات على الملكة اروى : فاستولى مسلم بن الزر على حصن خدد ، ثم أظهر ولاءه للملكة بان قدم

---

(١٣٥) ادريس (ع) ١٤١/٧
(١٣٦) من اعظم حصون الجبال في راس جبال اتس (انباء / دار ٤٣)
(١٣٧) نفسه ١٦٨/٧
(١٣٨) الخزرجى : كفاية ٥٩
(١٣٩) هـ / ع ١٦٧

ولديه عمران وسليمان كرهينة عندها ، فاهتمت الملكة بتربيتهما • ولما توفى مسلم ملك بعده ابنه سليمان حصن خدد • وبقى عندها عمران الذى تولى على حصن التعكر سنة ٥٠٥ هـ [١٤٠] •

وحرصا على سلامة الدولة أقامت الملكة مقام المفضل ابن عمه الامير أسعد بن أبي الفتوح للقيام بامور دولتها والذب عن مملكتها والتوجه اينما أمرته • وكان متوليا على حصن تعز وصبر ، اذ كان ابوه قبله واليا عليهما • فأخذ هذا يدير شؤون الدولة على أحسن حال حتى غدر به رجلان من اصحابه فقتلاه بين البابين فى حصن تعز سنة ٥١٤ هـ [١٤٠] •

ولما تعقدت الامور على الملكة ، أرسلت الى الحكومة المصرية تطلب منها اعارتها مستشارا ليساعدها في تدبير شؤون دولتها • فبادر الوزير الافضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي [١٤٢] في سنة ٥١٣ هـ بارسال الامير الموفق علي بن ابراهيم بن نجيب الدولة ، يصحبه عشرون فارسا [١٤٣] مختارة منتقاة الى بلاد اليمن ، ليقوم بهذه المساعدة ووصل ابن نجيب الدولة الى اليمن قبل وفاة الامير أسعد بن ابى الفتوح ؛ ففررت الملكة اقامته في مدينة ذى جبلة للاستشارة والمناورات الحربية • وقد تمكن ابن نجيب الدولة من وضع حد للخلافات الداخلية واعادة الامن والطمأنينة للبلاد • وكان اول عمل قام به هو تأديب الخولانيين، فطردهم من ذى جبلة ونواحيها واوقع بمن بقى منهم حتى لا يبق منهم الا من كان منتسبا الى الملكة •فلما رأت منه ذلك أمرته ان يسكن الجند ، فضاق الامر به على سلاطين اليمن ، وقد هدأت البلاد واستقرت الامور ورخصت الاسعار بحسن سياسته وتدبيره • واقام العدل وعف

---

(١٤٠) هـ / ح ١٦١ - ١٦٧

(١٤١) هـ / ح ١٦٧

(١٤٢) الخزرجي : كفاية ٥٦ ، انباء / دار ٤٦ ، بامخرمة : ثغر عدن ١٧

(١٤٣) هـ / ح ١٦٨ هامش ٢

عما في ايدى الناس من الاموال واقام الحدود وعز به جانب الملكــة وانقطع اهل اليمن عن الطمع في اطراف بلادها .

ولم يقف نفوذ ابن نجيب الدولة عند هذا الحد ، فقد بلـغ هذ الشأن البعيد من النجاح فى عامين اثنين بين سنتى ٥١٣ ــ ٥١٥ هـ ، وقد أطمعه هذا المركز الحربي الممتاز في محاربة الدولة النجاحية في زبيد سنة ٥١٨ ولكنه هزم شر هزيمة [١٤٤] . على ان ابن نجيب الدولة لـم ينجح من حسد منافسيه ، فأخذوا يوقعون بينه وبين الملكة حتى أخذت علاقته بها في الفتور منذ سنة ٥١٩ هـ . ولما رأى الخليفة الفاطمى الامر ان سياسة ابن نجيب الدولة التي رسمها له الفاطميون قد حادت عـن الخطة المرسومة ، أرسلت اليه تستدعيه الى مصر ، وبذلك انتهز سلاطين اليمن الفرصة فأوقعوا بينه وبين الخليفة ، فشوهوا ســمعته لديه . فأدى هذا الى القبض عليه ، ويقال ان اعداءه تآمروا على اغراقه ، وقد تم ذلك عند باب المندب وهو في طريقه الى مصر [١٤٥] .

وبعد رحيل ابن نجيب الدولة اختارت الملكة السلطان علي بـن عبدالله الصليحى ابن اخى السلطان علي بن محمد الصيحى ، للدفـاع عن دولتها ، ونعت بفخر الدولة [١٤٦] ولكننا لانعرف شيئا عما قام بـه من الاعمال ، لان مصادرنا لم تذكر شيئا عنه ، ولكن الدولة يظهر انها اخذت في الانهيار في هذا الوقت ...

٤ ــ الملكة ومحافظتها على التراث الادبي الفاطمي

ولما كانت اليمن ترتبط بخلفاء الفاطميين ــ فى هــذا العصر ــ برباط مذهبي وثيق ، ولما ظلت اليمن تتمسك بهذا الرباط الروحي ، بعد

---

(١٤٤) ادريس (ع) ٧/ ١٨٠
(١٤٥) هـ / ح ١٧٠
(١٤٦) نفســه ١٧٤ ــ ١٧٥

ان فقدت الدعوة الفاطمية نفوذها في كل من شمال افريقية ومصر وسوريا والعراق ، وفارس ، فكر القائمون على امور الدعوة في مصر ، في تحويل آداب الدعوة الى هذه البلاد ، لان القائمين على الامر فيها ، وهم الصليحيون • قد برهنوا في مناسبات متعددة على صدق اخلاصهم لهذا المذهب ••

ونظرا لان المؤيد للدين هبة الله الشيرازي ، كان من أكبر الشخصيات ، الذين حملوا لواء الدعوة ، لا في مصر فحسب ، بل في كثير من البلاد ، وبخاصة بلاد اليمن ، كما يقول ادريس (١٤٧) : « فهو بالنسبة للدعاة القائمين أب ، وكلهم اليه بعلمه منتسب لانه سلم للداعي لمك ما عنده • ونظرا لان المؤيد قد رأى عندما حضر الى مصر ، فى عهد خلافة المستنصر ، ان امور الدعوة والدولة ليست في يد الخليفة ، بل وجد الوزراء قد سلبوه السلطة ، لذلك رأى ان مصير الدعوة بهذا الوضع ، ينحدر الى الضعف بل قد يكون الزوال على يد هؤلاء الوزراء الذين أخذ نفوذهم يزداد لضعف نفوذ الخليفة • ولا ادل على ذلك من اقحام اسم بدر الجمالى في معظم المكاتبات الى بحار الدعوة، ومعظم رسائل الخليفة المستنصر بالله التي بعث بها بعد سنة ٤٦٧ هـ الى الصليحيين ، قد ذكروا فيها اسم بدر ، مشفوعا بالثناء والتقدير العظيم •

ونخلص من هذا الى الصورة ، التي ظهرت في مخيلة الداعى المؤيد ، وهي ان الدعوة على هذا الوضع، سوف يكون مصيرها الزوال، لذلك وجب تحويل آداب الدعوة الى اليمن • وقد بدأ هذا التحول بالفعل، على يد القاضي لمك بن مالك الحمادي اليمانى ، الذي عاصر الملك علي ابن محمد الصليحي ، وابنه الملك المكرم احمد ، والملكة اروى ؛ والذى أرسله الملك علي الصليحى الى الخليفة المستنصر بالله سنة ٤٥٤ هـ

(١٤٧) ١٨٨/٧

لغرض ظاهري وهو رغبة الملك علي في ان يسمح له الامام بالحج وزيارة القاهرة وطرد العباسيين من بغداد ، وغرض حقيقي فهمناه من الامر الواقع • وهذا الغرض الحقيفي هو الذي استدعى بقاء القاضي لمك بالقاهرة لمدة خمس سنوات تنفيذا لسياسة مرسومة رسمتها رياسة الدعوة المركزية والمحلية ودرج عليها الدعاة منذ القدم •

ثم عاد لمك سنة ٤٦٠ هـ الى اليمن بعد وفاة الملك علي الصليحي ، يحمل تقليد المكرم ملكا خلفا لابيه ، وفي ذلك يقول ادريس [(١٤٨)] : « ارسل عليه السلام الداعى الاجل لمك بن مالك الى اليمن ، فاقامه داعيا مع الملك المكرم ، وأمر المكرم بان يقوم بالسيف ، والقاضي لمك داعي القلم • وجعل الى المكرم امر الملك والسياسة ، والى الداعى لمك اقامة القضاء » •

ومن هذا يتضح لنا انه قد حدث تغيير جوهري في دستور الدعوة في اليمن ، فالملك علي الصليحي ، كان رئيسا للدولة والدعوة ، على حين كان ابنه الملك المكرم رئيسا للدولة ويشترك معه القاضي لمك فى ادارة شؤون الدعوة •••

وفي الشطر الاول من حكم الملكة اروى منحها الامام لقب (حجة) وقال ادريس [(١٤٩)] : « فرفعت بذلك عن حدود الدعاة الى مقامات الحجج ، وكفلت كافة المؤمنين والدعاة الميامين والحدود والمستجيبين ، خير كفالة ، واوضحت البرهان في ولاية الائمة عليهم السلام » •••

واستعانت في تثبيت قواعد الدعوة ، بقاضي القضاة لمك بن مالك ، الذي لقب في عهدها بلقب « داعى البلاغ » • واستمر القاضي لمك

(١٤٨) ١٠٣/٧
(١٤٩) ادريس (ع) ١٤١/٧

بوظائفه العديدة ، الى ان وافته المنية في السابع والعشرين من شهر جمادى الاخرى سنة عشر وخمسمائة ودفن بلهاب • فخلفه ابنه يحيى في نفس الوظيفة ، التي كان يعمل فيها ابوه مع الملكة اروى ، فاستمر ينصب الدعاة ويوضح معالم الدين ، ويحيى مراسمه ، ويبين شريعته ويفسر تأويله وحقيقته » •

وبفضل جهوده التي بذلها تحت رعاية الملكة ، تمكنت الدعوة الفاطمية المستعلية في بلاد اليمن وما انضاف اليها (عمان والهند) وزادت ثقة الامام بالصليحيين •

واستمر يعمل في وظيفة ابيه مع الملكة حتى توفى يوم ٢٨ جمادى الآخرة سنة ٥٢٠ هـ • ولما تبين للملكة ان مملكتها اخذت تتزعزع اركانها ، قررت بثاقب فكرها ان تفصل الدعوة عن الدولة ، فصلا تاما ، كما كان الحال في مصر ، حتى تباشر الدعوة نشاطها العلمي والديني مستقلة عن تأييد الدولة • ففصلت هيئة الدعوة كلية عن ادارة الحكومة ، فأصبح يقوم باعباء هذا النظام الثنائي رؤساء مختارون لادارة شؤون الدولة والدفاع عن المملكة وآخرون للدعوة •

٥ ـ مآثر الملكة اروى ووفاتها :

اهتمت الملكة برعي المواشي وتحسين النسل لكي توفر للشعب بمختلف طبقاته اللحوم والالبان ، بل توفر القوة والغنى • فقد أثر عنها أنها اوقفت اراضي نواحي جبلة وحقل قتاب تصرف غلاتها في شراء الفحول من البقر ، كما اوقفت اراضي ثمينة خصبة لرعى المواشي • وهذه الاوقاف لاتزال موجودة الى الآن باسم « صلبة السيدة » • حدث هذا في العصور الوسطى مما يدل على ان الملكة اروى سبقت في تفكيرها ووعيها دول العصر الحديث ، التي تعمل بشتى الوسائل على

تنمية اقتصادياتها وتصرف الاموال الطائلة في سبيل ذلك .

وشيء آخر لا يقل أهمية عما ذكرنا ، يدل على سبق ملكتنا في تفكيرها لعصرها ، وهو الاستعانة بالمستشارين من الدول الاخرى ، على الرغم من وجود شخصيات وزعماء وسلاطين ممتازين في بلادها ، فقد أثر عنها انها ارسلت الى الخليفة الآمر الفاطمي ، تطلب منه ارسال احد رجاله المشهورين المشهود لهم بالكفاية والمقدرة ، واجابة لذلك أرسل اليها ابن نجيب الدولة : وهذا ماتفعله الدول في العصر الحديث ، فتستعين بالخبراء الاجانب على الرغم من توافر رجالها الممتازين وتقدمها في مضمار الحضارة ...

وعرفت الملكة اروى كذلك ان التجارة ، تعتبر مرفقا هاما من مرافق الاقتصاد الوطنى ، وان هذا المرفق يعتمد على المواصلات ، التى تعتبر الدعامة الاولى لتسهيل نقل المتاجر . فعبدت الطرق من رأس جبل سمارة (نقيل صيبا في عهدها) الى السيانى ، على مسافة ثلاث مراحل . ويعتبر هذا اول الطرق الزراعية الممهدة في اليمن ومن افيدها الى الآن (١٥٠) .

واولت الملكة اروى عنايتها لحركة التعمير والبناء ، التي تعتبر دعامة قوية من دعائم استقرار الحكم ورضا الشعوب . فانشأت الكثير من المدارس ، ومنها مدرسة لتدريس الصحيحين بذى جبلة ..

وانشأت المصالح العامة المتعددة ، وبنت المساجد . فهي التي وسعت جامع صنعاء ــ الجناح الشرقي منه ــ وصححت عمارته وزينته ، وأمرت ان يكتب فيه اسماء جميع الائمة ، من علي بن ابى طالب الى امام عصرها . واثبتت ذلك في الحائط القبلي من المسجد الجامع . ولكن العصبية لم تترك من الكتابة غير البسملة واعيد بجص وأشراس فى عهد دولة الملك حاتم بن أحمد اليامى الهمدانى ، ثم كشط في عهد دولة بني يحيى من الاشراف ..

---

(١٥٠) حسن سليمان : الملكة اروى ٩٢ ــ ٩٤

وكذلك بنت مسجد الضربة في بلاد يريم ، والمسجد الجامع في ذى جبلة . ولها علاوة على ذلك أعمال جليلة وآثار باقية في بلاد اليمن لا تخفى على أحد الا على أكمه لا يعرف القمر ....

وكان من نتيجة سياستها الرشيدة ومنحها لرعاياها حرية العقيدة ، ان اصبحت سمعة اليمن عالية . وهذا نتيجة طبيعية ما دام الحاكم يعمل لمصلحة شعبه ، ويتيح الفرص فيه لجميع الكفايات ان تشترك في بناء هذا الوطن .

وقبل وفاة الملكة اروى بسنة واحدة ، اي سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ، كتبت عهدها ، وأجرت علامتها على الوصية وعاينتها شهود : « وانما فعلت السيدة ذلك قربانا تقربت به الى امامها ، لما ترجوه من ثواب الله ورضوانه ... »

وجعلت الملكة اروى ولي وصيتها والقائم بها والمنفذ لها السلطان أحمد بن ابى الحسين بن ابراهيم بن محمد الصليحي . وقد اورد صاحب العيون في كتابه الجزء السابع وصية الملكة هذه . وهي تعتبر من أهم الوثائق التاريخية التي عثر عليها في العصر الحديث [١٥١] .

وفى غرة شهر شعبان سنة ٥٣٢ توفيت الملكة اروى عن اثنين وتسعين سنة من العمر ودفنت بجامع ذى جبلة أيسر القبلة ، وفي منزل متصل بالجامع . وكانت هي التي تولت عمارة هذا الجامع ، وهيأت مكان قبرها فيه . وذكر ادريس [١٥٢] « ان بعض ملوك اليمن اراد ان يخرج جثتها من قبرها ، حين ظن بعض الفقهاء كونها في الجامع ، ففتحوا عن قبرها حتى انتهوا الى التابوت ، فوجدوا فيه قفصا مقفلا ففتحوه فاصابوا فيه كتبا واحكاما تشهد فيها انها استثنت فيه ذلك المنزل الذي

---

(١٥١) حسن سليمان : الملكى اروى ٩٥
(١٥٢) ٢٢٨/٧

دفنت فيه عن المسجد لقبرها فيه • ووجدوا بذلك علامات القضاة وشهادة الشهود الثابتة عند الحكام ، فردوا قبرها على ماكان عليه ، وردوا تربته وحجارته عليه » •

ويقول ادريس (١٥٣) : « وقبرها الى اليوم يزوره جميع فرق الاسلام ، ويعترف بفضلها الخاص والعام ، ويأتي الى قبرها من اصيب بظلم ، او حاجة ، او علة في بدنه ، يتشفعون بها الى الله تعالى لكشف ما انتابهم بفضلها » •

وقد رثى الملكة اروى بعد وفاتها كثير من الشعراء • وزار قبرها القاضي حسين بن عمران بن الفضل اليامى في ذى جبلة وقال قصيدة جاء فيها : (١٥٤)

خلا القصر في ذى جبلة من مكارم   يحن اليها يائس وفقير
ومن جود بحر بالعطايا نواله   على معتفيه عسجد وحرير
ومن درس ما ختم الكتاب وبعده   صلاة وتسبيح معا وظهور
ولو حال دون الموت عنها مبلط   منيع يرد الطرف وهو حسير
لكان لها فى حصن قيضان معقل   تقصر عنه في العلو طيور
ولكن ابى الا خفيا بشخصه   حقير وما يسطو عليه كبير

ورثاها القاضي محمد بن عمران بن الفضل اليامي بقصيدة جاء فيها : (١٥٥)

نأت ربة لقصر الشريف عن القصر   فأيأس راجى النصر فيه عن النصر
سخطت على أهل الزمان لفعلهم   حقيقيون أهل العصر يا ربة العصر

---

(١٥٣) نفسه
(١٥٤) هـ / ح ٢٠٨ ـ ٢٠٩
(١٥٥) هـ / ح ٢٠٩

فصاروا بلا نور يتيهون في العمى　　　وذلك تمثيل لما كان في مصر [156]
وقد ينقص التيار من بعد مـده　　　ويضطر حرف المد حينا الى القصر
فذاك كسوف الشمس قدطال مكثه　　　وهذا خسوف دائم المكث للبدر
ونرجو فروعا ثمر الله نبتهـا　　　وايدها بالنصر والفتح والقهـر
لهم وبهم رجاؤنـا وسـلونـا　　　لان رجاء اليسر في عقب العسـر
واورث أملاك الانـام وسيطهم　　　علي بن عبدالله عالى ذرى الفخر [157]
فصبرا على ريب الزمان وصرفه　　　فأوفر أهل الاجر حظا أولو الصبر

ومما قاله السلطان الخطاب بن الحسن بن ابى الحفاظ الحجورى في قصيدة يرثيها : [158]

عليك سـلام الله والصلـوات　　　ورحمته ما شـاء والبركـات
وكافأك عنا بالـذى عنـدنـا　　　اله لديـه تضعف الحسـنات
كفلت جميع المؤمنين كفـالـة　　　علت لهم في ظلهـا الدرجـات
وقمت بأمر الله فيهم فأخلصـت　　　سرائر في طاعاته ونيـات
أمولاتنا يا من بباهر نورهـا　　　تجلين عن ابصارنـا الظلمـات

---

(156) يشير الى انتصاب الحافظ عبدالمجيد الامامة والخلافة بمصر
(157) اغلب الظن ان عليا هذا هو ابن علم الملك المكرم وهو الذي ورث املاك بيت الصليحي بعد وفاة الملكة اروى . ويقال ان الاميرة اروى بنت علي بن عبدالله كانت مقيمة في قصر الملكة اروى حينما طلقها منصور بن الفضل الحميرى وتزوجها الملك محمد بن سبا الزريعي (هـ / ح ٢٠٩ هامش ٤)
(158) الخطاب (د) ٧١ ـ ٧٥ ، هـ / ح ٢١٠ ـ ٢١١

وهل غاب عنا او يغيب الذي اغتدت له رتب فى الديـــن منحفظـــات
اما نوره ســـار ، أما لحظاتـــه بنـــا وهو ناء الدار متصلات ؟
أليس لنا منه اليـــه محـرك ومنا وعنـــا تصدر الحـــركات ؟

ولا غرو فان ذكريات هذه الملكة ستبقى خالدة في قلوب اليمنيين مدى الدهور ، كما بقيت الى يومنا هذا مآثرها واعمالها الجليلة ، التى تنطق بفطنتها ، وستظل وحيا ونورا في حياة الشعب مهما اختلفت الطرق واشتدت الازمات وبعدت المسافات وتخلفت القوافل ، لانها وحيـــدة كل زمان ، وسيدة اليمن والعرب •••

٦ ـ اسباب ومظاهر سقوط الدولة الصليحية :

أ ـ اسباب سقوط الدولة الصليحية :

لقد اصبح للدولة الصليحية بفضل مؤسسها علي بن محمـــد الصليحي ، مركز ممتاز في العالم الاسلامي ، فقد تمكن الصليحى مـــن جمع اليمن كله تحت لواء دولته ، كما مد نفوذها الى البلاد المقدسة في الحجاز شمالا وحضرموت جنوبا • وفي عهد خلفه ابنه الملك المكـــرم صارت عمان والاحساء والبحرين والهند والسند تحت النفوذ الروحي للدولة الصليحية • وبلغ هذا النفوذ أبعد غاياته في عهد الملك المكـــرم ، وهذه الدولة التي حاولت ان تسعد رعيتها ما استطاعت الى ذلك سبيلا ، ما لبثت ان اخذت فى الضعف شأنها في ذلك شأن كل كائن حي •

واذا اردنا ان نعرف، اسباب هذا الضعف ، وجب ان نرجع ذلك الى اصول بعيدة ، لايمكن التغاضي عنها ، منها :

نظام الاقطاع :

ولقد استفادت هذه الدولة العظيمة من غير شك من الحالة التي

سبقتها • وكان اليمن ـ كما ذكرنا سابقا ـ تسود فيها الفوضى والانحلال قبل ظهور الملك علي الصليحي ، ويحكم عليها الامراء والسلاطين وبخاصة اقواهم بنو نجاح العبيد بتهامة اليمن • فباستيلائهم على حكم تهامة وما جاورها ، وجد روح التمرد والتذمر بين القبائل العربية ، التي عبرت عن عدم ارتياحها لهذه الحالة ، بالانضواء تحت راية ملك عربي ينتمي الى صميم قحطان ، وقبول بعض القبائل الدخول في الدولة الفاطمية ، مع كونها تخالف الى حد ما عقيدتهم ، بعد ان رأوا من علو همة الصليحى وانتصاراته وحسن سياسته وحرصه على مصالح الرعية • ولعل انتشار نفوذ الصليحي في البلاد ، يرجع الى رغبة تلك القبائل في التخلص من حكم العبيد ، بل من الحكم مطلقا •

ولكن هل ارتاحت العرب واطمأنت الى هذا الوضع ؟ وقد صير الصليحي شتات أمرهم ، الى وحدة يمنية جامعة ، وقضى على الدويلات واطماع سلاطينها ، وادخل نظاما من نوع آخر ، بدلا من الفوضى والانفرادية واستغلال النظام القبلي • بقدر ما ترتب على هذه الوحدة (وحدة اليمن) من منافع محققة للشعب ، وما بذله الصليحيون من جهد لاسعاد شعبهم طوال مدة حكمهم وما فعلته هذه السياسة من تثبيت مركز دولتهم ، فانعوامل الانحلال والتذمر اخذت في الظهور مرة اخرى ، بعد ان وجدت القبائل وزعماؤها انها فقدت ما كانت تتمتع به في ظل النظام القبلي المستقل ، الذي كان منتشرا في الجهات المختلفة ، وحل محله نظام الاقطاع في عهد الدولة الصليحية ، لتستعيض به عن الحكومة المركزية ، ابتغاء الحصول على قسط من الامن • اضف الى ذلك اهمال الدولة الصليحية والخلافة الفاطمية ، فى تحقيق التعاون الاقتصادي والتبادل التجاري بينهما ، بل استنزفت الدولة قسطا كبيرا من ماليتها في الحروب الداخلية والخارجية ، بسبب العداء القائم بين هذه الدولة واصحاب المذاهب الاخرى •

ومما لاشك فيه ان الزراعة والفلاحة ، هما قوام هـذا المجتمع ، وان جمهور ذلك المجتمع من الفلاحين • وبذلك تكونت طبقة مـن المستأجرين ضخمة العدد ، ولم تكن هذه الطبقة الا من القبائل الفقيرة التي لم ترض بحكم الصليحيين • ولما كانت ثروة الدولة تعتمد الاعتماد الكلي على المتحصل من هؤلاء المستأجرين ، فان عدالـة سلطان الصليحيين كانت تقتضيه ان يسهر على مصلحتها ويضرب على أيـدي الولاة المخالفين لتعاليمه • ليحول بذلك دون انتشـار روح التذمـر بينهـم • ولقد وعد السلطان علي الصليحي عماله بالتنكيل اذا رفع اليه شيء مما نهاهم عنه ، كما أمر جميع الرعية ان يرفعوا اليه ما يكون مـن العمل من فعل القبيح والحسن ، حتى ينزل بهم من انعامه وعقوبتـه بحسب أفعالهم • وقد دعاه الى ذلك خوفه من ان ظلم الولاة قـد يثير حنق الرعية ، وتعلم ذلك ممن سبقه في حكم اليمـن ، فعرف انـه بسياسة اللين المقرونة بالحزم يمكنه ان يحفظ دولته من اعاصير الفتـن والثورات • وكان الصليحي قد وزع السلطة في البلاد بين من يثق فيهم من الصليحيين والزواحيين ، فأصبح كل حصن يحكمه أحد اعوانه ، غير اننا نرى ان هؤلاء الولاة كانوا مقيدين بسياسة خاصة ، رسمها لهم الصليحى ليسيروا على نهجها ، ولكن على الرغم مما يبدو في هـذه السياسة من المنافع لصالح الرعية ، ولحرص الصليحى على استقرار الامن في ربوع دولته ، ما لبثت الامور ان تغيرت بعد قتله في المهجـم سنة ٥٤٩ هـ • وذلك لان مدة حكم ابنه الملك المكرم استنفذت كلها فى الحروب ، فلم يقدر ان يلتفت كثيرا لمصالح الرعية ، فأخذ نفوذ حكـام الحصون يزداد واخذ روح التذمر والاستياء من هذا النظام يزداد تبعا لذلك • هذا الى ما استتبعه ذلك من الاعباء الثقيلة التي كان يقع غرمها على طبقات الشعب الفقيرة وحدها • ولم يكن هذا التذمر يرجع الـى عدم تعودهم على هذا النظام الجديد وحده ، بل كان يرجع الى حرمانهم

من الامتيازات والمنافع ، التي كانت تتمتع بها طبقة رؤساء الاقطاع الذين كانوا يختارون من القبائل الارستقراطية كالصليحيين والزواحيين واليامين لتضمن الدولة الصليحية تنفيذ سياستها • ولعل كثرة الحروب التي قام بها المكرم ، ترجع الى الاستياء الذي جعل حكمه غير مستقر ، مما استنفذ كثيرا من المال والجهد • وقد تمكن مع ذلك من حفظ دولته من هذه الاعاصير المضطربة بفضل ما أوتى من شجاعة وعزم •

ولما توفى المكرم سنة ٤٧٧ هـ ، وانفردت زوجته الملكة اروى بالحكم ، وأنس حكام القلاع ضعفها ، تاقت نفوسهم الى الاستقلال بما تحت ايديهم • وعلى الرغم من انها استعملت الحكمة والدهاء ، وسيرت الامور في الصدر الاول من حكمها باعتمادها على رجال ذوى كفاية ، وعلى معاضدة الخلافة الفاطمية لها ، كانت عوامل الانحلال والضعف اقوى من هذه السياسة ؛ فأخذت مظاهر الضعف تظهر بوضوح كلما تقدمت الملكة في السن ، واستفحل امر الولاة الطامعين (١٥٩) •

عداء أهل المذاهب :

اضف الى ذلك إن الصليحيين استطاعوا ان يكونوا دولتهم وسط بحر خِضَمٌ من السنيين ، وان هذه الدولة كانت تحكم مجتمعا يدين معظمه ـ ماعدا الزيدية ـ برياسة الخلافة العباسية على العالم الاسلامى ، وكان يحنق على نفوذ الخلافة الفاطمية ، ودعوة الفاطميين في اليمن ، وان الفقهاء والعلماء بالخصوص تمادوا بدون هوادة ان يثيروا الجماهير الى تكفير اهل الدعوة ، ونسبوا اليهم ظلما وعدوانا تحليل الحرام وتحريم الحلال (١٦٠) • فالتفت الجماهير بفضل مسعى

---

(١٥٩) هـ / ج ٢٣٤

(١٦٠) الحمادى : كشف أسرار الباطنية واخبار القرامطة

الفقهاء حول بني نجاح الذين صاروا في نظرهم رمزا للمذهب السنى ، وفضلت حكم العبيد الحبشة ، على وحدة اليمن تحت ظل دولة الصليحيين العربية • وقد ساعد ــ بنو النجاح ــ وجود آلاف مؤلفة من الحبشة ، الذين استعمروا تهامة اليمن ، وبعض الجزائر الواقعة على الساحل الغربى من اليمن ، والذين كانوا يتكتلون لمعاضدة دولتهم في تهامة • وقد اهمل الصليحيون اتخاذ الاجراءات الحاسمة للقضاء على هذا الاستعمار الاجنبى ، بعد تجارب عديدة من تكتلهم ضد العرب • ولا يمكننا ان نعزو هذا العداء كله الى النظام الاقطاعى وحده الذى اوجدته الدولة الصليحية ، بل ان رغبة النجاحيين في اعادة سلطانهم ورغبة الاهالي فى حكمهم ، لانهم يمثلون مذهب أهل السنة ، كان سببا جوهريا في اثارة الحروب بين الفريقين ، واضعاف الدولة الصليحية • وكان النصر في النهاية لبني نجاح ، فخلص لهم حكم تهامة، ولم يتمكن الامير المفضل بن ابى البركات الحميري ، وبعده الامير الموفق ابن نجيب الدولة من فتحها ، واستمرت الدولة النجاحية في تهامة حتى سنة ٥٥٤ هـ ، حين استولى عليها علي بن مهدي الحميري [١٦١] •

وكان ائمة الزيدية ورؤساؤهم ، كما كان الحبشة ، مثار اضطراب شديد في عهد الدولة الصليحية ، فقد ظلوا في حالة حرب معهم طوال مدة حكمهم لليمن • وذلك يرجع الى العاملين الديني والسياسي معا • وكان الائمة الزيدية ينافسون الخلفاء الفاطميين في الامامة والحكم • وايد الصليحيون دعوى الفاطميين برياسة المسلمين • فاحتكوا بالصليحيين برغم اشتراكهم في التشيع وحب اهل بيت النبي ، الذي كان يجمع الفريقين • وكان العامل السياسي اقوى من الخلاف الدينى ، لان الدعوة الفاطمية وقفت من يوم حضور الامام الهادى الى الله يحيى بن الحسين

(١٦١) عمارة / كاى ٩٢ ــ ٣٠٠

باليمن ، حجر عثرة ازاء توسع الدعوة الزيدية باليمن • فما استطاع الائمة نشر دعوتهم بالتي هي احسن ، وذلك لان الدعوة الفاطمية رمت الى نفس الهدف ، وهو انشاء دولة موالية لاهل البيت باليمن ، بعد ماكابدوا من ظلم واعتساف بايدي الامويين والعباسيين وادركت مطالبها على يد منصور اليمن (١٦٢) ، ثم في عهد الصليحيين بصورة اوسع واقوى من المجهود الزيدي • فاشتبك الفريقان او الدعوتان في صراع دموى للوصول الى نفس الغاية • واننا نرى ان هذه الغاية كانت سياسة اكثر من ان تكون دينية بحتة • والدليل على ذلك ما رأينا من انضمام رؤساء الزيدية لدولة الجبشة العبيد السنيين والتحالف معهم ضد الصليحيين ، كما فعل الامام ابو الفتوح الديلمى حين استولى الملك الصليحي على صنعاء ، او كما فعل اشراف المخلاف السليمانى حينما دعوا الغز الذين احتلوا مصر ان يحتلوا اليمن • وقد وقفنا على الحوادث التى حدثت بسبب احتكاكهم بالدولة الصليحية في عهد الملك علي بن محمد الصليحي ، وفي عهد ابنه المكرم •وذكرنا ماكان من انضمام الشريف يحيى بن حمزة السليمانى الى النجاحيين في موقعة الكظائم وما كان من هزيمة العرب تحت راية الصليحيين (١٦٣) • وظلت صعدة نتيجة لهذا النزاع منطقة للتجاذب بين القوتين حتى عهد الملكة الحرة سنة ٥١١ هـ حيث ثار الامير المحسن بن الحسن (١٦٤) ، داعى الامام ابى طالب يحيى ابن احمد بن الحسين الهارونى الديلمى (١٦٥) ، واستولى على نجران والجوفين والظاهر وحصن ثلا • وقاتل الصليحيين حتى قتل السلطان سليمان بن عامر بن سليمان الزواحى في وقعة نشبت بين ثلا وكوكبان فى

(١٦٢) راجع ذلك في نفس الكتاب •
(١٦٣) هـ / ح ١٥٢ ـ ١٥٤
(١٦٤) نفسه ٢٣٧ هامش (٢)
(١٦٥) هو ابو طالب الصغير يحيى بن احمد بن الحسين بن الامام المؤيد بالله بن الحسين الهاروني من بلاد الجبل والديلم •

سنة ٥١١ هـ ، ولم يقو الصليحيون بعـد ذلك على اعـادة نفوذهم في اليمـن الاعلـى •

وهذا العداء الذي رسخ في قلوب اهل المذاهب يفسر لنا الاسباب التي جعلت حكم هذه الدولة لليمن حكما غير مستقر • بل جعلت حكمهم كأنه قائم على فوهة بركان لا يستقر له قرار ، كما يفسر لنـا الحروب المستمرة التي قامت بها الدولة الصليحية • وكانت الدولة النجاحية من جهة ، والفقهاء من جهة والاشراف من جهة ، من اهم العوامل التـي اضعفت الدولة الصليحية ، لانهم ظلوا طوال حكم الصليحيـين (٤٣٩ ــ ٥٣٢ هـ) في حالة حرب معهم ، مما جعل الدولة تسـتنفذ الكثير من جهدها في سبيل مقاومتهم •

عدم التعاون بين الحاكم والمحكوم :

فاذا كانت الحكومات التي تمثل الاغلبية في الشعوب لم تتمكن من تحقيق العدل السياسي والاجتماعي فى مجتمعاتها من اقدم العصور الى الآن ، فانه لا ينتظر من اقلية فاطمية المذهب تحكم اكثرية سـنية ، ان يتحقق هذا العدل على يديها • ولكن يمكن القول ان بلاد اليمن كانت أحسن حالا تحت حكم الصليحيين مما كانت عليه قبل ذلك الحكـم • وذلك نتيجة للوحدة التي اوجدتها الدولة الصليحية ، بل ان الصليحيين عملوا الى حد كبير على اسعاد شعبهم طوال مدة حكمهم ، بما خولتـه الظروف المحيطة بهم • ولكن اذا كانت هذه الدولة لم توفق الـى ما قصدته ، فذلك يرجع الى ان معظم الرعية كانوا يعتقدون في كفـر رؤسائهم ، وليس من السهل ان ينزع هذا الاعتقاد من صدورهم مهما قدم لهم الصليحيون من خدمات •

كما ينبغي الا يفوتنا ان امور الحكم انما تستقيم حينما يكـون

التعاون والتعاون بين الحاكمين والمحكومين في الاصول التي يقوم عليها النظام ، فليس يكفي ان يكون الحاكم نقي الضمير ، مؤثرا للعدل ، مصطنعا للمعروف ، حريصا على رضا الله ، كافيا بعد ذلك لمشكلات السياسة ، خراجا منها اذا ادلهمت ، وانما يجب ان يكون لرعيته حظ من هذا الضمير الحي اليقظ ، ومن حب العدل ، وايثار المعروف ، وهذه المشكلة واجهتها الدولة الصليحية في اليمن ، فلم يكن هناك تضامن صحيح بين ملوك هذه الاسرة ، والكثرة الضخمة من رعاياهم (١٦٦) .

ب ـ مظاهر سقوط الدولة الصليحية :

على الرغم من ان هذا التضامن كان قائما بين السلاطين من آل الصليحى وبين الطبقة الارستقراطية التي اوجدها النظام الاقطاعي في عهد الصليحيين ، من الزواحيين واليامبيين وغيرهم ، وعلى الرغم من ان الملكة اروى قد استعانت ببعض الشخصيات في ادارة شؤون دولتها ، الا ان الحالة اخذت تضعف وتتحل لاسباب ذكرناها آنفا . فقد استقل النجاحيون بتهامة كما رأينا بعد موقعة الكظائم سنة ٤٧٩ ، ثم استولى عليها علي بن مهدي الحميري الرعينى (١٦٧) سنة ٥٥٤ هـ . وبعد وفاة السلطان ابى حمير سبا بن احمد الصليحى سنة ٤٦٩ هـ ، خرجت صنعاء من حظيرة الدولة الصليحية ، حيث استولى عليها السلطان حاتم ابن الغشيم المغلسي الهمداني (١٦٨) ، وناصرته قبائل همدان وصارت بعده الى ابنه عبدالله بن حاتم ، ثم الى اخيه معن بن حاتم . ثم خلعته همدان وولت مكانه كلا من هشام وحماس ابنى القبيب الهمدانى ، ثم اختارت همدان السلطان حاتم بن احمد (المجيدى) بن عمران بن الفضل اليامى الهمداني (١٦٩) ، ليقوم بأمر صنعاء واعمالها سنة ٥٣٣هـ ، وملكها

---

(١٦٦) هـ / ح ٢٣٨

(١٦٧) ادريس (ع) ٢٣١/٧

(١٦٨) هـ / ح ٢٣٩ هامش ٢

(١٦٩) ادريس (ع) ٢٣١/٧

بعده ابنه السلطان علي بن حاتم ، وضربت باسميهما السكة ، وايقمت لهما الخطبة (١٧٠) • وانتصر علي بن حاتم اليامى في وقعة ذى عدينة على جيوش عبدالنبى بن علي بن مهدى الحميرى ، نصرا عظيما حيث فـر عبدالنبى الى زبيد • فاتسعت رقعة دولة الهمدانيين على معظم اليمـن الاعلى فى عهد السلطان علي بن حاتم ، حتى ازاله واخاه السلطان بشر ابن حاتم اليامى ، الملك العزيز سيف الاسلام طغتكين بن ايوب عن صنعاء وزمرمز وغيرها من الحصون والمعاقل •

وصارت عدن وما يليها الى تعز والجند وجبله في ملك بنى زريـع ابن العباس بن المكرم الجشمى الهمدانى الى ان استولى عبدالنبى بـن علي بن مهدى على التعكر والجند وتعز وجبلة وغير ذلك من المعاقـل والمدن • فبقيت عدن في ايديهم حتى ازالهم عنها الملك المعظم تواران شـاه الايوبى ، وتسلم بعده الملك العزيز سيف الاسلام طغتكين بـن أيوب حصون الدملوة وجب بعد ان حاصرها اربعة عشر شهرا • وخرج منها جوهر المعظمى والي بنى زريع ، وكان معه فيها ابنا عمران بن محمد ابن سبا الزريعى الصغيران •

وكان سليمان وعمران ابنى الزر من خولان ، قد استقلا بحصن خدد والتعكر سنة ٥٢٤ هـ ، وذلك بعد ان غادر ابن نجيب الدولـة سواحل اليمن ، ثم استولى عليهما بنو زريع ثم ابن مهدى الى ان طوى الغز بلاد اليمن •• •

وقد انتهت معارضة الصليحيين للدولة الزيدية بصعدة بعد وقعـة ثلا سنة ٥١١ هـ • وبعد ان قتل الحدادون الامير المحسن بن الحسـن بصعدة ، ثم قام بأمر الحسنية الامير علي بن زيد بن ابراهيم (١٧١) فـي

(١٧٠) نفســه ٢٣٢/٧

(١٧١) هو علي بن زيد بن ابراهيم المليح بن المنتصر محمد بن القاسم المختار بن الناصر احمد بن الهادي يحيى بن الحسين (هـ / ح ٢٤٠ هامش ١)

سنة ٥٣١ هـ • وفي السنة التالية قام المتوكل على الله احمد بن سليمان (١٧٢) بأمر الامامة ، فصارت صعدة وما يليها لبنى الهادى ، وشهارة وما يليها لبنى القاسم العيانى ، وتهامة الشام الى وادى عين للاشراف من بنى سليمان (١٧٣) • ولما صار امر المخلاف السليماني بيد الشريف غانم بن يحيى بن حمزة ، قامت بينه وبين عبدالنبي بن علي بن مهدى حروب كثيرة قتل فيها غانم بن يحيى سنة ٥٦٠ هـ (١٧٤) •

مصير حصون آل الصليحي واموالهم :

وكان منصور بن المفضل بن ابى البركات الحميرى مستوليا على ذى جبلة وملك بنى المظفر في أشيح وحصونهم ، بعد وفاة ابيه المفضل سنة ٥٠٤ هـ ، وكان يدين بالطاعة للملكة اروى حتى وفاتها سنة ٥٣٢ هـ • وبعد ذلك استولى على ما كان تحت يدها من حصون وذخائر واموال • ولما تقدمت به السن وصار لا يقدر على حماية هذه الحصون من الطامعين ، واعيته الشيخوخة عن التحرك باع حصون الصليحى ومدنهم سنة ٥٤٧ هـ (١٧٥) وهي ثمانية وعشرين حصنا ومدينة منها : مدينة ذى جبلة ، وحصن التعكر ، وذى اشرق ، واب • وقد ابتاعها المتوج محمد ابن سبا بن ابى السعود الزريعى بمائة الف دينار • وطلق منصور زوجته الصليحية الاميرة اروى بنت علي بن عبدالله بن محمد الصليحي ، فتزوجها الملك محمد بن سبا (١٧٦) ، فانتقلت حصون آل الصليحى

---

(١٧٢) هو احمد بن سليمان بن المطهر بن محمد بن المطهر بن علي بن الناصر احمد بن الهادي يحيى بن الحسين (هـ / ح ٢٤٠)
(١٧٣) انباء / دار ٥٢
(١٧٤) المقتطف ٧٣
(١٧٥) ادريس (ع) ٢٠٧/٧
(١٧٦) عمارة / كاى ٥٦

وذخائرهم ،وما ورثت الاميرة اروى الصليحيه من ثروة الى محمد بن سبا الزريعى ، ثم الى ابنه عمران بن محمد بعد وفاة ابيه سنة ٥٦٠ هـ ، فقوى نفوذ الملك محمد بن سبا الزريعى تبعا لذلك ، وطاش فرحا لما صار اليه من المال والقوة والمعاقل والعقائل (١٧٧) .

ونزل منصور بن المفضل الى حصن تعز وصبر ، ولم تزل صحته تتدهور حتى وافاه الاجل سنة ٥٥٢ هـ ، فخلفه ابنه احمد ، واستمر هذا مالكا لتعز وصبر حتى سنة ٥٥٨هـ، حيث اشتراه منه علي بن مهدى ، وانتقل احمد الى الجند فسكنها الى ان توفى سنة ٥٦٣ هـ . وبقيت هذه الحصون والمدن في ايدى ملوك بني زريع الى ان استولى على بلادهم عبدالنبى بن علي بن مهدى ، وتملك بلادهم غير عدن ، فانهم صالحوه على تركها في ايديهم (١٧٨) ، حتى ازالهم عنها توران شاه الايوبي فيما بعد .

---

(١٧٧) نفسه ٥٦

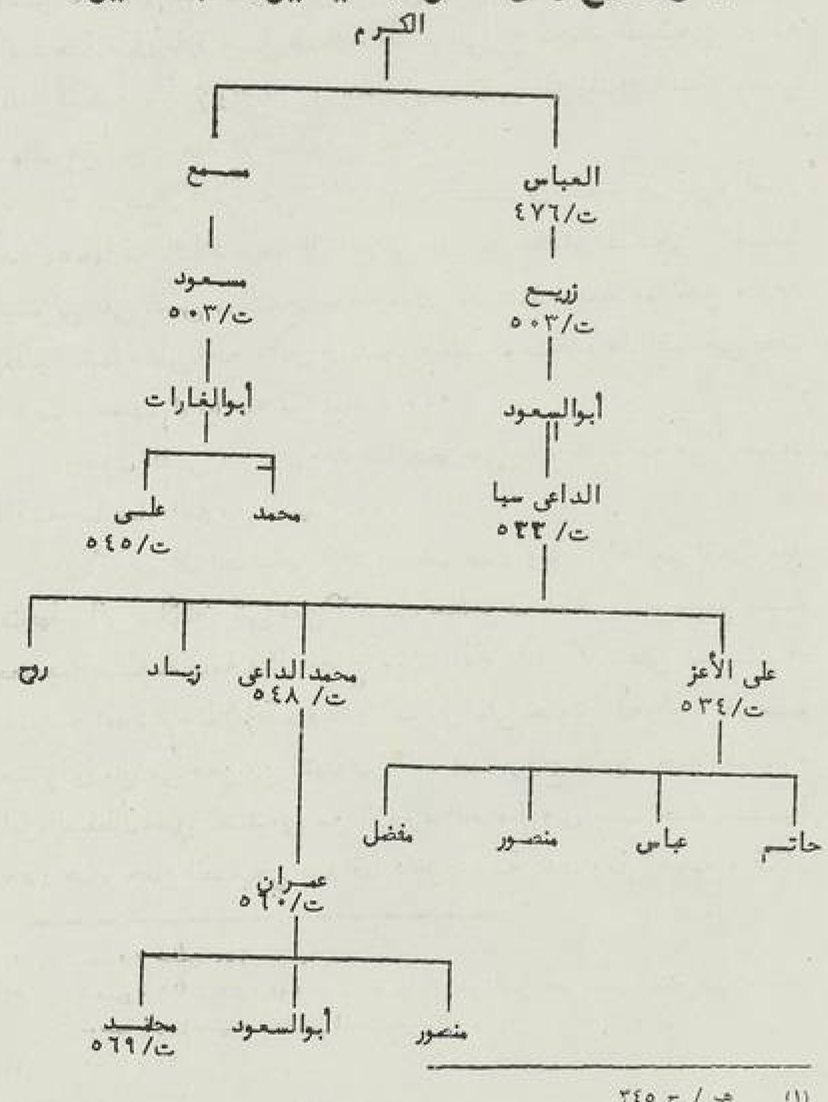
(١٧٨) ابن الديبع (ق) ٢٢٧

تاسعا ـ دولة بني الكرم

٤٧٠ ـ ٥٦٩ هـ

١٠٧٨ ـ ١١٧٤ م

(آل زريع وآل سعود) اليامبون الهمدانيون



(١) هـ / ح ٢٤٥

اهم الاحداث في عهدهم :

١ ــ بنو زريع ويعرفون بآل الذئب • وهم رؤساء همدان من جشم ثم من يام بن أصغى • وهم بعد آل الصليحي ، بقية العرب باليمن • وكان لجدهم زريع بن العباس جهاد واجتهاد في قيام الدولة الصليحية • في بلاد اليمن فى عهد الملك علي بن محمد الصليحى ، وابنه الملك المكرم عند نزوله الى ز بيد واستخلاص أمه الملكة اسماء بنت شهاب من أسر سعيد الاحول ابن نجاح •

٢ ــ يقول الخزرجي [٢] : « ان السبب في تملك آل زريع لعدن وما ناهجها من البلاد ، هو ان الداعي علي بن محمد الصليحي ، لما استولى على اليمن ،وافتتح مدينة عدن كان فيها يومئذ بنو معن • وقد تغلبوا عليها وعلى لحج وأبين والشحر وحضرموت فابقاها الصليحي تحت أيديهم وجعلهم نوابا عنه من قبله » •••

ويقول القمى [٣] : « وقد صالحهم على ذلك لما بذلوه من السلم فأقتنع بما صار اليه من الغنم » •••

ولا ريب ان الصليحى اراد بتسليم عدن وما والاها من البلاد بعد فتحها ، الى سلاطين بني معن ، كسب حلفاء اقوياء ، يعتمد عليهم عند معالجته مشكلة تهامة وآل نجاح • كما قدم دليلا آخر على تمسكه بسياسة المهادنة والملاطفة ، وعدم التعدى على حقوق الجوار ، بالرغم مما رأى من بنى معن من التهاون [٤] • فلما تزوج الامير أحمد المكرم ابن السلطان علي الصليحي من الاميرة الحرة اروى بنت احمد سنة ٤٥٨ هـ ، جعل الصليحي صداقها دخل مدينة عدن وما ناهجها • فكان

---

(٢) عمارة / حسن ٢٤٤ حاشية ٥٧ (كاى)

(٣) القمى : ١٩ ــ ٢٢ ، هذه الرسالة من انشاء القمى على لسان الملك علي الصليحى موجهة الى الخليفة الفاطمى المستنصر بالله ••

(٤) هـ / ح ٨٦

بنو معن يرفعون خراجها كل سنة الى السيدة الحرة في ايام الملك علي الصليحي . فلما قتله آل نجاح سنة ٤٥٩ هـ ، تغلب بنو معن على ماتحت أيديهم من البلاد . فقصدهم الملك المكرم ، واخرجهم من عدن وما والاها . وترك امرها للعباس ومسعود ابنى الكرم الهمدانى ، فجعل للعباس حصن التعكر بعدن . وباب البر وما يدخل منه . وجعل لمسعود حصن الخضراء ، وباب البحر ومايدخل منه . واليه أمر المدينة ، واستخلص ما للملكة الحرة السيدة من أموال . ولم يزل ارتفاع عدن يحمل الى الملكة في كل سنة مائة الف دينار — وقد يزيد وقد ينقص — الى ان توفى العباس بن الكرم فخلفه ابنه زريع ، على التعكر وباب البر ، وبقي مسعود على ما تحت يده . وكل واحد منهما يحمل ما عليه بانتظام وبدون تلكؤ ...

٣ — ولما بعثت الملكة اروى بنت احمد ، وزيرها ومدبر امور دولتها ، الامير المفضل بن ابى البركات بجيش كبير لمساعدة منصور بن فاتك — حين استجارها — في استرداد زبيد كلفت جيشا آخر بقيادة زريع بن العباس ، وعمه مسعود بن الكرم الهمداني بمساعدة جيش المفضل . وقد تمكن الجيش من الاستيلاء على زبيد ، وطرد عبدالواحد عم منصور بن فاتك ، ولكن زريع وعمه مسعود قتلا معا على باب زبيد سنة ٥٠٣ هـ ، فتولى أمر عدن بعدهما ابو السعود بن زريع . وابو الغارات بن مسعود (٥) ، فتغلبا على الملكة اروى ، وامتنعا عن دفع ما عليهما من خراج سنوي . فبعثت اليهما وزيرها الامير المفضل بن ابى البركات في جيش عظيم قاتلهما ، وانتهى باتفاق تعهد فيه ابو السعود وابو الغارات على دفع نصف المتفق عليه من الخراج ، فكانا يحملان اليها كل سنة مبلغ خمسين الف دينار .

---

(٥) با مخرمة ٢/٨٦

ولما توفى المفضل بن ابى البركات سنة ٥٠٤ هـ ، تغلبوا على الملكة أيضا ، فبعثت اليهم بالامير اسعد بن ابى الفتوح ـ ابن عم المفضل ـ قاتلهما وتم الاتفاق على ان يقوما بدفع الربع من الارتفاع ، فكانا يحملان اليها كل سنة خمسة وعشرين الف دينار • ثم ما لبثوا ان تغلبوا على الربع عندما ثار بنو الزر بالتعكر • وتيجة لذلك لم يبق للملكة شيء في عدن ، لموت رجالها ، وعدم قدرة ابن نجيب الدولة على استرجاع نفوذها هناك •

٤ ـ ولما توفى ابو السعود خلفه ابنه سبا ـ كما خلف محمد بن أبى الغارات والده بعد وفاته ـ ، وكان للداعى سبا حصن التعكر وباب البر وما يدخل منه • وكان له من البر الدملوة وسامع ومطران وذبحان وبعض المعافر وبعض الجند ، وأعماله في الجبال الواسعة ، ولما توفى محمد بن ابى الغارات ، خلفه اخوه علي • ويقول الجندي : « وله في لحج مدينة الزعارع » [٦] •

٥ ـ ويقول عمارة : [٧] « حدثنى الداعى محمد بن سبا ، وجماعة من مشايخ عدن قالوا : كنا نعرف ابن الخزرى ابا القاسم ، نائبا لعلي ابن ابى الغارات ، في نصف عدن والشيخ احمد بن عتاب الهذلى ، نائبا لسبا بن ابى السعود ، فى نصف عدن ، فانبسط ابن الخزرى في قسمة الارتفاع على أحمد بن عتاب • وامتدت ايدى اصحاب علي ابن ابى الغارات الى ظلم الناس • وعاثوا فى البلد وافسدوا ، واطلقوا الاقوال بمذمة الداعي سبا ، مما يثير الحفيظة • والداعي سبا في اثناء ذلك مهتم بجمع الاموال والغلات سرا ••••

وحين كاد احتماله ان يخرج الامر من يده ، عزم على مناجزة القوم ، وقدم قائده الشيخ بلال بن جرير ، فولاه عدن ، وامره ان

(٦) با مخرمة ٨٨/٢
(٧) عمارة / حسن ٨٣ ـ ٨٤

يهاجم القوم ، ويحرك القتال بعدن ، ففعل بلال ذلك ، ولم يلبث سبا ان جمع جموعا من همدان وجنب بن أسعد ، وعنس وخولان ، وحمير ، ومذحج وغيرهم ..

وهبط من الجبال من دملوة ، فنازل القوم بوادي لحج .

وللداعي سبا قرية في هذا الوادي مسورة يقال بها : بنى أبه [8] ، فنزل بني عمه آل الزريع ، ولبني عمه مسعود بهذا الوادي مدينة اخرى كبيرة يقال لها : الزعازع ، مسورة ايضا ، فخيم كل منهم بمدينته ، ثم اقتتلوا أشد القتال ...

« وكثر الطعن بين الفريقين ، والجلاد بالسيوف ، وعقر الخيل ، والعرب المحشودة نظارة ، ثم حملت همدان ، ففرقت بين الناس ، وتحاجز القوم ، لان وادي لحج أقبل دافعا بالسيل ، فوقفوا على عدوتى (أي جانبى) الوادي ... واستمرت فتنة الزعازع سنين طويلة ، أنفق فيها الداعي سبا بن ابى السعود ثلثمائة الف دينار ثم أفلس . واقترض من متاجر عدن مالا كثيرا ، بقى منه بعد وفاته حوالي ثلاثون الف دينار ، قضاها عنه ابنه الاعز علي بن سبا ... »

٦ ـ وقال عمارة [9] : قال الشيخ بلال بن جرير المحمدي ، لما ملكت حصن الخضراء ، وأخذت الحرة بهجة ، ام السلطان علي بن ابى الغارات ، وجدت عندها من الذخائر ، ما لم أقدر على مثله ، وعدن كلها بيدي ، في مدة مطاولة ... واذكر أني كتبت من عدن بخبر الفتح وأخذى الخضراء ، وسيرت رسولا بالبشرى لمولانا الداعي سبا بن ابى السعود . وفى اليوم الذى كان فيه فتحي للخضراء ، فتح مولانا مدينة الزعازع ، فالتقى رسوني ورسوله بالبشرى ... والتجأ علي بن ابى الغارات الى حصنين يقال لهما : منيف والجبلة ، وهما لسبأ سهيب [10] ،

---

(٨) الهمدانى (ص) ٥

(٩) عمارة / حسن ٨٦

(١٠) الهمدانى (ص) ٧٤ ، ١٨٩

واعالي لحج • وبقي هناك حتى قتله محمد بن سبا ، هو ومحمد بن منيع بن مسعود ورعية بن ابى العارات في سنة خمس واربعين وخمسمائة (١١) •••

واما الداعي سبا ، فقد دخل مدينة عدن ، ولم يقم بها الا سبعة اشهر ثم وافته المنية سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، وقبر بسفح التعكر (١٢) •

٧ ـ تولى علي الاعز بعد وفاة والده ، وكان مقيما بالدملوة ، فهم بقتل الشيخ بلال ، ولكن المنية عاجلته سنة اربع وثلاثين وخمسمائة• وكان قد أوصى بان يكون اولاده تحت وصاية الانيس الاعزى الحبشي، ويحيى بن علي العامل وكان وزيره وكاتبه ••• ونظرا لان محمد بن سبا كان قد هرب من أخيه علي ، واستجار بالامير منصور بن المفضل بن ابى البركات بتعز وصبر ، فأجاره •• •

ولما توفى علي بن سبا بالدملوة ، سير الشيخ بلال من عدن ، رجالا من همدان الى منصور بن المفضل لاحضار محمد بن سبا ، فأحضروه الى عدن ، حيث ملكه الشيخ بلال ، واستحلف له الناس والديوان ، وزوجه ابنته ، وجهزه باحسن جهاز • ثم حاصر بلال الدملوة حتى ملكها بعد ان قبض على انيس ويحيى ابنى علي • وهكذا دانت البلاد كلها لمحمد بن سبا •

٨ ـ لما قتل الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله ، في الثاني من ذى القعدة سنة اربع وعشرين وخمسمائة ، بيد جماعة من النزارية ، قبض الوزير أبو علي أحمد بن الافضل على ازمة الامور في مصر ، حتى قتل في الخامس عشر من المحرم سنة ٥٢٦ هـ ، وتولى الخلافة الفاطمية ، الحافظ عبدالمجيد • وقام هذا الخليفة بارسال القاضي الرشيد ، داعيا

---

(١١) عمارة / حسن ٨٦

(١٢) نفسه ٢٤٩ حاشية (٦٥) كاى

له في اليمن ، فاتصل هذا الداعي ببني زريع في عدن ، واستعان بهـم في نشر الدعوة للخليفة الحافظ . وكان القائم منهم في هذا الوقت هـو الداعي محمد بن سبا بن ابى السعود بن زريع ، الذي نصبه داعيا لـه في اليمن ... ويقول ادريس (١٣) : « وكان السلطان محمد بن سبا بن أبى السعود يظهر الدعوة للحافظ ... ولم يجب عبدالمجيد ويدعو له ، الا تقية وخوفا ، فخاف سطوته وصولته وعدوانه ، ولكنه ــ مع ذلك ــ كان باقيا على طاعة الامام الطيب » .

٩ ــ وفي شهور سنة سبع وأربعين وخمسـمائة ، ابتاع الدعـي محمد بن سبا من الامير منصور بن المفضل (١٤) ، جميع المعاقل التـي كانت لبني الصليحي ، وهي ثمانيةوعشرون حصنا ومدائن منهـا : ذى جبلة ، وذى اشرق ، واب ، فأخذها بمائة الف دينار . وطلـق منصور زوجته الصليحية الاميرة اروى بنت علي بن عبدالله بن محمد الصليحي، فتزوجها الملك محمد بن سبا ، فانتقلت حصون آل الصليحي وذخائرهم، وما ورثت الاميرة اروى من الثروة الى محمد بن سبا ، ثم الى ابنه عمران ابن محمد بعد وفاة ابيه سنة ٥٤٨ هـ ، فقوى نفوذ الملك محمد بن سبا الزريعي ، تبعا لذلك وطاش فرحا لما صار اليه من المال والقوة والمعاقل والعقائل (١٥) . وبقيت هذه المدن والحصون في ايدي آل زريع ، الـى ان استولى على بلادهم عبدالنبي بن علي بن مهدي ، وتملك بلادهم غير عدن ، فانهم صالحوه على تركها في ايديهم (١٦) ، حتى ازالهم عنها توران شـاه بن ايوب (١٧) .

---

(١٣) ادريس (ع) ٢٠٥/٧ ، الملكة اروى ٨٥

(١٤) وكان قد تولى على ملك بني المظفر اشيح بعد وفاة ابيه سنة ٥٠٤ هـ ، وملبهاكا حصون الصليحيين بعد وفاة الملكة سنة ٥٣٤ هـ .

(١٥) عمـارة / حسـن ٨٩

(١٦) ادرس (ع) ٢٠٧/٧

(١٧) هـ / ح ٢٤١

١٠ ــ ومكارم الداعي محمد بن سبا اكثر مما تحصى ، منها : قال عمارة [١٨] : « رأيته في يوم عيد ، وقد احرقته الشمس في المصلى بظاهر مدينة الجوة ،والشعراء يتسابقون بالنشيد • فقال لي : قل لهم ، وارفع صوتك لايتزاحمون ، فلست أقوم حتى يفرغوا ، وكانوا ثلاثين شاعرا ، ثم اثابهم جميعا » • واستطرد عمارة قائلا [١٩] : « ومدحه في ذى جبلة القاضي يحيى بن احمد بن ابى يحيى بقصيدة ، فأجازه عليها بخمسمائة دينار وخلعة » •

١١ ــ بعد ان توفى الداعى سبا سنة ٥٤٨ هـ خلفه ابنه محمد بن عمران ، حيث استمر في الحكم حتى توفى في الدملوة سنة ٥٦٠ هـ ، فنقله الاديب ابو بكر (بن محمد العبدى) الى مكة ، ودفنه في مقابرها ، اما اطفاله الثلاثة فهم : محمد وابو السعود ومنصور ،فقد كفلهم الاستاذ ابو الدر جوهر المعظمى ، ولم يزالوا كذلك حتى قدم السلطان شمس الدولة توران شاه بن أيوب ، فاستولى على عدن وهرب ياسر بن بلال الى الدملوة ، فلحق هناك بجوهر ، وهكذا كان انقضاء آل زريع في عدن •••

١٢ ــ اما الشيخ بلال بن جرير المحمدي الذي ولى عدن لمولاه سبا بن ابى السعود فقد بقيت في يده في عهد علي الاعز ، وظل واليا عليها من سنة ٥٣٤ حتى وفاته سنة ٥٤٦ هـ • ويقول عمارة [٢٠] : «وقد مات بلال عن مال من العين الملكى قدر بمبلغ ستمائة وخمسين الف دينار ، ومن العين المصري بمبلغ ثلثمائة الف دينار ، وعن ابهرة [٢١] من الفضة المصاغ حلى ، ومراكب خيل ، وبغال وسيوف ورماح وادوات

---

(١٨) عمارة ٨٧ ــ ٨٨
(١٩) نفسه ٨٩
(٢٠) نفسه ٩١
(٢١) بهار وجمعها أبهرة ، والبهار = ٣ قنطار (عمارة / حسن ٩١ هامش ٤)

كتابة ، وطشوت ... الخ . وانتقل كل هذا بوصية الى مولاه محمد بن سبا ، ففرق ذلك في مدة سنتين ، في سبيل المروءة والمعروف ...»

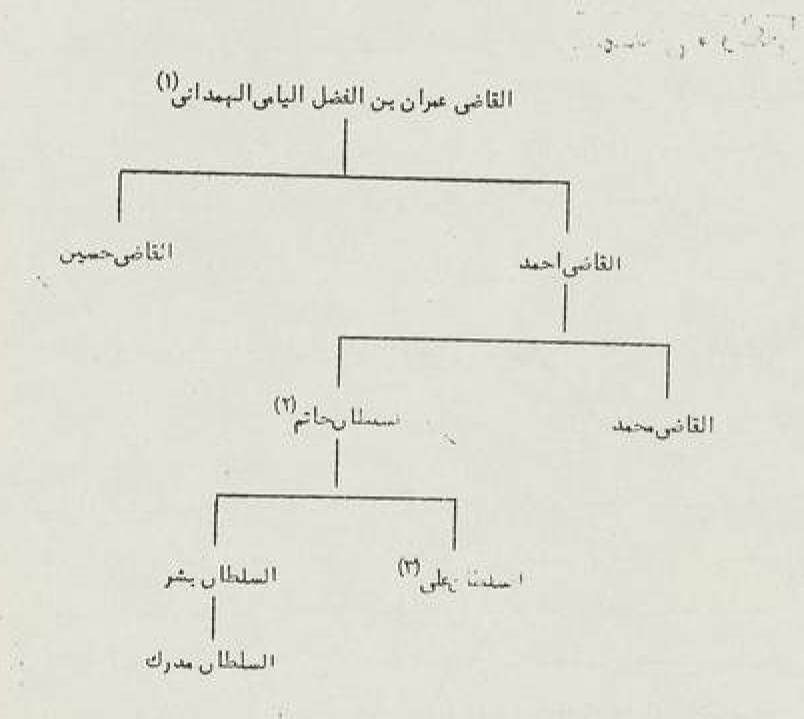
١٣ ـ وبعد موت الشيخ بلال خلفه ابنه مدافع ، ثم ابنه الثاني ابو الفرج ياسر بن بلال ، وكان ياسر هذا رجلا كبير القدر ، ممدحاً ، يثيب المادحين ولا يخيب القاصدين ... واستمر حتى فتح الايوبيون عدن واستولوا على البلاد ، فقتلوا ياسر سنة ٥٧٠ هـ . وكان هذا آخر وزراء آل زريع .

× ● ×

عاشرا ـ دولة بني حاتم

٤٩٣ ـ ٥٦٩ هـ

١٠٩٨ ـ ١١٧٤ م



(١) قتل في موقعة الكظالم سنة ٤٧٩ هـ

(٢) اختارته همدان بأمر صنعاء سنة ٥٣٢ هـ

(٣) ازاله عن ملكه طغتكين بن ايوب

اهم الاحداث في عهدهم :

١ ـ عمران بن الفضل اليامى ، يلتقى نسبه مع الصليحيين عند جشم الاوسط (فهو عمران بن الفضل بن علي بن ابى زيد بن العمر بن صعب بن الفضل بن عبدالله بن سعيد بن الغوث بن ألغز بن مذكر بن يام بن أصبى بن دافع بن مالك بن جشم الاوسط بن جشم الاكبر بن حبران بن نوف بن همدان) • فلما قرر الملك المكرم بن علي الصليحي ترك صنعاء للاقامة في ذى جبلة ، ولى على صنعاء عمران بن الفضل اليامى الهمدانى • ولكن المكرم ما لبث ان عزل عمران من ولايته • وكان ذلك من الاسباب التي كانت بها المباعدة بينه وبين القاضي عمران [٤] • وفى ذلك يقول القاضي عمران يخاطب المكرم ، والامير سبا بن احمد الصليحى :

ولا تجرحا بالعزل أكبار معشر اذا غضبوا عل القنا وتكسرا

فلو ان مولانا معدا اتاكما بعزل تولى الكل منا وادبرا

فلو تفرقا من لفه والداكما وعودا الى عقليكما وتدبرا

فان اتنما انكرتما ما نظمته فصدقى غدا من طلعة الشمس ازهرا

٢ ـ وفي اثناء مرض المكرم ، وصل الى باب التعكر المسمى بباب كليب القاضي عمران وجماعة كبيرة من الناس ، يريدون مقابلة الملك [٥] • فمنعه القائمون على خدمة المكرم من دخول الحصن ، لما به من مرض ، وصرف أمره الى الملكة الحرة بذى جبلة ، ولكن هذا التصرف أغضب القاضي عمران ، وقال في ذلك قصيدة جاء فيها :

اباب كليب انني لك هاجر على انى داع لمولاك شاكر

---

(٤) ادريس (ع) ٢٣١/٧

(٥) نفسه ١٢٥/٧

وهي قصيدة طويلة كما حكاه صاحب العيون ، ذكر فيها افعاله وسوابقه ، مع الملك علي بن محمد الصليحي ، وظن ان سبب رده يرجع الى سوء تصرف ابن هبالة ونجم بن بشارة خادمي الملك (٦) ، وذكرهما في قصيدته هذه بقوله :

فلما بدين بابه ابن هباله ومأذونه نجم فعمران كافر

٣ ــ ولكن ما لبث ان عادت المياه الى مجاريها مرة اخرى بعد وفاة الملك المكرم ، ذلك لأن القاضي عمران حارب النجاحيين في عهد الملكة الحرة سنة تسع وسبعين واربعمائة في موقعة الكظائم (٧) ، حيث حمل عليه الشريف يحيى بن حمزة بن وهاس (٨) ، فطعنه طعنة مات بسببها بعد ايام (٩) .

---

(٦) وكان الملك المكرم اذا دخل عليه عمران ابن الفضل اليامي ، نزل عن سريره لاستقباله ثم يأخذ بيده ليجلس معه على السرير . وقد دخل القاضي عليه ذات يوم مع سميه عمران ابن الشاعر العثماني ، وقد كان القاضي العثماني سبق ان هجا الملك علي بن محمد الصليحي ، لما اتى سعيد الاحول برأس الملك الى زبيد منصوبا على الراية . لذلك طلب المكرم القبض على الشاعر العثماني لمعاقبته ، فلما طلب منه الملك المكرم الصعود للجلوس بجواره على السرير ، قال القاضي عمران : لا اصعد السرير حتى تقضي لي حاجتي . فقال المكرم : هي مقضية ولو كانت في امان العثماني . فقال عمران : ذلك اريد وهذا الغلام ولده . فقام الغلام وانشد قصيدة ابيه مطلعها :

ماذا ترد على الركبان عدنان ان لم تجد بجميل الصفح قحطان

(٧) ادريس (ت) ٦٢/١ ، (ع) ١٣٣/٧ والكظائم جمع كظيمة والكظيمة هي شبه بئر من سطح الارض الى مجرى الماء تحت الارض وتستعمل هذه لتنظيف مجارى الماء تحت الارض وهذه الكظائم منتشرة فى ارجاء اليمن (هـ / ح ١٥٢ هامش ٤)

(٨) ادريس (ن) ٦١/١ هو من أشراف تهامة عسير تعرف بالمخلاف السليماني ، وهم ينتسبون الى موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابى طالب ، وهم اقارب لاشراف مكة ، وذريتهم لاتزال معروفة في تهامة عسير ، ومن قراهم : صبيا ، ابو عريش ، حرض ، ضمد ، الملحا ، القبة وغيرها .

(٩) يقول ادريس (ن) ٦٣/١ : ان احمد بن عمران بن الفضل اليامي خرج ومعه اخوه

وفي قتل القاضي عمران بن الفضل اليامى ، قال الشريف يحيى بن حمزة مفتخرا من شعر مطلعه [١٠] :

ابلغ نزارا حيث حـــل نـزار

ومنهـا : ونجا الحجازى الرئيس بطعنـة

نجلا لها تحت القميص خـوار [١١]

٤ ـ لما توفى السلطان سبا بن أحمد الصليحى سنة احـدى وتسعين واربعمائة (١٠٩٨) ، خرجت صنعاء واعمالها عن مملكـــة الصليحيين ، وارتفعت ايديهم عنها ، ولم يبق لاحد منهم فيها ذكـــر ، فاستولى على صنعاء واعمالها يومئذ السلطان حاتم بن الغشيم المغلسـي الهمداني ، وكان ناهضا كافيا [١٢] ، ولم تحاول الملكة الحرة اروى بنت احمد اعادة صنعاء الى مملكتها ، وظلت صنعاء فى ايدي بنى حاتم حتـى استولى عليها الامام المتوكل احمد بن سليمان سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٨ م) في ايام السلطان حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامى الهمدانى . ويقول في ذلك صاحب انباء الزمن « ان الامام توجه سنة ٥٤٥ هـ الـى الجوف ، واستقر بالخارد . وفي خلال ذلك سعى السلطان حاتم في قتل محمد بن عليان احد انصار الامام ، على يد رجل من يام ، فقتل فيسوق (بهان) بنهم ، وتقدم لحرب الامام ، فحال بينه وبين الوصول اليـه أهل تلك البلاد المتوسطة بينهما . ثم وصل الى الامام كثير من القبائل يطلبون منه التقدم الى جهة (صنعاء) . فسار حتى وصل (بيت بوس) واستقر بها ، وأقبل اليه بنو شهاب واهل حضور . وفي ذات يوم احتاج الى ورق وصابون ، فأرسل احد رسله الى صنعاء خفية ليشترى لـــه

الحسين يطلبان بثأر ابيهما فنزلا تهامة ونزلا على الامام فقتلاه انتقاما لقتل ابيهما وقد ايد هذا الخبر يحيى بن الحسين صاحب الانباء / دار ٤٢

(١٠) ادريس (ع) ١٣٣/٧ ، عمارة / كاى ٣٣ ـ ٣٤

(١١) ادريس (ع) ١٣٣/٧

(١٢) الخزرجى كفاية ٥٩

ذلك ، فعلم السلطان حاتم بذلك فاستدعى الرسول ، وسأله عن الامام ، وسلمه كتابا اليه فيه هذان البيتان :

ابى الورق الطلحى تأخذ ارضنا ولم تشتجر تحت العجاج رماح
وتأخذ (صنعاء) وهي كرسي ملكنا ونحن باطراف البلاد شحاح

فلما وقف الامام على ذلك قال : نعم نأخذها ان شاء الله ، ثم نهض من ساعته لمناجزة حاتم القتال ووقع بينهما حرب شديد حول صنعاء ، ومال اهل السرار (وسط صنعاء) الى جانب الامام ، فأثاروا الفتنة على همدان ، حتى عجزوا عن المقاومة فاضطر السلطان الى طلب الامان لنفسه وانشد يقول :

غلبنا بنى حواء بأسا وشدة ولكننا لم نستطع غلب الدهر
فلا لوم فيما لا يطاق وانما يلام الفتى فيما يطاق من الامر

ثم خرج الى الامام فاعلن طاعته ، وانصرف بعد ذلك الى المنظرة (الروضة) ، ثم سعى بعض المغرضين بينه وبين الامام حتى بدأ الخلاف من جديد ، وناصرته همدان فى معركة الرحبة — شمالى صنعاء — ودخل حاتم صنعاء لان الامام كان خارجها ، فأسرع بالعودة ودارت بينهما معركة (القليس) ، حيث هزم فيها الامام فتوجه الى صعدة سنة ٥٤٦ هـ ، ثم عاد سنة ٥٥٠ هـ حيث تمكن من احتلال صنعاء بعد معارك حاسمة بينه وبين حاتم في (نجد الشرزة) و (نجد شيعان) بهمدان ، أسفرت عن هزيمة حاتم واصحابه فانسحب الى براش (جنوب شرقي صنعاء) ، ودخل الامام صنعاء فأمر بهدم الدرب التي كان حاتم قد بناها في غمدان .

٥ — وبعد وفاة السلطان حاتم سنة ٥٥٦ هـ (١١٦٢ م) خلفه ابنه علي بن حاتم ، بعد ان بايعه همدان واقام بحصنه (ضهر) بعض الوقت،

فلما ثارت ضده بصنعاء بعض القبائل من همدان بزعامة رجل من آل القيب يدعى علي بن محمد بن حماس ، اتجه اليهم ومعه جمع كبير من القبائل ، فأخمد ثورتهم وسيطر على الدرب ، وكان اخوه عمران — وهو غلام صغير — يطارد الثوار في شوارع صنعاء ، فأصابه سهم مات منه ، فخافت همدان من بطش السلطان علي ، ولكنه قابلهم بالصفح ، ووهب لهم دم أخيه وعفا عنهم ، تأليفا لهم وتسكينا لجزعهم ..

وفي سنة ٥٦٩ نهض الى اليمن الاسفل لقمع حركة عبدالنبى بن مهدى الذى كان قد دوخ تلك الجهات واذل سلاطين آل زريع ، بعد از قدم اليه بصنعاء السلطان حاتم بن علي بن سبا الزريعى صاحب عدن يستنجده . فتمكن بقوة وحزم من احتلال جميع مواقع عبدالنبى فى الجند واب وتعز ، بعد ان هزم جنده شر هزيمة . واضطر عبدالنبى الى الفرار نحو زبيد .

وفي سنة ٥٧٠ هـ كان السلطان توران شاه الايوبى قد وصل الى ذمار واوقع بقبيلة جنب ، فرأى السلطان علي بن حاتم ، انه لا طاقة له بالمقاومة ، فشحن معداته وذخائره الى حصن (براش) . وانتقل اليه بعد ان هدم سور صنعاء ، كما انتقل اخوه بشر بن حاتم الى حصن (عزان) . وبعدها دخل توران شاه صنعاء في نفس العام .

وبعد مغادرة توران شاه اليمن ، رجع السلطان علي بن حاتم فاحتل صنعاء ، ثم خرج منها سنة ٥٨٣ هـ عندما علم بقدوم طغتكين ، وكتب اليه يصالحه على ثمانية الف دينار حاتمية يدفعها كل عام . ولكن هذا الصلح لم يدم ، ونهض طغتكين لمحاصرة علي بن حاتم فى (ذمرمر) حيث دام الحصار اربع سنوات حتى مل طغتكين وجنح الى الصلح . واخيرا دخل السلطان علي بن حاتم تحت طاعة الامام المنصور عبدالله بن حمزة ، واصبح في مقدمة اعوانه ومناصريه (١٣) .

---

(١٣) شرف ٢١٠ — ٢١٢

حادي عشر ـ دولة بنـى مهـدى [1]

٥٥٣ ـ ٥٦٩ هـ

١١٥٨ ـ ١١٧٤ هـ

١ ـ ابو الحسن علي بن مهدي بن محمد بن علي بن داود بن محمد بن عبدالله بن محمد [2] بن أحمد بن عبدالقادر بن عبدالله بن الاغلب بن ابى الفوارس بن ميمون الحميري الرعيني ت/٥٥٤هـ

٢ ـ مهدي بن علي ت/٥٥٨هـ

٣ ـ عبدالنبى بن علي خلع سنة٥٦٩ [3]

اهم الاحداث في عهد هذه الدولة :

١ ـ تنسب هذه الدولة الى ابى الحسن علي بن محمد بن علي ابن داود بن محمد بن عبدالله بن محمد بن أحمد بن عبدالقادر بن عبدالله ابن الاغلب بن ابى الفوارس بن ميمون الحميرى الرعينى ... من قبيلة حمير ومن عشيرة رعين [4] . كان أبوه رجلا صالحا ، سليم القلب ، ونشأ ولده علي بن مهدى هذا على طريقة ابيه في العزلة والتمسك بالعبادة والصلاح [5] . ويقول الجندي : « كان رقيق القلب ، قريب

---

(١) زامباور / المترجم ١/١٨٢

(٢) ابن خلدون ١/٢٢٠

(٣) هزمه وعزله المعظم توران شاه الايوبى

(٤) عمارة / حسن ٢٦٤

(٥) نفسه ١٢٠

الدمعة غزيرها » • ويقول ابن خلدون : « وكان حافظا فصيحا ، ويخبر بحوادث اخباره فيصدق ، فمال اليه الناس واغتبطوا به ••• »

٢ ــ صار يتردد على الحج من سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ، ويعود الى بلده (العنبرة) من سواحل زبيد ، فيعظ الناس ويحذرهم من صحبة العسكر (الملوك وحواشيهم) • واخذ نفوذه يمتد الى قرى : واسط والقضيب والاهواب والمعتقى وساحل الغارة •

٣ ــ ولما تولت الحرة ام فاتك على بني جياش ، أيام ابنها فاتك بن منصور ، أحسنت في ابن مهدى هذا المعتقد ، واطلقت له ولقرابته واصهاره ، ثم لمن يلوذ به خراج املاكهم حتى عام ٥٣٦ هـ ، فحسنت أحوالهم واثروا وركبوا الخيول • فكانوا كما قال المتنبى :

فكأنما نتجت قياما تحتهم وكأنهم ولدوا على صهواتها

واقام ابن مهدي يشتغل في املاكه عدة سنين ، واجتمع له من ذلك اموالا طائلة •• وكان يقول في وعظه : « ايها الناس ، دنا الوقت ، وازف الامر ، وكأنكم بما اقول لكم ، وقد رأيتموه عيانا ••• »

وقد اورد الجندى الخطبة التالية التي القاها ابن مهدي على اتباعه : « والله ما جعل فناء الحبشة الا بى وبكم ، وعما قليل ــ ان شاء الله ــ سوف تعلمون والله العظيم ، رب موسى وابراهيم ، ، انى عليهم ريح عاد ، وصيحة ثمود ، وانى احدثكم فلا اكذبكم ، واعدكم فلا اخلفكم ، ولئن كنتم اصبحتم اليوم قليلا لتكثرن ، او وضعا لتشرفن ، او اذلاء لتعزن ، حتى تصيروا مثلا في العرب والعجم • ليجزى الله الذين اساءوا بما عملوا ، ويجزي الذين احسنوا بالحسنى » فالاناة الاناة ، فوحق الله العظيم على كل مؤمن موحد ، لاخدمنكم بنات الحبشة واخوانهم ، ولاخولنكم اموالهم واولادهم ، ثم قرأ قوله

تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ... الى قوله .. آمنا » [٦] .

٤ ـ لما حالفه اهل الجبال على النصرة ، خرج سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، وقصد الكدراء ، فانهزم ، وعاد الى الجبال ، واقام بها حتى سنة احدى واربعين وخمسمائة . ثم اعادته الحرة ام فاتك الى وطنه . ولما توفت سنة خمس واربعين وخمسمائة ، زاد اتباعه زيادة كبيرة ، فبايعه اهل قرية قضيب [٧] عام ٥٤٦ هـ ، ثم خرج الى خولان ونزل على حصن الشرف [٨] لآل حيوان ، وهو حصن صعب المرتقى على مسيرة يوم من سفح الجبل . وسمى آل حيوان بالانصار ، كما سمى كل من صعد معه من تهامة بالمهاجرين .

٥ ـ ثم ساءت ظنونه بمن حوله من اتباعه ، فأقام للانصار رجلا من خولان يسمى سبأ بن يوسف ، وكناه بشيخ الاسلام . واقام للمهاجرين رجلا آخر من العمرانيين يسمى النوبى ، ونعته ايضا بشيخ الاسلام ، وجعلهما نقيبين على الطائفتين فلا يخاطبه من اتباعه ، ولا يصل اليه سواهما ، وربما احتجب فلا يرى ...

٦ ـ ومن اهم حروبه ، انه جعل يشن الغارات على تهامة ، حتى اخرب الحدود المصاخبة للجبال ، والحبشة يومئذ تبعث بالاموال في المراكز بدون جدوى ، ذلك لان حصن الشرف ، الذي كان يعتصم به ابن مهدى ، حصن منيع ، بنفسه وبكثرة خولان ، ولان الوصول الى حصن الشرف يقتضي المرور في وادي ضيق بين جبلين ، مسافة يوم كامل او بعض يوم . فاذا وصل الى اصل الجبل ، احتاج في طلوع النقيل [٩] ، الى نصف يوم حتى يقطع العقبة . ويقول عمارة [١٠] : لقد

---

(٦) عمارة / حسن ٢٦٥

(٧) من ارض قيس عيلان (ياقوت ١١٨/٧)

(٨) وهو من الحصون الواقعة على جبل وصاب (ياقوت ٤٢٥/٨)

(٩) ابن خلدون / حسن ١٤٧

(١٠) عمارة / حسن ١٢٦ ـ ١٢٧

لقبت علي بن مهدى هذا عند الداعى محمد بن سبا ، صاحب عدن ، بمدينة ذى جبلة سنة تسع واربعين وخسمائة ، يستنجده علىأهل زبيد، فلم يجبه الداعى الى ذلك ، فعاد ابن مهدي الى حصن الشرف ، واعمل الحيلة في قتل القائد سرورالفاتكى ـ مدبر دولة بني نجاح ـ فقتل في رجب سنة احدى وخمسين وخسمائة • وكان مما اعان ابن مهدى على أهل زبيد انشغال رؤسائها بالتنافس والتحاسد على رتبة القائد سرور ، وفتح على اهل الدولة بعده ، ابواب الشر المسدودة وانحل عقدها المشدود • وفارق ابن مهدي حصن الشرف وهبط الى الداشر (بينه وبين زبيد أقل من نصف يوم) ، ثم مالبث ان زحف حتى باب المدينة في عوالم لا تحصى ••• ويستمر عمارة فيقول : « حدثنى غير واحد من أهل اليمن ، ممن ادرك الحصار بزبيد فقالوا : لم تصبر امة علىالحصار والقتال ، ما صبر عليه أهل زبيد ، وذلك انهم قاتلوا ابن مهدى اثنين وسبعين زحفا ، يقتل منهم من يقتل ، ونالهم الجوع ، حتى أكلوا الميتة من شدة الجهد والبلاء • ثم استنجدوا بالشريف الزيدى ثم الرسي أحمد بن سليان الهروى ـ صاحب صعدة فأنجدهم طمعا في الملك ، وشرطوا له ان يسلكوه عليهم • فقال الشريف : « ان تقتلوا مولاكم فاتكا ، حلفت لكم » ، فوثب عبيد فاتك بن جياش عليه فقتلوه سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة • ثم عجز الشريف عن نصرتهم وجرت بينهم ـ بعد ذلك ـ وبين ابن مهدى مصافات •• الى ان تمكن من فتح المدينة ، واستقر بدار الملك في يوم الجمعة الرابع عشر من رجب سنة اربع وخمسين وخمسمائة ، واقام ابن مهدى بقية رجب وشعبان ورمضان ، ومات فى شهر شوال من نفس السنة • فكانت مدة ملكه شهرين وواحد عشرين يوما » •

٧ ـ يقول ابن خلدون : « وكان يخطب له بالامام المهدى ، امير المؤمنين ، وقاطع الكفرة المعتدين ، وكان على رأي الخوارج ، يبدأ من علي وعثمان ، ويكفر بالذنوب وله قواعد ونواميس في مذهبة يطول ذكرها ، وكان يقتل على شرب الخمر ... »

ويقول عمارة (٢) : « اما اعتقاد اصحابه فيه ، فهو فوق ما يعتقد الناس في الانبياء واذا غضب على رجل من اكابرهم ، حبس نفسه في الشمس ، ولم يطعم ولم يشرب ، ولم يصل اليه ولده ولا زوجته ، ولا يقدر احد ان يشفع له ...

ومن طاعتهم له ان كل واحد منهم يحمل ماتغزله زوجته وبناته الى بيت المال ، ويكون ابن مهدى هو المسؤول عن الكسوة ... وليس لاحد من العسكر فرس يملكه ولا عدة ولا سلاح ولا غيرها ، بل الخيل في اسطبلاته ، والسلاح في خزائنه ، فاذا عن له أمر من الامور دفع لهم من الخيل والعدة ما يحتاجون اليه ... » ان المنهزم من عسكره تضرب رقبته ... ويقتل شارب الخمر . ومن يسمع الغناء ، ومن يزنى ، كما يقتل من يتأخر عن صلاة الجمعة ؛ او من يتأخر عن مجالس وعظه في يومي الخميس والاثنين من كل اسبوع ، او من يتأخر فيهما عن زيارة قبر ابيه .. وهذه الرسوم ، انما هي للعسكرية ، واما الرعايا فالامر فيهم ألطف » .

٨ ـ ويقول الخزرجي (١١) : لما توفى علي بن مهدي ، دفن في زبيد ، فى موضع كان قد اختاره لنفسه ، وعرف المسجد الذى بنى فوقه (فوق قبره) باسم المشهد ، وكان يقع مقابلا للمدرسةالمعروفة بالمائلين (الميلين او الميلون) . وكانت منارة المسجد لاتزال قائمة في ايام الجندى (المتوفى سنة ٧٣٢ هـ) ، ولكن هذا المسجد حول الى مربط

---

(١١) عمارة / حسن ٢٦٩ حاشية (١٠١)

لنخيل استخدمه احد ملوك الترك فيما بعد ...

وفي عهد السلطان اشرف اسماعيل (٧٧٨ ـ ٨٠٣ هـ) من ملـوك الدولة الرسولية وضع اساس مدرسة في موقع قبر ابن مهدى ، ولكنـه عدل عن نية بنائها ، وتحولت البقعة الى مناخ تنيخ به ابل السـلطان ، وظلت تستخدم لهذا الغرض مدة طويلة .

٩ ـ انتقل الملك بعده الى ولده عبدالنبى ، ولكن اخاه عبدالله خلعه ، وتولى مكانه . وما لبث عبدالنبى ان عاد اليه الملك ثانية بعـد ان غلب على عبدالله واستولى على اليمن اجمع . فاجتمع لعبدالنبى هذا ملك الجبال والتهائم ، وانتقل اليه ملك جميع الملوك وذخائرهـم ، وحصل في خزائنه ملك خمس وعشرين دولة من دول اليمن منها : اموال أهل زبيد من ملوك وعبيد آل نجاح ، وكذلك معاقل من بقى مـن آل الصليحى ، كما انتقل اليه ملك بنى سليمان من الاشراف ، وملـك بنى وائل سلاطين وحاظة ، وكل معقل منها له أعمال واسعة ، ومعاقـل الداعى عمران بن محمد وهي حصون : سامع ومطران ، كما انتقل اليه حصن السمدان بعد التعكر وحب .... ولم يمتنع عليه من كل اليمن الا عدن ، فلما حاصرها عام ٥٦٨ هـ تقدم سلطانها حاتم بن علي ابـن الداعى سبا بن ابى السعود ، نحو صنعاء ، وطلب النجدة من علي بـن حاتم سلطان همدان . وقد لبى علي بن حاتم الدعوة لانه كان كالزريعيين (سلاطين عدن) من عشيرة يام ، ولكن السلطان علي بن حاتم اشـترط بأن تؤيده قبيلتا جنب [١٢] ومذحج [١٣] . ومضى حاتم الى ذمـار ، ونال وعودا من السلطان عبدالله بن يحيى ومن الشيخ زيد بن عمـر ـ رئيسا القبيلتين ـ بالانضمام لهذا التحالف . ولذلك سار علي بـن حاتم من صنعاء في شهر صفر سنة ٥٦٩ هـ على رأس جيش من بنـى

---

(١٢) ياقوت ١٤٥/٣

(١٣) النويرى ٣٠١/٢

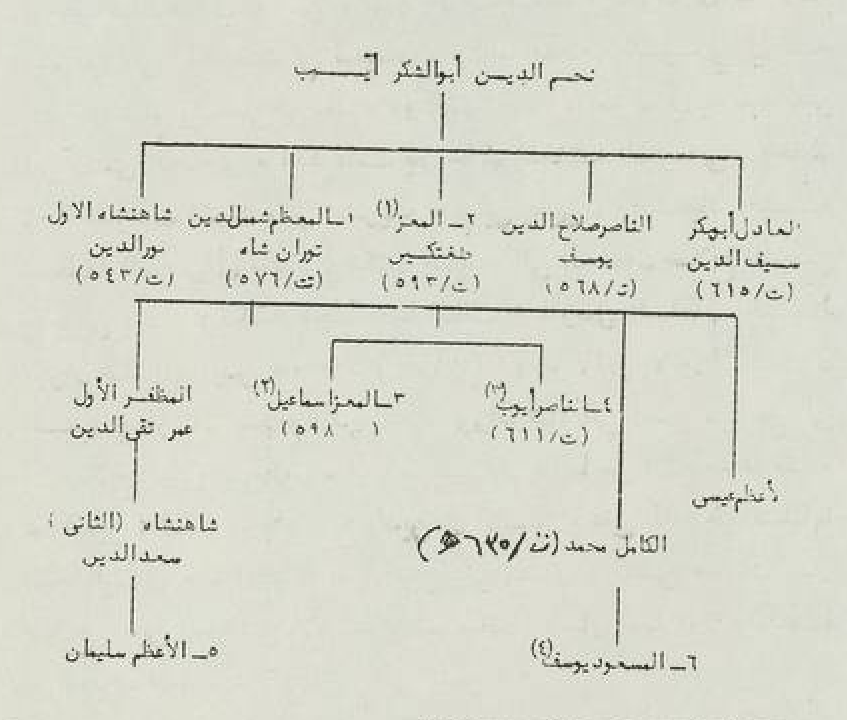
همدان تصحبهم قبائل سنحان وشهاب ونهد وغيرها (١٤)• وحشد العرب قواهم فى منطقة السحول ، وهاجموا جيش عبدالنبى حتى هزموه هزيمة منكرة قرب اب ، ثم تقدم الحلفاء الى ذى جبلة ثم الى الجند ، وكـان العدو قد ترك هذين الموضعين ، ثم تم هجوم العرب مرة اخرى علـى جيش عبدالنبى في ذى عدينة ـ قرب تعز ـ حيث شتتوا شـمله • وتتيجة لذلك رفع الحصار عن عدن ، وانسحب جيش عبدالنبى مـن الزعازع • وكان علي بن حاتم يرغب في مطاردة العدو في ارض تهامة ، ولكن حليفيه من قبيلتى جنب ومذحج ، أبوا متابعته ، فرجع الـى صنعـاء •

اما عبدالنبى فقد عاد الى زبيد ، حيث علم بان توران شـاه الايوبى قد وصل الى محل ابى تراب (١٥) ، وان الشريف قاسم بن غانم ابن يحيى بن حمزة بن وهاس قد تحالف مع الغزاة • وزحف الحلفاء من هذا المكان ، في نهاية رمضان سنة ٥٦٩ هـ • وفي السابع من شهر شوال وصلا الى زبيد ، وقد امتلكوها في فجر التاسع من نفس الشهر • وقـد نهبت المدينة ، وأسر عبدالنبى واخواه وبدأ الشريف يستعد للعودة الى بلاده فى السادس عشر من شوال ، وبقى توران شاه في زبيد حتى نهاية الشهر التالي (ذى القعدة) ، ثم زحف على تعز التي سلمت له بـدون مقاومة ، ثم ملك الجند ، ومنها الى عدن ففتحها عنوة في العشرين مـن الشهر حيث استباحها لجنوده •••

وفي السابع من شهر رجب سنة ٥٧٠ هـ ، قتل عبدالنبى واخويه احمد ويحيى ، وهكذا زالت دولة بني مهدي في اليمن •

(١٤) الهمدانى (ص) ٩٢

ثانى عشر ــ دولة بني ايوب في اليمن
٥٦٩ ــ ٦٢٦ هـ
١١٧٤ ــ ١٢٢٦ م



---

(١) سكن صنعاء اولا وبنى سورها . واليه ينسب بستان السلطان ، ثم انتقل الى تعز وجعلها عاصمة البلاد ، وانتشر نفوذه الى حضرموت وعدن ، وبنى مدينة المنصورة حيث مات فيها .

(٢) بنى مدرسة الميلين بزبيد ، ومدرسة بتعز على قبر والده ، ووقف لها واد بالضباب (بالقرب من تعز) . وقبره في قبة الخليفة شرقي تعز .

(٣) قتل مسموما من قبل أحد عماله على (الجند) . ونقل جثمانه الى تعز ، بعد وصول المسعود من (زبيد) ، ودفن في شمالي المدينة ، حيث اقيمت قبة على قبره .

(٤) توفى بمصر .

اهم الاحـــداث في عهدهم :

لما قامت الدولة الايوبية [٥] في مصر ، قامت المنازعات بين حكـام اليمن • فكانت عدن ومخلاف الجند في يد بني زريع ، وكانت صنعاء وبعض مخاليفها في يد بنى حاتم ، وكانت صعدة والجوف فى يد الامام المتوكل على الله احمد بن سليمان ، وكان المخلاف السليماني في يـد الشريف غانم بن يحيى بن حمزة ، وكانت زبيد وما حولها في يد عبدالنبى ابن مهدى الحميري • وقد قامت بين حاكم المخلاف السليمانى ، وحاكم زبيد منازعات انتهت بقتل الشريف غانم بن يحيى ، واستنجاد اخيـه بالخليفة العباسي في بغداد ، فكتب الخليفة الى السلطان صلاح الديـن الايوبى بمصر ، يكلفه باجابة هذا الطلب • فأرسل السلطان اخـاه توران شاه الى اليمن عام ٥٦٩ (١١٧٣) ، ويقول ابن الاثير [٦] : « ان السبب في ارسال صلاح الدين اخاه توران شاه الى اليمن ، يرجع الى ان صلاح الدين ـ عندما ملك مصر ـ كان خائفا من ان يأخذها منـه نور الدين ، لذلك فكر صلاح الدين في الاستيلاء على بلد آخر يستلكها ليلجأ اليها فى حالة استيلاء نور الدين على مصر ، واقتضى هذا ان يسير صلاح الدين اخاه الى بلاد النوبة ليمتلكها ، وسار اليها فعلا ولكنهـا لم تعجبه ، فسيره صلاح الدين الى اليمن » •

وهذا الرأي انفرد به ابن الاثير ، وهو متهم في كثير مما كتبه عن العلاقة بين صلاح الدين ونور الدين ، وربما يكون سبب ذلك هو ان ابن الاثير ، اصله موصلى من موطن نور الدين ، ثم ان ابن الاثير نفسه يقول [٧] : « ان توران شاه استأذن نور الدين في ان يسير الى اليمـن لقصد عبدالنبى صاحب زبيد ، الذى قطع الخطبة لبنى العباس ، فأذن

---

(٥) قامت الدولة الايوبية بمصر على يد صلاح الدين الايوبى بعد ان اسقط الدولـة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) •

(٦) ابن الاثير ١١/١٤٨

(٧) نفـــــه •

له بذلك . اما با مخرمة [٨] فيقول : « ان السبب في توجيه جيش توران شاه الى اليمن ، هو استغاثة بعض امراء اليمن بالخليفة العباسي ، فكتب هذا الى صلاح الدين يطلب منه ارسال جيش الى اليمن ، لقتال ابن مهدى [٩] » . اما ابن واصل فيقول [١٠] : « لما ملك علي بن مهدى زبيد ، وقطع خطبة بني العباس ، وخطب لنفسه ، استأذن صلاح الدين ، نور الدين ، ان يسير عسكرا الى اليمن ، فأذن له بذلك » .

وكان في مصر في هذا الوقت الشاعر الفقيه عمارة اليمنى ، فحسن للملك المعظم ، قصد اليمن ، ووصف بلادها له ، وعظمها في عينيه ، فزاده ذلك رغبة فيها ، فشرع يتجهز ويعد العدة والرايات والسلاح في ويجمع الاجناد ، ويحشد الحشود ...

وكان لعمارة اليمنى مدائح فى الملك المعظم توران شاه ، امتدحه بها ، وحرضه فيها على ملك اليمن ، منها قصيدة طويلة جاء فيها :

العلم مذ كان محتاج الى العلم ... وشفرة السيف تستغنى عن الظلم [١١]

ومنها :

ترى مسامع فخر الدين تسمع ما ... أملاه خاطر افكارى على قلمى

فاذا اصبت فلى حظ المصيب وان ... أخطأت قصدك فاعذرنى ولا تلم

كم تترك البيض في الاجفان ظامئة ... الى الموارد في الاعناق والقمم

ومقلة الجد نحو العزم شاخصة ... فاترك قعودك عند ادراكها وقم

---

(٨) با مخرمة ١/١٢٧

(٩) بنو مهدى حكموا زبيد بين سنتى (٥٥٤ ـ ٥٦٩ هـ)

(١٠) ابن واصل ١/٢٣٨

(١١) ابو شامة ١/٢١٦ ، عمارة / شالون ٣٥٢

فعمك الملك المنصور سـومهـا   من العراق الـى مصر بـلا سأم
امامك الفتح من شام ومن يـمـن   فلا ترد رؤوس الخيل باللجـم
فاخلق لنفسك ملكا لا تضاف به   الى سواك ، وأور النار في القلم
وانه المشيرين ان لجت نصيحتهم   أولا فانعم على العميان بالصـم
واعظم وصمم فقد طالت وقد شمخت   قضية لفظتها ألسـن الامـم
طـال التردد في ابرام منتقض   في هذه الحال ، او في نقض منبرم

ومنهـا :

فرب أمر يخاف الناس غايتـه   والامر اهون فيه من يد لفـم
هذا ابن تومرت قد كانت بدايته   كما يقول الورى لحما على وضم
والغيث ، وهو كما قد قيل اوله   قطر ، ومنه خراب السد بالعـرم
والبدر يبدو هلالا ثم يكشف بال   أنورا ما سترته شملة الظلـم
تنمو قوى الشيء بالتدريج ان رزقت   لظى ، ويقوى شراء الزند بالضرم
حاسب ضميرك عن رأى اتاك وقل   نصيحة وردت من غير متهـم
أقسمت ما انت ممن جل همتـه   ما راق من نعم ، او رق من نغم
وانما انت مرجـو لـواحـدة   بنى بها الدهر مجدا غير منهـدم
كأنني بالليالي وهي هـاتفـة   مذ صم سمع الرجال دونها وعمى

وبالعلى كلما لاقتـك قائلـة   أهلا بنشر آمال من الرمم (١٢)

حملة توران شاه الايوبي على اليمن :

ومهما يكن من أمر الاسباب التي تم من اجلها غزو جيش صلاح الدين الى اليمن ، فانه بعد ان استعدت الحملة ، سار الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بجيشه من مصر في مستهل شهر رجب سنة ٥٦٩ هـ ، فوصل مكة (١٣) ، ومنها الى زبيد . فلما قرب منها ، قال عبدالنبى بن مهدى لاهل زبيد : « كأنكم بهؤلاء ، وقد حمى عليهم الحر فهلكوا ، وما هم الا أكلة رأس » (١٤) . فخرج اليهم بعسكره ، ودارت معركة بين الطرفين لم يثبت فيها عبدالنبى وجيشه ، بل انهزم ، واعتصم داخل مدينة زبيد ، فتقدم توران شاه بجيشه حتى اسوار مدينة زبيد، ونصبوا عليها السلالم ، وصعدوا السور ، ثم اقتحموا المدينة وملكوها عنوة ونهبوها . وأسروا عبدالنبي وزوجته المدعوة بالحرة .. ولاستخراج أموال عبدالنبى ، سلمه الملك المعظم ، الى الامير سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ . فتمكن هذا من استخلاص بعض المال . كما استخرج الأموال الطائلة التي كانت مدفونة في قبر علي بن مهدى، والد عبدالنبى، ودلتهم الحرة على ودائعها فأخذوا منها مالا كثيرا ...

وبعد ان خضعت زبيد لبنى ايوب ، اعيدت بها الخطبة للخليفة العباسي ، وسار بعدها توران شاه الى عدن ففتحها ، واراد الجند نهب المدينة ، لكن الملك المعظم قال لهم : « ما جئنا لتخريب البلاد ، وانما جئنا لنملكها ، ونعمرها ونتنفع بدخلها » .

(١٢) ابن واصل ٢٣٨/١ – ٢٤٠

(١٣) ابن واصل ٢٤١/١

(١٤) اى هم قليل يشبعهم رأس واحد

ولما دخلوا عدن كان معهم عبدالنبى بن مهدى (صاحب زبيـد) مأسورا فقال : « سبحان الله ، قد كنت اعلمت اني ادخل عدن ، فـي موكب عظيم ، فانا انتظر ذلك ، وأسر به ، ولم اكن اعلم انتى ادخلها على هـذه الحالة .. »

ولما انتهى الملك المعظم من فتح عدن ، عاد الى زبيد ، وحصر مافي البلاد من حصون فملك قلعة تعز ، وكانت في هذا الوقت من أحسـن القلاع ، وملك الجبل ، وغيرها من المعاقل والحصون . ولم يلبث توران شاه في اليمن أكثر من عام حتى كتب الى اخيه السلطان صلاح الدين ، مبديا شوقه اليه ، ورغبته فى العودة الى مصر ، وشفع الكتاب بقصيدة مطلعهـــا :

الشوق اولع بالقلوب واوجـع   فعـــلام ادفع منه مالا يدفع ؟

وحملت من وجد الاحبة والنوى   ما ليس يحملـه الاحبـة اجمع

والى صلاح الدين اشكو انتـى   مضنى اليـه ، مستهام ، موجع

ومنهـــا :

جزعا لبعد الدار منه ، ولم اكن   لولا هـواه لبعد دار اجـزع

فلأركبن اليـه متـن عزائـى   ويجد بى ركب الغـرام ويوضع

فأجاب عليه صلاح الدين بالابيات الآتيـة :

مولاى شمس الدولة الملك الذى   شمس السعادة من سناه تطلـع

مالى سواك فى الحـوادث ملجأ   مالى ســواك من النوائب مفزع

ولانت شمس الدين فخرى في الورى   وملاذ آمالى وركنى الامنـع

النصر اذا أقبلت نحـو مقبـل واليمن ان اسرعت نحوى مسرع

وقبل ان يغادر الملك المعظم توران شاه اليمن سنة ٥٧١ هـ ، ولى عليها نوابا من قبله هم : الامير سيف الدولة ابو الميمون مبارك بن كامل على زبيد ، واعمالها من التهائم ، وعثمان بن الزنجبيلى على عدن ومـا نواحيها ، وياقوت التعزى على تعز واعمالها ، ومظفر الدين قايماز علـى جباة ونواحيها ... لكن الامير سيف الدولة استأذن الملك المعظم في ان يعفيه من منصبه ، فوافق الملك على ذلك . ولكن ابـــن واصل [١٥] يقول : « لما كان سيف الدولة يرغب في العودة الى الشام مسقط رأسه ، أرسل الى المعظم بعد وصوله مصر ، واستأذنه في العودة بعد استنابة اخـاه (حطان) ، فأذن له المعظم ، فغادر سيف الدولة اليمن ومنها الى مصـــر .

حملة تفتكين على اليمن :

ولما توفى الملك المعظم في المحرم سنة ٥٧٦ هـ بثغر الاسكندرية ، بقى سيف الدولة في خدمة صلاح الدين [١٦] بمصر ...

ثم وقع خلاف بين حطان بن مبارك ــ والي زبيد ــ وبين عزالدين ابن عثمان الزنجبيلى ــ والى عدن ــ عندما بلغهما أمر وفاة الملك المعظم . وجرت بينهما فتن ، واشتد الامر فلما بلغ السلطان صلاح الدين الخبر ، خاف ان يؤدي هذا الخلاف ، الى ضياع اليمن فأرسل جيشـا بقيـادة مملوكه (قتلغ أبه) [١٧] ، ومعه بعض الامراء فاستولى هذا على زبيد ،

---

(١٥) ابـن واصل ١٠٤/٢

(١٦) قيل ان سيف الدولة أخذ اموال اليمن وادخرها ، فحقد عليه بعض اعدائـه ، فدبروا له مكيدة دخل بسببها السجن ولكنما لبث ان خرج منه بعد ما بذل للسلطان مبلغ ثمانين الف دينار (ابن واصل ١٠٤/٢)

(١٧) ابن الاثير ١٥٣/٩

بعد ان أزال حطان • ولكن هذا المملوك ، ما لبث ان توفي ، فعـــاد حطان الى امارته بزبيد ، واعانه الناس لجوده وشجاعته • [18]

وحرصا من السلطان صلاح الدين على استقرار الامن في اليمن ، والقضاء على الفتن فيها ، قرر ارسال أخاه سيف الاسلام المعز طغتكين اليهـا [19] • فسار طغتكين بجيشه الى اليمن سنة ثمان وسـبعين وخمسمائة • فلما وصل زبيد ملكها ، وأمن حطان وطيب قلبه ، ثم سمح له بالمسير الى الشام ، ولكن بعد ما صادر كل أمواله التي بلغت حوالي ألف ألف دينار •••

أما عز الدين الزنجبيلى ، فعندما سمع بان سيف الاسلام طغتكين في طريقه الى اليمن ، جمع أمواله وسير معظمها عن طريق البحر الـــى الشام ، ولكنها وقعت في أيدي رجال سيف الاسلام ، فاستولوا عليها • ولم يبق لعز الدين الا ما صحبه فى طريقه البرى الى الشام • وبقى هناك حتى وافته المنيـــة •

كما استعاد المقاطعات التي كان بنو حاتم قد اعادوا احتلالهـــا كحصن (كوكبان) و (العروس) و (ذمرمر) وكلها حصون منيعـة ومهمـــة •••

وكان طغتكين عالما يحب العلماء ، ويحترمهم ويبالغ في اكرامهم • وهو الذي اختط مدينة المنصورة على بعد ١٢ كم شمالى الجند ، وبنى بها قصرا فاخرا ، ولا يوجد الآن منها الا بعض الآثار •

ويقول المؤرخون : انه في اواخر ايامه قرر امتلاك الاراضي بصفة عامة وتدوينها في سجلات الدولة وشرع في تنفيذ ذلك ، وبينما كـــان

---

(١٨) ابو شامة ١٢٦/٢ يقول ان اسمه (صارم الدين خطلبا)

(١٩) يقول ابو شامة ٢٦/٢ : « وكانت نفس طغتكين تشرئب الى اليمن بعد موت اخيـه شمس الدولة ويشتهى ان يسير اليها فأمر ابن سعدان الحلبى ، ان يعمل قصيدة ينوه فيها بانقاذ سيف الاسلام الى اليمن ، فعمل القصيدة ، التي لما سمعهـــا السلطان ، اذن لسيف الاسلام بالمسير الى اليمن » .

مندوبوه يطوفون بالبلاد لحصر الاراضي وأثمانها ، شاع الخبر بموت طغتكين ، وقيل انه مات مسموما من قبل الشيخ علي بن محمد المعروف بـ (ابن المعلم)وكان من المقربين اليه . وقد نقل جثمانه ولده المسعود الى تعز حيث دفنه وعمر مدرسة بجانبه .

وصفت لسيف الاسلام نتيجة لذلك ، زبيد وعدن وما يتبعها من الحصون [٢٠] .

خلفاء طغتين على اليمن :

ولما توفي سيف الاسلام المعز طغتكين سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، خلفه ابنه اسماعيل . وبقي في الحكم حتى قتل سنة ٥٩٨ هـ ، فخلفه اخوه الناصر ، ونظرا لصغر سنه ، قام مملوكه (سنقر) بتدبير ملكه لمدة اربع سنوات . فلما توفي سنقر تزوجت ام الناصر ، بالامير غازي بن جبريل ، فقام هذا بتدبير المملكة ، الى ان قتل الناصر سنة ٩١١ هـ ، انفرد بالحكم حتى قتله جماعة من مماليكه ، فغلبت الناصر على زبيد ، حتى تزوجها الاعظم سليمان بن سعد الدين بن عمر بن ايوب ، فملك اليمن . ولكن لسوء سيرته ، ارسل الملك الكامل ابن العادل ، ابنه المسعود يوسف ، في جيش كبير ، فملك اليمن من سليمان ، وظل بها حتى كره المقام فيها فسار قاصدا الشام ، ولكن المنية عاجلته في الطريق ، فتوفي في مكة سنة ٦٢٠ هـ ، وهو آخر ملوك بني ايوب باليمن [٢١] .

ولعل ابرز ما يمكن استنتاجه واستخلاصه من فترة حكم الايوبيين

---

(٢٠) ابن واصل ٢/١٠٦ – ١٠٧

(٢١) راجع الجدول .

لليمن ، هو ان اليمن لعبت في هذه الفترة ، مع مصر والشام والجزيرة ، دورا هاما في الجهاد الصليبى ، في عهد السلطان صلاح الدين وخلفائه ، ضد القوى التي تجمعت لبسط نفوذها على الشرق والغرب • وبفضل تضافر القوى العربية مجتمعة ، ضد العدوان الصليبى ، وبفضل اتحاد الكلمة وتوحيد الجهود ، والبعد عن الحزازات الشخصية تمكن العرب من طرد الصليبيين نهائيا من مشرقنا العربى • وما احوجنا هذه الايام ، الى توحيد كلمتنا وقوتنا ، حتى تتمكن من تطهير عالمنا العربي ، من النفوذ الصهيوني والاستعماري ، ونعيد فلسطين الى اهلها ، ونمحى العار الذي لحقنا عام ١٩٦٧ •

ثالث عشر ـ دولـة بني رسـول

٦٢٦ ـ ٨٥٨ هـ

١٢٢٩ ـ ١٤٥٤ م

١ ـ ينسب آل رسول الى محمد بن هـارون ـ احـد وزراء الايوبيين بمصر ـ وكان مقربا من الخليفة العباسي فأوفده رسولا الـى مصر والشام في عدة مناسبات ولهذا اطلق عليه اسم (رسول) ...

٢ ـ ويعتبر المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسـول ، اول سلاطين بني رسول باليمن ومؤسس دولتهم بتعز . وقد بدأ المنصور في العمل على تمهيد الملك لنفسه باليمن عندما كان مشرفا على السـكة والخطبة بها بعد ما انابه السلطان المسعود يوسف بن الكامل الايوبي ، عندما توجه الى مصر سنة ٦١٥ هـ . فأخذ يتدخل في تعيين الاشخاص الذين يرتضيهم فى الاماكن الحساسة والحصون ، واخذ يتقرب مـن الشعب ، ولا يخفى اذ طلاب السلطة ير اعون دائما جانب العامة ، وهم السواد الاعظم في كل مجتمع ، فيعملون لهم كل حساب . ويتقربـون اليهم بما يرضيهم .

ولما كان المنصور من طلاب السلطة المطلقة ، وجد انه لايمكنه ان يستغنى عن العامة ، لانهم السوادالاعظم في الرعية ، وبهم تجبى الاموال ومنهم يتألف الجنود ، ومن استطاع كسب ثقتهموجذب قلوبهم، ملكوه، ولا يجتذب قلوب العامة ـ في تلك العصور ـ مثل الدين . فـاذا اجتمعت السياسة والعدالة تحت وسائط السلطة ، وتولى امور النـاس اقدرهم على استرضاء العامة .

فهم المنصور هذا كله ، ولا غرو فان آماله ودأبه على تحقيق هذه الآمال كفيلة بنجاحه ووصوله الى تحقيق اغراضه ...

فلما بلغه وفاة المسعود الايوبي في مصر سنة ٦٢٦ هـ تظاهر اولا بالولاء لبنى ايوب ثم استقل بالامر [١]، وضرب السكة باسمه، لانها مظهر من مظاهر سيادة الدولة ، وجعل الخطبة باسمه ، بعد ان اعلن نفسه سلطانا على البلاد وتلقب (بالمنصور) ، بعد ان استمد النيابة من الخليفة المستنصر بالله العباسي (٦٢٣ ـ ٦٤٠ هـ) ، وخضعت له بلاد تعز واب وصنعاء وبعض المقاطعات الشمالية .

وقد قام بحروب طويلة مع الامام المهدي أحمد بن الحسين (ابو الطير) ـ (٦٤٦ ـ ٦٥٦ هـ) في عدة اماكن في اليمن منها معركة (الحصبان) فى المهجر ومعركة (شوابة) ...

ويقول الجندي : « وكان المنصور من اهل الحزم والعزم، دانت له البلاد والعباد وادرك في نفسه المراد ، وانتشر نفوذه الى مكة ، وقام بضبط الحرمين الشريفين ضبطا مرضيا ، وله بهما آثار جليلة ومحاسن عظيمة .. »

ومن مآثره في اليمن : مدرستان بتعز هما : الوزيرية والعزابية ، وثلاث مدارس بزبيد ، ومدرسة بالجند ، واخرى بعدن . هذه المدارس الكثيرة التي بناها بتهامة اوقف عليها الاوقاف ..

وقتل المنصور غيلة سنة ٤٦٧ هـ (١٢٤٩ م) بالجند على يد بنى ناجى أهل (المخادر) حيث قاموا ضده بثورة ، احتلوا بعدها مدينة زبيد .

٣ ـ خلفه ابنه المظفر يوسف ، وكان هذا عند وفاة ابيه المنصور مقيما بالمهجم بتهامة ، فاتجه الى زبيد حيث كسر شوكة اسرة بني ناجى ، وانتقم منها لمقتل أبيه . ولم يزل يستفتح البلاد ، حتى دانت له كل اليمن . وفي سنة ٦٤٩ هـ قدم من مصر عماه : بدر الدين وفخر الدين فأودعهما في سجن (دار الادب) في تعز . وحين ادخلوا باب الحصن

---

(١) المقريزى : ٢٣٧/١ ، الخزرجى : العقود ٤٦/١

قال بدر الدين : « قبحك الله قلعة ، خرجنا منك مقيدين ، وعدناك مقيدين » • وكان قد فر منها في أيام المنصور عمر • ثم تمثل يقول :

اقول كما يقول حمار سوء	وقد ساموه حملا لا يطيق
سأصبر ، والامور لها اتساع	كما ان الامور لها مضيق
فاما ان اموت او المكارى	واما ان تنقضي عنى الطريق

ولما قام عمه اسد الدين بن رسول بمعارضته ، قبض عليه واعتقله هو الآخر ، (بدار الادب) ، فلبث به مدة ، ثم اعلن طاعته وحسنت سيرته فأفرج عنه ، فسكن قرية الخبالى بضاحية تعز ، وبقى فيها حتى توفى سنة ٦٧٧ هـ فدفن فيها • وفى سنة ٦٦٨ هـ ثارت عليه قبائل خدير ابن سلمة ،فأوقعبهم المظفر ، بعد ان نهبوا سوق السبت واستولوا على قافلة له كانت قد وصلتعدن •

دخل في حروب مع أئمة الزيدية ، فتحارب مع الامام المهدي أحمد ابن الحسين ، ثم مع الامام يحيى بن محمد السراحي (٦٥٦ ــ ٦٦٠ هـ) • وقد تمكن سنجر الشعبى عامل المظفر من ان يسمل عينى الامام فعاش بعد ذلك مكفوفا الى ان مات ودفن بجانب مسجد الوشلى (بصنعاء) • وتمكن المظفر في سنة ٦٧٤ هـ من القبض على الامام ابراهيم بن تاج الدين (٦٧٠ ــ ٦٧٤ هـ) في قرية (بيت حنبص) من قرى ذمار ، وسجنه بتعز حتىمات ••

ومن مآثر المظفر انه رفع ضريبة (المعونة) التي كان والده قد فرضها على المزارعين علاوة على الخراج • وانه بنى جامعا بالمهجم وجامع (عدينة)بتعز ، وهو ما زال قائما الى اليوم تصلى فيه الجمعة •

٤ ــ توالى سلاطين آل رسول على الحكم كما هو واضح من القائمة التالية واستمروا يحكمون البلاد حتى سنة ٨٥٧ هـ (١٤٦٥ م) :

قائمة باسماء سلاطين بني رسول على اليمن

	الهجري	الميلادي
١ ـ المنصور عمر بن علي بن رسول	٦٢٦ ـ ٦٤٧	١٢٢٩ ـ ١٢٤٩
٢ ـ المظفر يوسف بن عمر	٦٤٧ ـ ٦٩٤	١٢٤٩ ـ ١٢٩٥
٣ ـ الاشرف الاول عمر بن يوسف	٦٩٤ ـ ٦٩٦	١٢٩٥ ـ ١٢٩٧
٤ ـ المؤيد داؤود بن يوسف	٦٩٦ ـ ٧٢١	١٢٩٧ ـ ١٣٢١
٥ ـ المجاهد علي بن المؤيد	٧٢١ ـ ٧٦٤	١٣٢١ ـ ١٣٦٣
٦ ـ الافضل العباسي بن المجاهد	٧٦٤ ـ ٧٧٨	١٣٦٣ ـ ١٣٧٧
٧ ـ الاشرف الثاني اسماعيل بن العباس	٧٧٨ ـ ٨٠٣	١٣٧٧ ـ ١٤٠١
٨ ـ الناصر احمد بن الاشرف الثاني اسماعيل	٨٠٣ ـ ٨٢٩	١٤٠١ ـ ١٤٢٦
٩ ـ المنصور بن الناصر احمد	٨٢٩ ـ ٨٣٠	١٤٢٦ ـ ١٤٢٧
١٠ـ الاشرف الثالث اسماعيل بن المنصور	٨٣٠ ـ ٨٤٢	١٤٢٧ ـ ١٤٤٩
١١ـ الظاهر يحيى بن الاشرف الثالث	٨٤٢ ـ ٨٥٠	١٤٤٩ ـ ١٤٥٧
١٢ـ المسعود ابو القاسم بن الاشرف الثالث	٨٥٠ ـ ٨٥٨	١٤٥٧ ـ ١٤٦٥

رابع عشر ـ دولة بني طـاهر

٨٥٨ ـ ٩٤٥ هـ

١٤٦٥ ـ ١٥٣٨ م

١ ـ تنسب هذه الدولة الى طاهر بن تاج الدين بن معوضـة الاموي القرشي • ولقد تولى ولداه علي وعامر ولاية (عدن) من قبل سلاطين آل رسول • وكانت لهما مكانة مرموقة بين الناس ومركـزا قويا في جنوب اليمن ، اطمعهم في مناهضة الدولة الرسولية ، خاصة وان مركز هذه الدولة كان قد ضعف فى عهد آخر سلاطينهم الملك المسـعود أبو القاسم بن الاشرف الثالث • وانتهز عبيد المسعود فرصة سفره الى مصر ، فاستولوا على تهامة ، واشتدت وطأتهم وظلمهم للعباد ، فكان هذا سببا في ان بعض اعيان (زبيد) ، استجاروا بالوالى علي بن طاهـر ليخلصهم من ظلم العبيد ، فنهض هذا سنة ٥٨٩ هـ ، ودخل بجيشه زبيد دون قتال ، وذلك بمساعدة اعيان قبيلة القراشيين (احدى القبائـل المجاورة لزبيد) ، وبمساعدة الامير جياش بن سليمان السنبلى ، احـد موالى بنى زبيد • ولبث الوالى على (المجاهد) سنتين بزبيد ، عـاد بعدها لعدن لمواجهة حملة بحرية ارسلها صاحب الشحر للاستيلاء علـى عدن ، وانتهى الامر بأسر السلطان محمد بن سعيد بن فارس ابو دجانة صاحب الشحر ، وارسال حملة بقيادة جياش السنبلى لاحتلال بلاده •

٢ ـ ولم يأت عام ٨٦٥ هـ ، حتى تمكن المجاهد علي بن طـاهر من بسط نفوذه على جميع المناطق الجنوبية لليمن ، لكن الامام المنصور الناصر بن محمد (٨٤٠ ـ ٨٦٦ هـ) ، الذي كان يتمركـز بذمار ، مالبث ان قام بعدة حملات لغزو بلاد بنى طاهر ، ودارت عدة معارك فـى

رداع والمقرانة وجبن ، كان النصر فيها للمجاهد علي الامام الـذي انسحب بقواته الى ذمار فأرسل المجاهد جيشا جرارا بقيادة اخيه الظافر الاول عامر بن طاهر لمطاردة الامام وقتله ، فتقدم الظافر نحو ذمـار فدخلها بدون قتال ، لان الامام قد فر منها الى (هران شمال ذمار) ، ثم الى صنعاء . ولما علم الظافر بخروج اهل الشحر عن طاعته ، أفـل راجعا لقمع تمردهم بعد ما كلف صاحب كوكبان ، وزعيم همـدان بتعقب الامام الناصر ويطارده . فتمكن بنو همدان من الاستيلاء علـى حصن (ذمرمر) ، كما تمكنوا من الاستيلاء على الحصـون المجـاورة لصنعـاء ....

ولكن الامام الناصر ، عندما علم بمغادرة الظافر لحصن ذمـار ، قصده وتم له دخوله بمساعدة آل المقحي والجراجيش ...

ويقول صاحب انباء الزمن : « ... وفي اواخـر عام ٨٦٦ هـ ، نهض السلطان الظافر بجيش كموج البحر الزاخر ، متجها الى (ذمار) لحرب الناصر ، وما كاد يصلها حتى فر الناصر الى حصن هران ، فدخلها الناصر حيث أمن اهلها ؛ ولكنه هدم القصر بها ، كما هـدم دور آل المقحي والجراجيش ... »

ولم يلبث الناصر (بهران) الا اياما قلائل ، حتى تحرك نحـو (صنعاء) ، ولكن صاحب حصن (كوكبان) قبض عليه وسجنه فـي حصن (العروس) بحضور ، وبقي به حتى توفى سنة ٨٦٨ هـ ...

٣ ــ ولما وصل خبر القبض على الامام ، الى ابنه محمد ، فكتب هذا الى الظافر الاول عامر وبذل له تسليم صنعاء ، مقابل خمسـين الف دينار ، فوافقه الظافر على ذلك ، وبعث من جهته ابن عمه حاتم بـن ابراهيم ، على رأس مائتي فارس وجند كثير ، فعندما دخلها تلقته قبائل همدان ، واعيان صنعاء ، مرحبين مهللين بمقدمه ، فلما استقر فيها ، اخذ ينشر الامن والطمأنينة في البلاد ، كما اخذ في ارساء قواعد الحكم فيها .

٤ ـ لم تستقر الامور للظافر اكثر من عام واحد حتى قـام محمد بن الناصر بتحركات سرية ضد حكم آل طاهـر ، وفطـن لذلك الظافر ، وكان بالمقرانة ، فأخذ يعد العدة لملاقاة العدو الذي تمكن مـن الانقضاض على صنعاء ، والاستيلاء عليها . وحاول الظافر عبثـا استرداد صنعاء ، على الرغم من انه حاصرها ثلاثة وعشرين يوما بجيش كبير يزيد على عشرة آلاف من المشاة والفرسان .

ولما التحم الجيشان عند باب السبحة ، حمى وطيس القتال بـين الطرفين ، وقتل عدد كثير من الطرفين ، كان من بينهم السلطان الظافـر سنة ٨٧٠ هـ . وبقتله تفرقت جيوشه ، واعلن محمد بن الناصر نفسـه اماما على صنعاء وما جاورها ... اما المجاهد علي بن طاهر فانه ظـل يتنقل بين تعز وزبيد وعدن ، حتى ألم به المرض في شهر ربيع الاول سنة ٨٨٣ هـ ، فنقل الى جبن حيث توفى بها في نفس السنة ، بعد ان عهـد بأمر الدولة الى ابن اخيه الشيخ عبدالوهاب بـن طـاهر الذي لقب بالمنصـور .

٥ ـ تولى المنصور عبدالوهاب بن طاهر السلطنة سنة ٨٨٣ هـ ، ولم يكن له ما لسلفيه من الطموح وحب التوسع ، بل ظل مكتفيا حتى نهاية حكمه بما تحت يده من المقاطعات ، ويذكر بعض المؤرخين بـأن المنصور قد تمكن من احتلال (ذمار) ودخولها عنـوة سنة ٨٨٩ هـ ، وظلت تحت حكمه حتى مات سنة ٨٩٤ بـ (جبن) .

٦ ـ تولى بعده ابنه الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب ، وهـو آخر سلاطين آل طاهر واشدهم بأسا واطولهم فى الحكم مدة ، حيث استمر ٢٨ عاما ، وقد نجح في اعادة كيان الدولة الطاهرية ، وتثبيت قواعدها من جديد ، وله مواقف مشهورة ضد ثورات قبيلة الزرانيـق بتهامة ، وضد قوات الامام السراجي في ذمار وصنعاء ، ثم ضد القوات الغورية (الجراكسة) ، التي بدأت تتدفق على السواحل اليمنية منـذ

عام ٩١٩ هـ ، والتي استمر في منازلتها حتى قتل في معركة (قاع صنعاء) حسبما يأتي مفصلا :

فبخصوص ثورة (الزرانيق) بتهامة فقد قاموا بثورة ضده سنة ٨٩٦ هـ ، فتوجه اليهم حيث احرق قراهم وقتل عددا كبيرا منهم ،ولما قاموا بالثورة سنة ٨٩٩ مرة ثانية ، قضى على تمردهم قضاء مبرما •

ولما انتهى من اقرار السلام باليمن الجنوبى ، تحرك بجيشه نحو (صنعاء) حيث يقيم الامام السراجي والامير محمد بن حسين الحمزاوى فوصلها سنة ٩٠٨ هـ ، ونصب مخيمه في (آكام الزبيب) على بعد ٤٠كم جنوب شرقي صنعاء • ثم حدثت مناوشات بين قواته بقيادة الامير محمد ابن علي البعداني ، وبين قوات الامام ، اسفرت عن هزيمة البعدانى ••

وفي شهر صفر سنة ٩١٠ هـ ، قام السلطان الظافر عامر بن عبدالوهاب ، بعد اعداد جيش كبير بمحاصرة صنعاء ورميها بالمنجنيقات • ولما طال الحصار (ستة شهور) ، وضاق الحال باهلها خرجوا مستسلمين وفى مقدمتهم الامير محمد بن عيسى شارب [1] ، الذي خرج حاملا المصحف على رأسه والكفن على عنقه • اما الامام الوشلى ، فانه لما علم بقدوم السلطان عامر — وكان خارج صنعاء — أقبل محاولا التسلل اليها ، فتصدت له قوات عامر حيث أسرته فأودع بسجن صنعاء ، وبقى به حتى مات في نفس العام • وفي ٧ شوال من نفس السنة دخل السلطان عامر صنعاء ، واتسع نفوذه بعد ذلك حتى شمل اليمن بأسرها تقريبا • وتم له تنفيذ مآربه من اقرار الامن وتثبيت السلطان بواسطة عامله الامير البعدانى •

ويقول ابن الديبع : « •• كان السلطان عامر بن عبدالوهاب ،

---

(١) وهو الذى قام بقتل السلطان الظافر عامر بن عامر بن طاهر ، في معركة صنعاء السالفة الذكر ، وقد عفا عنه السلطان عامر بن عبدالوهاب ثم امر باعتقاله بتعز بعد ذلك لتحركات قام بها ، وبقى بالسجن حتى مات .

الملك الظافر ، على جانب عظيم من الدين والتقوى ، نشأ في طاعة الله ، لم يعلم له صبوة ، وكان ملازما للتلاوة والاذكار ، كثير الصدقات • وله مآثر عظيمة من مساجد ومدارس وخيرات ، وله مشاهد في الحروب معدودة محمودة على ايدى الغزاة الجراكسة » • ويعتقد ابن الديبع ان اسباب نكبة هذا السلطان ترجع الى تعرضه للاوقاف واضافة نصف حاصلاتها سنة ٩١٨ هـ الى ميزانية الديوان •

٧ ـ ولسلاطين آل طاهر عدة مآثر باليمن منها : مدارس ومساجد عدن وتعز وجيس وزبيد ورداع وجبن • وهم اول من بنى مدينة المقرانة برداع • ولا يزال مسجد رداع قائما الى الآن وهو مكون من طابقين الاول للعبادة ، والثاني لتدريس العلم ولاقامة الطلبة •

قائمة باسماء سلاطين آل طاهر

	(هـ)	(م)
١ ـ الظافر الاول عامر بن طاهر	٨٥٨ ـ ٨٧٠	١٤٦٥ ـ ١٤٧٧
٢ ـ المجاهد علي بن طاهر	٨٧٠ ـ ٨٨٣	١٤٧٧ ـ ١٤٨٩
٣ ـ المنصور عبدالوهاب بن طاهر	٨٨٣ ـ ٨٩٤	١٤٨٩ ـ ١٥٠٠
٤ ـ الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب	٨٩٤ ـ ٩٢٣	١٥٠٠ ـ ١٥١٧
٥ ـ عامر بن داؤود	٩٢٣ ـ ٩٤٥	١٥١٧ ـ ١٥٣٨

خامس عشر ـ غزو المماليك الجراكسة لليمن

١ ـ كان البرتغاليون منذ اواخر القرن الخامس عشر ، يعيثون في سواحل البحر الاحمر ويحاولون احتلال بعض المناطق المطلة عليه ، بغية السيطرة على الطرق التجارية التي تمشي عبر المحيط الهندي والخليج العربي ـ ولقد اهتمت دولة المماليك الجراكسة بمصر والشام بهذا الامر ، فأرسل السلطان الغورى ، الامير الكردى ـ أحد قواده ـ لمطاردة القوات البرتغالية عند سواحل اليمن ، خاصة وان هذه القوات كانت قد هاجمت عدن ، وقصفت مبانيها بالمدافع ، كما انها احتلت جزيرة (قمران) ، وقتلت عاملها مع عدد كبير من اصحابه ... وقد وصل الامير الكردى الى جزيرة (قمران) في شهر جمادى الاول سنة ٩٢١ هـ (١٥١٥) . ويذكر المؤرخون عدة اسباب لتسرب قوات المماليك الجراكسة الى داخل اليمن منها :

اولا ـ ان الامام المتوكل يحيى شرف الدين بن المهدى احمد بن يحيى [1] ، لما علم بقدوم الامير الكردى الى (قمران) ، وكان على خلاف دائم مع السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب الطاهرى ، الذى كان يعتبره حجر عثرة فى سبيل نشر دعوته اماما على البلاد ، وجعل نفوذه محصورا في دائرة ضيقة بغربى اليمن ، بعث برسالة الى الامير الحسين الكردى ، يطلب منه الاعانة على حرب السلطان عامر ، فأجاب عليه الامير بان شرع فعلا في دخول اليمن ...

ثانيا ـ ان ثلاث من السفن المشحونة بالطعام كانت قد وصلت

---

(١) دام حكمه اربعين عاما ثم اعتزل الامامة في آخر ايامه ، ثم هاجر الى الظفير بحجة وبقى بها حتى مات سنة ٩٦٥ هـ (١٥٥٨ م)

مرسى الحديدة في طريقها الى جزيرة (قمران) ، لكن هذه الرسالة استولى عليها محمد بن نوح ، نائب السلطان عامر بن عبدالوهاب على الحديدة ، وحجزها بأمر سيده . فكتب اليه الامير حسين الكردى ، مبديا حاجة جنده الملحة للطعام ، وطلب منه اطلاق السفن ، فكان جواب محمد بن نوح الرفض ، وعند ذلك توجه الامير حسين بجنده الى مرسى الحديدة ورماها بالمدافع حتى اخربها ، وامر بنقل احجار البندر واخشابه الى جزيرة (قمران) حيث بنى فيها حصنا عظيما وجبانه ، صلى فيها مع اصحابه عيد الاضحى [٢] .

ثالثا ــ ان الامير حسين الكردى ، كان قد بعث برسالة الى السلطان عامر يستمد منه الاعانة على حرب البرتغاليين ، وتطهير سواحل اليمن من نفوذهم وقواتهم ، وان السلطان عامر لما وصلته الرسالة ، استشار وزيره ، علي بن محمد البعدانى ، فأشار عليه بعكس ما اشار غيره من مستشاريه من مناصرته واعانته ، ويقال ان البعدانى قد تولى الاجابة على الامير حسين بان استدعى الرسول اليه ، واغلظ له في القول ، ورده خائبا . وبهذا ثارت حفيظة الامير حسين وقام بتوجيه قواته لمحاربة السلطان عامر .

ومهما يكن من امر هذه الاسباب ، فان قوات المماليك بقيادة الامير حسين الكردي هاجمت اليمن ، حيث نشبت معارك بينه وبين قوات السلطان عامر اهمها معركة (الرحب) [٣] ، ومعركة (باب النخل) في جمادى الاولى سنة ٩٢٢ هـ ، وفيها انتصرت قوات المماليك ، وانتهت المعركة باستيلاء الامير حسين على زبيد .

٣ ــ وفي شهر شوال من نفس السنة ، قدم السلطان عامر من (المقرانة) بجيش جرار ، والتقى بقوات المماليك بقيادة (برسباى) ،

---

(٢) يحيى بن الحسين : انباء الزمن في اخبار اليمن ٢٧٥ ــ ٢٧٦

(٣) عبدالملك بن عبدالوهاب الذي قتل في موقعة (الصافية) .

حيث اقتتل الفريقان ثلاثة ايام ، تولى فيها السلطان قيادة جيوشـــه ، ولكنه منى بالهزيمة ، فانسحب الى تعز ، ولكن جنود العدو لاحقتـه ، فانتقل الى المقرانة ، ومنها الى صنعاء ..

فانشغل العدو بعد ذلك بالاستيلاء على اب ورداع وذمار ثم وصل الى ابواب صنعاء ، حيث دارت المعركة الفاصلة (في الصافية) ، حيث قتل عدد كبير من الطرفين ، وفر السلطان عامر ، بعد ما فتكت نـيران بنادق العدو بقواته واتباعه ، لكن لسوء حظه ، وقع اسيرا في يد رجل من اهالي (سعوان) يدعى بان الزلابيا وهو في طريقه الى حصنه المنيع في (ذمرمر) ، فقاده الى مقر العدو حيث اجتز رأسه في يوم ٢٣ ربيـع الاول سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧) .

٣ ـ وقد قام الشعراء برثاء السلطان عامر بن عبدالوهاب بقصائد كثيرة منها قصيدة للمؤرخ عبدالرحمن بن علي الديبع الزبيدى جاء فيها :

اخلاى ضاع الدين من بعد (عامر) وبعه اخيه [٤] أعدل الناس بالناس
فمذ فقـدا والله والـلـه انـــا عن الصبر والسلوان في غاية اليأس

ومنهـــــا :

تهدم من ركن الصلاح مشيده وقوض من بنيانه كـل عامـــر
فما من صلاح فيه بعد صلاحـه ولا عامر والله من بعد (عامـر)

٤ ـ كان من الممكن ان يكون لقوة المماليك هذه ، التي دخلت واحتلت جزءا كبيرا من اليمن ، شأن كبير في تلك العصور ، خاصة وانها كانت تمتلك المعدات النارية ، التي لم يعرفها أهل اليمن من قبل ، وكان من الممكن ان ينتشر نفوذها الى سائر المقاطعات اليمنية ، لولا ما حدث لها من التصدع والانهيار بسبب سقوط دولة المماليك بعد هزيمتهم امام قوات الاتراك العثمانيين في موقعتى مرج دابق شمال حلب سنة ١٥١٦ ،

---

(٤) عبدالملك بن عبدالوهاب ، الذي قتل في موقعة (الصافية) .

حيث قتل السلطان الغورى ، والريدانية ١٥١٧ حيث دخلوا بعدها مصر واحتلوها ...

وكان نتيجة ذلك ، ان القائد الجركسي ، أمر بسحب قواته من زبيد ، ولكنه لاقى صعوبات كثيرة في طريق انسحابه ، بسبب تعرض قواته ، الى هجمات العصابات اليمنية التي قامت بها القبائل بزعامة عامر ابن داؤود وغيره من بقايا الاسرة الطاهرية ، التي ظلت متمركزة في جنوب اليمن حتى سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٨م) عندما بدأ الغزو العثماني .

٥ ـ ولما بدأ الغزو العثماني سنة ٩٤٥ هـ (١٥٣٨) ، كان عامر ابن داؤود ، وهو آخر زعماء بني داؤود بعدن ـ قد انتهز فرصة وصول القوات التركية ، فطلب منها النجدة والعون على محاربة الامام يحيى شرف الدين ، وكتب بهذا الى القائد التركى سليمان باشا الارناؤوطى ، قبل نزوله من السفينة الى مرسى (عدن) ، أملا منه في أستعادة كيان الدولة الطاهرية ، كما سبق لنفس الامام ان عمل مع قائد الجراكسة حسبما اسلفنا .

وقد بعث الكتاب مع وفد يحمل هدية الى الباشا ، فرد عليهالباشا ردا مقابلا ، كما دعاه لزيارته بالسفينة ، فقبل الدعوة بعد تردد . ولما وصل الى السفينة قلب له الباشا ظهن المجن . فقبض عليه وهو يغادر السفينة ، وأمر باعدامه وشنقه على عمود السفينة . ثم دخل الباشا عدن وامر بقتل من بقى من اسرة آل طاهر ، ومصادرة ممتلكاتهم ...

سادس عشر ـ المذهب الزيدى وائمة اليمن

١ ـ في الفصل الذي عقده ابن خلدون عن الشيعة [١] ، دخل في تفصيلات عن الفرق ارئيسية التي انقسم اليها أشياع علي بن ابى طالب • كما اورد للزيدية وصفا ،وبدأ ابن خلدون بقوله : « ان الشيعة عن بكرة أبيهم متفقون على نقطة اساسية ، وهي ان عليا صهر النبي صلى الله عليه وسلم ، عين ليكون وريثا شرعيا للنبى ، ولكن مسألة المبدأ الذي بنيت عليه حقوقه فى الوراثة ، صارت بين الشيعة موضع الخلاف• ففريق كبير منهم وهم الامامية وتشمل: الاثنا عشرية [٢] ، والاسماعيلية، يذهبون الى ان اهلية علي للخلافة تستند الى منزلته ومناقبه ، وانذريته وورثته قد مضوا في نسق منتظم طبقا لهذه القواعد ، وانه لا يوجد بين البشر من يحق له ايقاف الاعتراف بحق علي او حق خلفائه ، ولذلك فان الامامية ينكرون خلافة الشيخين ابى بكر وعمر •••

ومن جهة اخرى نرى ان اتباع الزيدية ، انهم فضلا عن اقرارهم بوراثة علي للنبي (صلعم) في الخلافة ، الا انهم يذهبون الى ان عليا لم يعين بهذا المنصب بسبب منزلته ، ولكن بفضل مناقبه الشخصية • ولذلك فانهم يقررون حق انتخاب الامام من بين افراد سلالة فاطمة » •

٢ ـ الامام زيد بن علي زين العابدين :

تنسب فرقة الزيدية الى الامام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابى طالب ، فجده الاعلى ـ من قبل ابيه ـ هو على ابن ابى طالب ـ رضى الله عنه ـ وجده من قبل أمه هو رسول الله

---

(١) عمارة / حسن ٢٧٩ ـ ٢٨٠

(٢) سموا هكذا لانهم يؤمنون بامامة اثنا عشر اماما آخرهم المهدي الذي ينتظرون دعوته.

محمد بن عبدالله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو بهذا النسب الرفيع لا يدانيه نسب •

ولد زيد في المدينة المنورة سنة ٨٠ هـ ، ونشأ في البيت الذي يعد مهد العلم النبوى ، وتكونت فيه ميوله ونزعاته في الحياة تحت اشراف الامام ، زين العابدين ، كبير الاسرة ، وقد لزم زيد أباه ، فتلقى الفقه والحديث عنه ، ولكن اباه مات وزيد لم يكن قد بلغ الرابعة عشرة من عمره • واذا كان ابوه قد تركه يافعا ، فان اخاه محمد الباقر ، قد خلف اباه في امامة العلم والحديث ، واخذ عنه زيد الفقه والحديث ، كما أخذ عن ابيه من قبل •••

ولما تخرج زيد فى تلك المدرسة النبوية في المدينة ، لم يلتزم البقاء فيها بعد ان نضج ، بل ذهب الى البصرة ، حيث التقى بعلمائها • وقد قال صاحب الملل والنحل [٣] : « ان زيدا تتلمذ على واصل بن عطاء ، واخذ عنه الاعتزال » •

واننا نستبعد حدوث تتلمذ زيد على بن واصل ، ذلك لان الرجلين كانا في سن واحدة ، فقد ولد كلاهما في سنة ٨٠ هـ ، او قريبا منها • ويظهر انهما عندما التقيا ، كان زيد في سن قد نضجت ، لان واصلا لا يمكن ان يكون في مقام من يدرس مستقلا الا اذا كان في سن ناضجة• ولهذا نرى ان التقاء زيد بواصل كان التقاء مذاكرة علمية وليس التقاء تلميذ يتلقى العلم من استاذه ، لان السن متقاربة ، وزيد كان ناضجا • فهو قد اراد ان يعرف النواحي المختلفة ، حول اصول العقائد ، كما تلقى فروع الاحكام عن اسرته في المدينة • [٤]

لم يلبث زيد ان تقدم لميدان العمل فى السياسة ، التي كانت الشقة الحرام على أبيه فتحاشاها ، وكذلك فعل أخوه محمد الباقر • وهنا

---

(٣) الشهرستاني ٢/٢٠٨

(٤) ابو زهرة ٣٩

يتساءل القارىء عن السبب الذي دفع زيد للدخول في ميدان السياسة، وهل دخل هذا الميدان مختارا ام مضطرا ؟

والتاريخ ينبئنا ان زيدا دخل ميدان السياسة مضطرا • اذ أحرج في كرامته ، واحس انه ينل من عزته ،وهومن سلالة الصناديد الابطال ، الذين لم يرادوا على الذل ، ولم يرضوا بالظلم ، فهو من سلالة فارس الاسلام علي بن ابى طالب ، وحسبه ذلك وكفى •••

وتتبعنا للحوادث يلقى لنا الكثير من الضوء على جوانب الاجابة عن هذا السؤال • فقد كانت الحوادث تجر آل البيت الى الكلام في السياسة ، مع الرغبة الملحة في اعتزالها ••• فقد ظهر في البلاد الاسلامية طوائف قد انحرفت ، وكانت تدعى انها تتكلم باسم آل البيت ، وقد رأيت كيف كانوا يلعنون ابا بكر وعمر رضى الله عنهما • ولما علم بامرهم علي زين العابدين • نفى عن نفسه ذلك القول ، وقد كان أخوه محمد الباقر ، يعلم مثل تلك من الاقوال ، عن بعض اهل العراق ، فينفى عن آل البيت ذلك ، ويبالغ في نفيه •• وقد كان آل البيت على حق في هذا النفى ، لان زعماء المتشيعين كانوا يدعون انهم يتكلمون باسم الائمة الذين كانوا زاهدين فى السياسة ، منصرفين الى العلم ، انصرافا تاما مطلقا • فادعى بيان بن سمعان التميمي المتوفى سنة ١١٩ هـ ـ الذي كان يدعو الى آراء منحرفة ـ انه كان يحكى آراء ابى هاشم ابن محمد بن علي ، ولما علم بحاله ابو هاشم كذبه واعلن البراءة منه •

وكان المغيرة بن سعيد المتوفى سنة ١١٩ هـ ، يكذب علي محمد الباقر ، فاضطر هذا الى البراءة مما يقوله •

ولقد كان الادعاء بانهم يتكلمون باسم اولئك الائمة، ثم انحرافهم، ثم نفى ذلك الانحراف ، مدعاة لان يتظنن بنو امية في أمر أئمة آل البيت • وقد كان هذا التظنن تبدده قوة الامويين ، وعدم ظهور حركات ايجابية ، واقامة آل البيت بالمدينة المنورة لا يخرجون منها •

ولكن لما اخذت الدولة الاموية في الضعف ، أخذ التظنن بائمة آل البيت ، يقوى ويشتد ، اذ لا قوة تبدده ، خصوصا وانه قد بدأت الدعوة ، الى تغيير الخلافة الاموية ، تنمو وتزداد ، في عهد الخليفة هشام بن عبدالملك (١٠٥ ــ ١٢٥ هـ) فاخذ هذا الخليفة يرقب الدعوة الهاشمية بقلق وبحرص ، ويعالج ما يظهر بالسيف وما يختفى يعالجه بمحاولة الكشف • ولقد تركز اهتمامه نحو زيد بن علي زين العابدين ، الشاب الهاشمي ، الذي اخذ يتنقل من المدينة الى العراق ، او يتردد بينهما • وذهب الاطمئنان من قلب الخليفة ، وحل محله القلق والاضطراب من جهته ، وقام بنفسه انه يغذي الفتنة الموجودة في خراسان فاتجه الى احراجه باثارة النزاع بينه وبين اسرته [٥] او الادعاء عليه بما لم يقع ••• فلما اشتد اذى خالد بن عبدالملك بن الحارث ــ والى المدينة ــ لزيد ، ذهب لهشام بن عبدالملك بدمشق يستأذنه ليشكو له خالد • فلم يأذن اليه في الاول ، ولكثرة الحاح زيد ، اذن له بالمقابلة • ويقول المسعودي [٦] : « دخل زيد بن علي زين العابدين على الخليفة هشام بن عبدالملك بالرصافة • فلما مثل بين يديه لم ير موضعا ــ يجلس فيه ، فجلس حيث انتهى به المجلس ــ وقال : « يا امير المؤمنين ، ليس أحد يكبر على تقوى الله ، ولا يصغر دون تقوى الله • »

فقال هشام : أسكت لا ام لك ، انت الذي تنازعك نفسك في الخلافة ، وانت ابن امة •

قال : يا امير المؤمنين ، ان لك جوابا • ان احببت اجبتك به ، وان احببت اسكت •

فقال : بل اجب •

---

(٥) ابن الاثير ٥/٨٥

(٦) المسعودي ٢/١٨٢

قال : ان الامهات لايقعدن بالرجال عن الغايات • وقد كانت أم اسماعيل امة لام اسحاق ، فلم يمنعه ذلك ان يبعثه الله نبيا ، وجعله للعرب ، فأخرج من صلبه خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم ، فتقول لي هذا ، وانا ابن فاطمة وابن علي ، وهو يقول (٧) :

شرده الخوف وأزرى به كذلك من يكره حر الجلاد

منخرق الكفين يشكو الجوى تنكته اطراف مرو وحداد

قد كان في الموت له راحة والموت حتى فى رقاب العباد

اذ يحدث الله له دولة بترك آثار العدا كالرماد

من هذا نرى ان زيدا لم يخرج على بني أمية ، لانه كان يريد الخروج عليهم في ذلك الوقت ، ولكنه احرج ، وأوذى في كرامته ومروءته •••

أخذ زيد بعد ذلك يستعد للمعركة ، فذهب الى الكوفة ، وقد منعه بعض أهل البيت من ان يثق بأهل الكوفة ، ولكنه صمم على المضي ، ذلك لاعتقاده بانه لا عيش له مع الامويين • وفى الكوفة اخذ يتوافد عليه أهل الشيعة ويبايعونه سرا • وكانت صيغة بيعته « انا ندعوكم لكتاب الله ، وسنة نبيه (صلعم) ، وجهاد الظالمين ، والدفع عن المستضعفين ، واعطاء المحرومين ، وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء ، ورد المظالم ، ونصر اهل الحق » • تبايعون على ذلك ؟

فاذا قالوا : نعم • وضع يده على يديهم ويقول : « عليك عهد الله وميثاقه وذمته ، وذمة رسول الله (صلعم) لتضيعن بيعتي ، ولتقاتلن عدوى ، ولتصحبن لي في السر والعلانية » •

فاذا قال المبايع : نعم مسح يده على يده •

---

(٧) ابن الاثير ٨٦/٥

وقال : اللهم اشهد •

ويقول ابن الاثير : « بايعه على ذلك خمسة عشر الفا ، وقيل اربعين الفا » • ويظهر انه انضم الى شيعة الكوفة ، شيعة واسط والمدائن الاخرى ، فبلغوا بذلك اربعين الفا •••

ويقول الاصفهاني في مقاتل الطالبيين : ان اهل الكوفة حملوا زيدا على الخروج عندما جاء اليهم لمقاتلة خالد بن عبدالله القسرى ، واغروه على ذلك • وقد حذره منهم داود بن علي مرارا ، مذكرا له ما فعلوه مع اجداده : علي وابنيه الحسن والحسين ، كما حذره منهم عبدالله بن الحسن بن الحسن بخطاب هذا نصه :

« أما بعد ، فان أهل الكوفة ، نفخ في العلانية ، خور السريرة ، هرج في الرخاء ، جزع في اللقاء ، تتقدمهم ألسنتهم ، ولا تشايعهم قلوبهم ، ولقد تواترت الى كتبهم بدعوتهم ، فصممت عن ندائهم ، وألبست قلبى غشاء عن ذكرهم ؛ يأسا منهم ، واطراحالهم ، وما لهم مثل الا كما قال علي بن ابي طالب : ان اهملتم خضتم ، وان حوربتم خرتم ، وان اجتمع الناس على امامة طعنتم ، وان اجبتم الى مشقة نكصتم » • (8)

ومع توالي هذه النذر ، مانكص زيد على عقبيه ؛ بل اخذ يسير في المعركة ، واستمر بضعة عشر شهرا يدعو الناس الى بيعته ، على النحو الذي اسلفناه ، وجمع الجموع ، واتفق على ان يكون خروجه ، في مستهل شهر صفر سنة ١٢٢ هـ • ولكن الانباء ترامت الى والي العراق ، وترامت الى الخليفة هشام نفسه ، فاستحث الخليفة واليه بالعراق ، على أخذ زيد بالشدة •

فلما شرع الوالي في استدعاء زيد ، وتحرج الموقف ، اخذ اتباعه

(8) ابن الاثير : ٥/٨٧

يتناقشون ، ويتجادلون • وتنيجة لهذا النقاش ، حدثت الخلافات في الوقت الذي اخذ فيه العدو بالهجوم ، فاضطر زيد الى المهاجمة ، قبل الميعاد المحدد بشهر • ولم يخرج معه الا ٢١٨ رجلا من خمسة عشر الفا بايعوه بالكوفة • وتقدم زيد بهذا العدد الضئيل الى الميدان ، فأفنوا عن آخرهم ، ومثل العدو بجثة زيد ••• وهكذا استشهد زيد في المعركة ، لانه لم يرض بالدنية في دينه •••

٣ ـ آراء الامام زيد :

اول فكرة اتجه الى تصحيحها قوله : ان الامامة ليست وراثة مطلقة ، وقد تكون في بيت معين من ناحية الافضلية ، لا من ناحية الاصل • فاشتراط بيت معين ، انما هو شرط افضلية ، لا يمنع ان تكون الخلافة في غيره ، على الا تتعارض مع مصلحة المسلمين •

كان يرى ان الافضل فى الامام ان يكون عدلا فاطميا ، اى يكون من ذرية علي من فاطمة رضى الله عنهما • وبذلك خالف الكيسانية (٩) ، الذين اشترطوا ان يكون الامام من اولاد علي ، من غير ان يقيدوه ، بكونه من اولاد فاطمة • وخالف بذلك ايضا الامامية ، الذين كانوا يشترطون ان يكون الامام من : اولاد الحسين بن علي ، فلم يثبتوها الا لعلي ثم الحسن ثم الحسين ثم لعلي زين العابدين ، ثم لمحمد الباقر ثم لجعفر الصادق ثم اختلفوا من بعد ذلك • مابين اثنا عشرية واسماعيلية ويجب ان نقرر هنا بان الامام زيد خالف كل الشيعة ، اذ اعتبر هذا شرط افضلية لا شرط صلاحية للخلافة ، لانه ما دام قدر امامة المفضول

---

(٩) وهم اتباع المختار بن عبيد الثقفي ، وسميت الكيسانية نسبة الى كيسان ، وهو اسم المختار المذكور ، ظهرت عقب مقتل الحسين بن علي وقد ثارت له (ابن خلكان ٣١٢/٣)

فانه يجب ان نعتبر كل الشروط التي يذكرها ، شروط افضلية • وما دام قد اعتبر المصلحة اولى بالاعتبار من الافضلية ، فانه يجب ان يعتبر كل الاشتراط هو في الافضلية • واذا كان الامام زيد لا يفرض امامة الافضل دائما ، ولا يفرض ان الامامة تجيء بالوراثة او الايصاء من النبي (صلعم) ، فانه لا يمكن ان يفرض عصمة الائمة ، اذ ان فرض عصمة الائمة من الخطأ ، اساسه ان يكون توليهم من النبي (صلعم) • والنبي ماكان يتصرف الا بوحي يوحى ، وما كان من المعقول ، ان يختار النبي لهم ، بأمر من ربه ، اماما يجرى عليه الخطأ في احكامه •••

وبايجاز فالمذهب الزيدي ـ الذي ينسب الى الامام زيد ـ اعدل المذاهب الشيعية ، وأقربها الى مذهب جماعة المسلمين من السنيين ، فهو لا يبالغ في تقديس علي وجعله في مصاف الآلهة ـ كما هو مذهب الغلاة من أهل الشيعة ـ واتباعه لا يتبرأون من ابى بكر وعمر ولا يلعنوهما ، كما يفعل غيرهم من بعض فرق الشيعة ••• وانهم لا يقولون بالتقية ، وهي ان يظهر المرء غير ما يبطن ، فهي مداراة وكتمان ، وتظاهر بما هو ليس الحقيقة ••• كما لا يقولون باختفاء الائمة ، مثل ما يقول به بقية أهل الشيعة • كذلك لا يقولوا بالرجعة ، كما يعتقد الكثيرون من الشيعة الامامية ، الذين يقولون برجعة الرسول محمد (صلعم) ، وبرجعة علي وبقية الائمة ، ورجعة خصومهم كأبى بكر وعثمان ومعاوية ويزيد • يرجعون جميعا ـ في رأيهم ـ بعد ظهور المهدى ، ليعذب من اعتدى منهم على الائمة ، واغتصبهم حقهم ، ثم يموتون جميعا ويحيون يوم القيامة (١٠) •

ويقول الزيدية بان الشخص الذي يرشح للامامة ، يجب ان تتوفر فيه عناصر العلم والورع والسخاء والشجاعة ، كما يستوجبون ان يكون ذا همة ، لكي ينهض مناضلا عن حقه ، ومطالبا باعتراف الكافة

---

(١٠) ماضي : دولة اليمن الزيدية (المجلة التاريخية المصرية ـ مايو سنة ١٩٥٠

بامامتـه (١١) .

٤ ـ وانتشر المذهب الزيدي بعد ذلك لعدة اسباب منها :

اولا ـ فتح باب الاجتهاد فيه ، وذلك في دائرة المناهج التـي رسمها أئمة الزيدية .

ثانيا ـ فتح باب الاختيار من المذاهب الاسلامية ، فيختـارون مايقتنعون بدليله مادام يتفق دليله مع المنهاج الزيدي المرسـوم . فاذا وجدوا فى موضوع الفتوى ما يصلح له من آراء المذاهب الاسلاميـة المقررة ، أخذوه ، ولكن لابد ان يأخذوه اخذ اجتهاد ، لا اخذ اتباع ، منفذين في ذلك قول الائمة « لايصح لاحد ان يأخذ برأينـا ، الا اذا عرفنا من أين اخذناه » .

ثالثا ـ وجود المذهب في عدة اماكن مختلفة متنائية الاطراف . ذلك لانه لما استشهد الامام زيد ، رحل تلاميذه الى الامصار المختلفة ، فمنهم من فر الى بلاد الحجاز ، ومنهم من فر الى اليمن واستقر فيها ، ومنهم من فر الى بلاد الديلم والى اصبهان والرى . وهم حيث حلوا ، نشروا ذلك المذهب ، ودعوا اليه وفرعوا في المأثـور من آرائهـم الفقهيـة ...

والعبرة التي نستخلصها من هذا ، ان الاضطهاد الذي اصـاب زيدا ، وأستشهد في سبيله ، ثم اصاب بعده اتباعه وآل البيت ، الـذى نادوا بمثل ندائه ، ترتب عليه أمران في تاريخ الفقه الزيدي :

أولهما : انتشار آراء الامام زيد في البقاع الاسلامية كلها تقريبا ، ذلك لان آراءه مشبعة بروح التسامح ، والقبول لكل الآراء ، مادام لها ملتمس من هدى النبى صلى الله عليه وسلم . أيا كان طريقه .

ثانيا ـ اتساع آفاق المذهب ، وكثرة الآراء فيه . ففي كل بلـد

ص ٢٢)

(١١) عمارة / حسن ٢٨٠

من البلاد التي حل فيها ، كان له اجتهاد ، يتناسب مع حاجات أهل هذا البلد ، ومتفق مع العرف فيها • (١٢)

٥ ـ **الامام الهادي الى الحق يحيى بن الحسين :**

والزيدية في اليمن ترجع الى الامام الهادي الى الحق يحيى بن الحسين القاسم الرسي • وقد ولد هذا بالمدينة المنورة سنة ٢٤٥ هـ ، وعكف على الفقه يدرسه من كل نواحيه ،وفي كل مصادره ، وكان مرجعا في الدين لكل الطوائف الاسلامية والامصار المختلفة ، يسألونه ويستفتونه ، وهو يرد عليهم برسائل قيمة أثرت عنه ، يدافع فيها عن القرآن والسنة •••

وقد اعتنق الهادي المذهب الزيدي ، في نهاية القرن التاسع الميلادى، تلقاه عن أبيه الحسين عن جده الذي كان من اقطاب الزيدية • وينتهي نسبه بالحسن بن علي (١٣) ، اي ان الهادي الى الحق حسني بانتسابه الى الحسن عن طريق العصب ، حسيني باعتناقه المذهب الزيدي ، الذي ينسب الى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي •

وقد سار الهادي الى الحق ، الى اليمن ، حيث وصل الى (صعدة) (١٤) سنة اربع وثمانين ومائتين (١٥) ، وكان ذلك في حياة أبيه الحسين • وعندما وقف يدعو الناس الى بيعته ، عاهدهم العهد الاول فقال :

« ايها الناس انى اشترط لكم اربعا على نفسي : الحكم بكتاب الله وسنة نبيه (صلعم) ، والاثرة لكم على نفسي ، فيما جعله بيني

---

(١٢) ابو زهرة ٤٨٨ ـ ٤٩٥

(١٣) هو الامام القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن علي بن ابى طالب •

(١٤) جبل في الشمال من صنعاء فيه حصون كثيرة اشهرها : صعدة وثلا وجبل تطالهة (عمارة / حسن ١٥٩)

(١٥) كان وصوله الى اليمن في اليوم السادس من صفر سنة ٢٨٤ هـ (تاريخ الهادى ورقة ٣٢ مخطوط دار الكتب المصرية) •

وبينكم ، اوثركم فلا أتفضل عليكم ، واقدمكم عند العطـــاء قبلى ، واتقدم عليكم عند القاء عدوى وعدوكم ، اشترط لنفسي عليكم اثنين : النصيحة لله سبحانه تعالى في السر والعلانية ، والطاعة لامري علـــى كل حالاتكم ، ما اطعت الله ، فان خالفت فلا طاعة لي عليكـــم ، وان ملت وعدلت عن كتاب الله ، وسنة نبيه ، فلا حجة لي عليكم . فهـــذه هي سبيلي ادعو الله على بصيرة ، انا ومن اتبعني » .

ومن هذا البيان الذي قدم به بيعته ، ومن عدة بيانات اخرى على هذ المنهاج ، يتبين ان معظم مقاصده كانت : في اقامة حكم الاسلام ، وجمع المسلمين على كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وقد كان يسعى جهده لجمع شمل المسلمين واصلاح امورهم فيما بينهم . ويروى فى ذلك انه كان يقول : «لوددت ان الله اصلح هذه الامـــة ، واني جعت يوما وشبعت يوما » .

وبهذا يتبين انه ، ماكان يطلب الملك ، ولكنه كان يطلب اصـــلاح أمور المسلمين ، واحياء الشريعة ، وفرض سلطانها .

٦ وبعد ان استقر في صعدة ، اتجه الى أمرين :

اولهما : جمع اليمن وما جاورها على حكم واحد والقضاء علـــى التفرقة بها ، وقد جاهد في ذلك جهادا شديدا [١٦] . فجمع الجموع من اتباعه ، وحارب اسعد بن يعفر [١٧] ، فغلبه على صنعاء ونجران ، وملكها وضرب السكة ، ولكن بني يعفر ما لبثوا ان استعادوا صنعاء . فرجـــع الهادي الى صعدة ، حيث توفى سنة ثمان وتسعين ومائتين [١٨] وقبـــر بهـــا .

وثانيهما : توزيع العدالة الحقيقية بين ربوع اليمن ، ليكـــون

---

(١٦) ابو زهرة ٥٠٩ ـ ٥١٦

(١٧) عمارة / حسن ١٥٩

١٨ كما حارب آل الضحاك ، وآل طريف ، الدعام ، والاكليين ، كما حارب علي بن الفضل ومنصور بن حسن بن زادان واتباعهما من الفاطميين .

الاطمئنان والاستقرار •

٦ ـ معظم ائمة الزيدية باليمن من سلالة الامام الهادي وعددهم تسعة وخمسون اماما وهم الذين يسمون بالحسنيين • اما الباقون فينتسب خمسة منهم الى الحسن بن زيد بن علي بن ابى طالب ، واثنان الى الحسين بن علي وهم الحسينيون •

اهم الاحداث في عهدهم :

١ ـ ظل سلطان الائمة محصورا في شمالي اليمن ، الى اوائل القرن الحادي عشر للهجرة ، الا في فترات قصيرة ومتقطعة ، بسبب معارضة الدول اليمنية الاخرى لهم ، ومناهضة سلاطينها لحكمهم • وقد تمكن بعض الائمة في القرون : السابع والثامن والتاسع من بسط نفوذهم على (صنعاء) و (ذمار) وذلك في عهد المتوكل المطهر بن يحيى (٦٧٦ ـ ٦٩٧ هـ) ، وولده المهدي محمد بن المطهر ـ (٦٩٧ ـ ٧٢٨ هـ) ومن جاء بعدهما الى آخر ايام محمد بن الناصر (٨٨٠ ـ ٩١٠ هـ) • ولكن هذا النفوذ ظل مضطربا ومزعزعا في معظم فتراته ، بسبب المناوشات والحروب التي كانت تنشب بين سلاطين آل رسول ، ثم من بعدهم آل طاهر ، كما سبق الاشارة الى المهم منها •

٢ ـ وقد تمكن الحكم الامامي من تثبيت اقدامه بصنعاء ، وتدعيم كيانه فيها ، خلال الشطر الاول من حكم الامام يحيى شرف الدين (٩١٢ ـ ٩٦٥ هـ) وولده الامام المطهر (٩٦٥ ـ ٩٨٠ هـ) ، لولا تعرض البلاد الى الغزو الخارجي من جراكسة واتراك ، ومع ذلك فقد ظل الائمة يقاومون هذا الغزو التركي ، بكل بسالة واقدام وظلوا محافظين على المنطقة الشمالية من بلاد اليمن منذ قيام دولتهم على يد الامام الهادي الى الحق سنة ٢٨٤ هـ (٨٩٨ م) ، حتى قيام ثورة اليمن المظفرة في سبتمبر سنة ١٩٦٢ ، اى ما يقرب من ألف ومائة

عام . ولعل السبب في ذلك يرجع الى وجود عدد كافي من الهاشميين، الذين كانوا يحتسون على انفسهم وجوب القيام بالامامة ، بمجرد احساس احدهم بشيء من الافضلية على الآخر . ومع هذا فانه لم يحدث في الغالب – خصوصا فيما بعد القرن العاشر الهجرى – ان مات امام ولم يعقبه قيام امامين واكثر . كل منهم يرى احقيته في الامامة . وهذه الرغبة هي التي ساعدت دولة الائمة على الاستمرار في اليمن ، والبقاء طيلة هذه القرون . بغض النظر عما كانت تجره من التطاحن والانقسامات . وما خلقته من ضغائن واحقاد بين القبائل جعلتهم يعيشون فى صراع مستمر ، وفوضى مستحكمة [(١٩)] .

اما بقية بلاد اليمن ، فقد ظلت موحدة امام نفوذ الائمة ، بالرغم من محاولاتهم المستمرة في بسط نفوذهم على كل جهات اليمن ، هذا اذا استثنينا الفترة القصيرة (٩٤١ الى ٩٤٥ هـ) التي تمكنت فيها قوات الامام شرف الدين من السيطرة على تعز واب ، واضطرت ان تقهر قوات ابنه الامام المطهر امام قوات الغزو العثماني ، وتستقر في الجهة الشمالية .

٣ – وعندما بدأ القرن الحادي عشر ، اخذ نفوذ الائمة ينتشر في جنوب اليمن وتهامة حتى وصل الى حضرموت في أيام المتوكل اسماعيل (بن القاسم) (١٠٥٤ – ١٠٨٧ هـ) واولاده ومن جاء بعدهم من اسرة آل قاسم ، لخلو المقاطعات اليمنية من الامراء المناوئين للائمة، بعد جلاء الاتراك من اليمن للمرة الثانية سنة ١٠٤٥ (١٦٣٦ م) هذا بغض النظر عن الانتفاضات القبلية ، وحوادث التمرد والثورات الداخلية ، التي كانت تقوم بها القبائل من آن لآن ، كثورة (همدان) و (بني حشيش) و (بنى الحارث) سنة ١١٠٢ هـ وكلها ضد الامام المهدي محمد أحمد بن الحسن القاسم (صاحب المواهب) (١٠٩٨ –

---

(١٩) شرف الدين ٢٤٣

١١٣٠ هـ) • وثورة ارحب سنة ١١٣٨ هـ ضد الامام المتوكل القاسم ابن حسين (١١٢٨ ـ ١١٣٩ هـ) ، وثورة حاشد سنة ١١٣٩ هـ ضد الامام المنصور الحسين بن القاسم (١١٣٩ ـ ١١٦١ هـ) ، وثورة همدان سنة ١٢٥٦ هـ ضد الامام الناصر عبدالله بن الحسن (١٢٥٢ ـ ١٢٥٦ هـ) الذي احتل الانجليز في عهده ثغر عدن في ٣ شوال سنة ١٢٥٣ (١٩ يناير سنة ١٨٣٩ م) • وثورة صنعاء سنة ١٢٦٠ ضد الامام المتوكل محمد بن يحيى بن المنصور (١٢٦٠ ـ ١٢٦٥ هـ) • الذي كان السبب في دخول الاتراك (صنعاء) سنة ١٢٦٥ ، ولهذا اعتقله اهلها وخلعوه • وغيرها من الثورات التي كانت نتيجة للمنازعات والاصطدامات ، التي طالما نشبت بين اسرة آل القاسم انفسهم والتي دامت حوالي ١٨٠ عاما اى الى عام ١٢٦٩ هـ ، عندما خرجت الامامة من ايديهم بقيام الامام المنصور محمد بن عبدالله الوزير • [٢٠]

وتيجة لتكالب اصحاب المطامع من الاشراف ، على الامامة ، وتصارعهم من أجل ذلك ، عاش اليمن حوالي قرنين من الزمان في فوضى وقلاقل • ويقول الجندارى [٢١] ، واصفا حالة اليمن في اواخر القرن الحادي عشر : « ••• وبعد موت المؤيد محمد بن المتوكل اسماعيل ، افترق آل الامام فرقا ، وملىء بعضهم من بعض فرقا ، فطمع الكل في الامامة ، وتكاد تقوم القيامة • وكان المؤيد قد اوصى بالامامة لابنه يوسف لانه احسن اخوته ، فدعى يوسف بضوران ، ودعى الحسين بن عبدالقادر بكوكبان ، والحسن بن محمد بعمران ، وعلي بن احمد بصعدة ، والحسين بن الحسن برداع ، وصارت الارض جيفة ، وفي كل قرية خليفة ، ودعى محمد بن أحمد بالمنصورة ، وسمى بصاحب المواهب ، وهو الذي غلب ، وصال عليهم ووثب ، وما ظفروا بغير

(٢٠) شرف الدين ٢٤٥

(٢١) احمد بن عبدالله الجندارى : الجامع الوجيز في وفيات اولى العلم والتبريز (مخطوط) •

اللقب » • الى غير ذلك مما ذكره من الحروب الطويلة ، والفتن المتواصلة ، ويقول شرف الدين : « •• واننا تتصفح كتب التاريخ ـ في هذا الوقت بالذات ـ نجد ان اليمن قد عاش قرنين من الزمن كلها فوضى ، وكلها قلاقل ، وكلها فتن • وان القبائل اليمنية قد سئمت هذا الوضع الذي اصبح فيه معظم الائمة من آل القاسم ، يتكالبون على الحكم ويتناحرون على كرسي الامامة ، تاركين وراءهم رعاية الامة ، والعمل على نشر العدل ، واقرار الامن في البلاد • كما نجد ان البلاد قد تفرقت الى شيع واحزاب نتيجة لقيام عدة ائمة في آن واحد ، كل منهم يقود الحملات ضد صاحبه ، ويؤلب عليه القبائل ، ثم يناجزه الحرب ••• الامر الذي لم يكن سببا في اضعاف البلاد وتأخرها فحسب ، بل سببا أيضا في عودة الاتراك لاحتلال اليمن من جديد سنة ١٢٥٢ هـ ، بعد ان أجلاهم المؤيد محمد بن القاسم سنة ١٠٤٥ هـ ، كما اتاح للانجليز احتلال (عدن) في سنة ١٢٥٣ ، كل ذلك نتيجة للفوضى والجشع » (٢٢) •

وظل الحكم التركي رابضا على ارض اليمن خمسة وثمانين عاما، اى الى ما بعد الحرب العالمية الاولى ، حينما تقوضت اركانه في اليمن سنة ١٣٣٧ هـ ، حيث تمكن بعدها الامام المتوكل يحيى بن محمد (١٣٢٢ ـ ١٣٦٧ هـ) ، من بسط نفوذه المطلق على كل بلاد اليمن •

٤ ـ والذي يؤسف له حقا ، هو ان الهاشميين الذين فروا من سيوف معاوية بن ابى سفيان ، ولجأوا الى اليمن ، قتلوا انفسهم بانفسهم ، وهم يتنازعون الملك ، واذا فتشنا في تاريخهم باليمن منذ ألف ومائة سنة لوجدنا ان كل هاشمي كان يعتقد بانه أحق بالامامة

---

(٢٢) نفسه ٢٤٦ •

من غيره بصرف النظر عن كفاءته للحكم ، مادام من اولاد فاطمة •
ومن أجل هذا الاعتقاد ، الذي لا يستند على اساس دينى ولا عقلي ،
قتل عدد كبير من الائمة بايدي بعضهم • وهذا يعطى صورة بشعة
عن صراع الائمة في اليمن من اجل الحكم ، لم يجن الشعب منها
سوى العذاب والحرمان والجحيم •

قائمة المصادر

هذا ثبت باسماء المصادر التي اعتمدت عليها واستقيت منها معلوماتي في هذا الكتاب مرتبة حسب أحرف الهجاء بالنسبة لاسماء المؤلفين :

ابن الاثير : علي بن احمد بن ابى الكرم (ت ٦٣٠ هـ)
الكامل في التاريخ — ١٢ جزءا — بولاق ١٢١٠ هـ :

ادريس : ادريس عماد الدين بن الحسن القرشي (٤٧٢هـ):
(ز) زهر المعاني مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية
(ع) عيون الاخبار (٧ اجزاء في سبعة مجلدات)
(ن) نزهة الافكار — جزءان في مجلدين

الازدى : جمال الدين ابى الحسن (ت ٦٢٣ هـ) .
اخبار الدول المنقطعة — مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٨٩٠ تاريخ .

الاصبهاني : ابو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ) :
الاغاني : عشرون جزءا (بولاق ١٢٥٨هـ) .

الاصفهاني : ابو عبدالله محمد بن ابى الرجاء (ت ٥٩٧هـ) : خريدة القصر وجريدة العصر مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٥ آداب .

امين (ف) : احمد امين : فجر الاسلام (القاهرة ١٩٥٥) .

البراوى : د . راشد البراوى : حالـة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين (القاهرة ١٩٤٦) .

البيضاني : د . عبدالرحمن البيضاني: اسرار اليمن (القاهرة ١٩٦٣) .

الجرافى : القاضي عبدالله بن عبدالكريم : المقتطف فـى تاريخ اليمـن .

الجندي : ابو عبدالله بهاء الدين يوسف بن يعقـوب (ت ٧٣٢ هـ) :
السلوك في طبقات العلماء والملوك ، مختصر
(كاى) لندن ١٨٩٢ .
(حسن) القاهرة ١٩٥٧ .

جواد علي : د . جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسـلام الاجزاء (١ ، ٢ ، ٣) . بغداد (١٩٥١ـ٥٣).

ابن الجوزي : شمس الدين ابو المظفر بن فيزوغلى (ت٦٥٤ هو) وهو سبطة :
مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان ــ مخطـوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٥٥١ تاريخ.

الحاجرى : القاضي محمد بن احمد : خلاصة تاريخ اليمن قديما وحديثا (القاهرة ١٣٦٣ هـ) .

حتى \ المترجم : د . فيليب حتى : تاريخ العرب مطول مترجم للعربية (بيروت ١٩٥٨)

حسين سلمان : د . حسن سليمان محمود (مؤلف هذا الكتاب) :
الصليحيون وعلاقاتهم بمصر ـ رسالة الدكتوراه ـ جامعة القاهرة (١٩٥٢) .
الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن (القاهرة ١٩٥٥)
تاريخ اليمن لعمارة اليمن ـ تحقيق وتعليق (القاهرة ١٩٥٧) .
الملكة اروى سيدة ملو اليمن (القاهرة ١٩٥٧) .
تاريخ المملكة العربية السعودية (القاهرة ١٩٥٨) .

الحمادى : محمد بن مالك بن ابى الفضائل (اواسط القرن الخامس الهجرى) .
كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة (القاهرة ١٩٣٩) .

الحيمى : الحسن بن احمد : سيرة الحبشة)القاهرة١٩٥٨(

الخزرجي : ابو الحسن علي بن الحسن (ت ٨١٢ هـ) :
تاريخ الكفاية والاعلام مخطوط بجامعة ليدن
العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية
(القاهرة ١٩١١) .

الخطاب : الخطاب بن الحسن الحجوري (ت ٥٢٣ هـ) :
(د) ديوان الخطاب مخطوط بالمكتبة
المحمدية الهمدانية
غاية المواليد مخطوط بالمكتبة المحمدية
الهمدانية

ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) :
العبر وديوان المبتدأ والخبر (القاهرة ١٢٨٤هـ)
العبر مختصر (كاى) (لندن ١٨٩٢)
العبر مختصر (حسن) (القاهرة ١٩٥٧)

ابن خلكان : شمس الدين ابو العباس احمد (ت ٦٨ هـ)
وفيات الاعيان ــ جزءان (بولاق ١٢٩٩هـ)

ابن الديبع : وجيه الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد
الشيباني (ت ٩٤٤ هـ) :
(ب) بغية المستفيد في اخبار زبيد (مخطوط
بدار الكتب المصرية رقم ٤٥١٦ بتاريخ) .
(ق) قرة العيون في اخبار اليمن الميمون
(مخطوط بدار الكتب رقم ٢٢٤ تاريخ) .

رضا : محمد رضا : الامام علي بن ابى طالب (القاهرة
١٩٣٩)

زامباور : معجم الاساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي (ترجمة القاهرة ١٩٥١) ٠

زبارة : محمد بن محمد بن يحيى الحسني الصنعائي : اتحاف المهتدين بذكر الائمة المجددين (صنعاء ١٣٤٣ هـ)

ابو زهرة : الشيخ محمد ابو زهرة : الامام زيد حياته وعصره (القاهرة ١٩٥٩)

زيدان : جورجى زيدان : العرب قبل لاسلام (القاهرة ـ دار الهلال)

سرور : د ٠ جمال سرور : النفوذ الفاطمى في الجزيرة العربية (القاهرة ١٩٥٠)

سعد : سعد محمد حسن : المهدية فى الاسلام (القاهرة ١٩٥٧)

بن سمرة : عمر بن علي بن سمرة الجعدي (القرن السادس الهجرى) :
طبقات فقهاء اليمن ـ تحقيق فؤاد السيد (القاهرة ١٩٥٧) ٠

ابو شامة : عبدالرحمن بن اسماعيل الملقب بابى شامة : الروضتين في اخبار الدولتين (القاهرة ١٢٨٧ هـ)

شرف : احمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ (القاهرة ١٩٦٣) .

الشهرستاني : ابو الفتح محمد بن عبدالكريم (ت ٥٤٨هـ) : الملل والنحل (القاهرة ١٩٤٨)

ابن طباطبا : محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي : الفخرى في الآداب السلطانية (القاهرة ١٣١٩ هـ) .

الطبرى : ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) تاريخ الامم والملوك (ليدن ١٨٦)

طلس : د . محمد اسعد طلس : تاريخ الامة العربية ـ عصر الانبثاق ـ (بيروت ١٩٥)

ابن عبدالحكم : ابو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله (ت ٢٥٧ هـ) فتوح مصر والمغرب (ليدن ١٩٢٠) .

عدنان : د . عدنان ترسيس : اليمن وحضارة العرب (بيروت ١٩٦٣)

العرشى : حسين بن احمد الزيدي : بلوغ المرام في شرح مسك الختام (القاهرة ١٩٣١) .

العسقلاني : ابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) .

(ص) الاصابة في تمييز الصحابة (القاهرة ١٣٢٨ هـ) .

(ت) تهذيب التهذيب (الهند ١٣٢٥ــ١٣٢٧هـ)

العقـاد : عباس محمود العقاد : ابو الشهداء

عمـارة : نجم الدين محمد الحكمى اليمن (٥٦٩ هـ) :
(كاى) تاريخ اليمن تحقيق
لنـدن ١٨٩٢
(حسن) تاريخ اليمن تحقيق (د • حسـن
سليمان) القاهرة ١٩٥٧

العيني : بدر الدين بن محمود بن احمد بن موسـى
(٨٥٥ هـ) •
عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ـ مخطوط
مصور بدار الكتب المصرية (رقم ١٥٨٤) •

الفاسـى : تتقى الدين بن محمد بن احمد بن علي (٨٣٢هـ)
تحفة الكرام في اخبار البلد الحرام ـ مخطوط
بدار الكتب المصرية رقم ٦٤٦ تاريخ

الفاكهي : ابو عبدالله محمد بن اسحاق (القرن الثالث) :
المتقى فى اخبار ام القرى (ليبكى ١٨٥٩) •

الكبسى : محمد بن اسماعيل بن محمد بن يحيى :
اللطائف السنية في اخبار الممالك اليمنية ـ
مخطوط بدار الكتب المصريـة رقم ٤١٦٣
تاريـخ

ماجد : د • محمد عبدالمنعم ماجد : السجـلات
المستنصرية ـ تحقيق (القاهرة ١٩٥٤) •

ماضى : د • محمد عبدالله ماضي : انباء الزمن ـ تحقيق

(برلين ١٩٣٦) .
دولة اليمن الزيدية ـ المجلة التاريخية المصرية ١٩٥٠ .

بامخرمة : ابو محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن احمد (القرن العاشر الهجري)
(ث) تاريخ ثغر عدن (١ـ٣) (ليدن ١٩٣٦)
(ق) قلادة النحر مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٦٧ تاريخ

نشوان : نشوان الحميري: ابو سعيد بن سعيد (ت٥٧٣هـ)
(ح) الحور العين (القاهرة ١٩٤٨)
(ش) شمس العلوم (اليدن ١٩١٦)

النعمان : محمد بن منصور التميمى المغربي (ت٣٦٣هـ) : افتتاح الدعوة الزاهرة ـ مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

النويرى : احمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣ هـ) نهاية الارب (القاهرة ١٩٢٣ وما بعدها) .

نيلسن\المترجم: التاريخ العربي القديم ترجمة الدكتور فؤاد حسنين .

هـ \ ح : د . حسين الهمداني ، ذ . حسن سليمان :

الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن (القاهرة ١٩٥٥) .

الهمداني : ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب (ت ٣٣٤ هـ) :
(ص) صفة جزيرة العرب (ليدن ١٨٩١)
(ك) الاكليل جـ ٨ (بغداد ١٩٣١) .

هومل\المترجم : التاريخ العربي القديم ترجمة د . فؤاد حسنين.

هيكل : د . محمد حسين هيكل : الصديق ابو بكر (القاهرة ١٣٦٢ هـ) .

الواسعي : عبدالواسع بن يحيى اليماني : تاريخ اليمن (القاهرة ١٩٣٧ هـ) .

ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (٦٩٧هـ) : مفرج الكروب في اخبار بنى ايوب (القاهرة ١٩٥٣) .

ياقوت : ياقوت الحموى : معجم البلدان (ليبسك ١٨٦٦ — ١٨٩٩) .

يحيى بن الحسين: بن الامام القاسم بن محمد (ت ١١٠٠ هـ) . انباء الزمن في اخبار اليمن — مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٣٤٧ تاريخ .

فهرست الاعلام

من الرجال والنساء

يستثنى من هذا الفهرست أسماء مؤلفي مصادر الكتاب

— خ —

— ش —

— ص —

— ض —

— ط —

— ظ —

— ع —

— غ —

— ي —

فهرست الموضوعات

اليمن قبل الاسلام

اليمن في العصر الاسلامي

انتهى بعون الله

كتب المؤلف

اولا : كتب منشورة :

١ ــ « الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن » ، بالاشتراك وهو بحث علمي دقيق يعتبر الاول من نوعه (٤٠٢) صفحة (القاهرة ١٩٥٥) ... نفذ .

٢ ــ « تاريخ اليمن » لعمارة اليمن الحكمى : تحقيق وتعليق وترجمة دقيقة لمقدمة وحواشى الناشر الاول (كاى) ٣٧٥ صفحة (القاهرة ١٩٥٧) .. نفذ .

٣ ــ « تاريخ المملكة العربية السعودية » بالاشتراك ، وقد قررت وزارة المعارف السعودية تدريسه بمدارسها (١٤٤) صفحة . (الطبعة السادسة ــ القاهرة ١٩٥٩) .. نفذ .

٤ ــ « تاريخ السودان من اقدم العصور الى الآن » . وهو يبين ببساطة ووضوح تسلسل تاريخ السودان عبر العصور (١٨٠) صفحة (لقاهرة ١٩٥٦) .

٥ ــ « تاريخ السودان فى العصور القديمة » ، وقد قررت وزارة المعارف السودانية تدريسه في مدارسها (١٥٧) صفحة .. (القاهرة ١٩٥٨) .. نفذ .

٦ ــ « الملكة اروى سيدة ملوك اليمن » بحث جديد عن حياة أعظم ملكة في تاريخ اليمن الاسلامية (القاهرة ١٩٥٨) ..

٧ ــ « ليبيا بين الماضي والحاضر » ، وهو الكتاب الذي وقع عليه اختيار لجنة الالف كتاب بالادارة العامة للثقافة بالـ ج . ع . م . ونشرته تحت رقم (٤٢٦) ، ويحتوى على (٤٤٠) صفحة (القاهرة ١٩٦٣).

٨ ــ « الكويت ماضيها وحاضرها » ، وهو بحث شامل عن جغرافية الكويت واقتصادياتها وتاريخها ، ونهضتها الحديثة ويحتوي على (٤٤٠) صفحة (طبع بلمكتبة الاهلية ببغداد ١٩٦٨) .

٩ ــ « تاريخ اليمن السياسي في العصر الاسلامي » وهو هذا الكتاب الذين بين يدي القارىء ، وقد ساهم المجمع العلمي العراقى فى نشره .. (بغداد ١٩٦٩) .

ثانيا : كتب تحت الطبع :

١ ـ «علاقات الفاطميين بالعالم الاسلامى » رسالة الماجستير

٢ ـ « اليمن المعاصرة » .

٣ ـ « بين مصر والحبشة » .

٤ ـ « المجمل في تاريخ العراق السياسي » .

ملحوظة : تطاب الكتب المطبوعة في القاهرة من مكتبة مصر ـ ٣ شارع كامل صدقي . وتطلب الكتب المطبوعة في بغداد من المكتبة الاهلية بشارع المتنبي ـ بغداد .

★ ★ ★

التصـــويب

ص	س	الخطا	الصواب
١٥	٢١	يلوس	ديلوس
٢٢	١٢	ودى	وادى
٢٦	٣	وتـر	وآتـر
٢٦	١٢	لمتصلة	المتصلة
٣١	١١	وعبرانية	والعبرانية
٣٢	٢٣	شاهد	مشاهد
٣٦	٧	التتع	التمتع
٣٧	١	الاستثمار	على الاستثمار
٣٧	٧	اليمن	اليمنى
٤٢	١٣	اسمرت	استمرت
٤٩	١	ينقل مكان السطر الرابع والعكس فيستقيم المعنى	
٤٩	١٢	اولا	اولاد
٥٠	٢٤	اوردصاحبنثر	اورده صاحب الكنز
٥١	١٣	يكرب	كرب
٥٦	٥	يلغى هذا السطر لانه مكرر	
٥٧	١٧	وسمه	واسمه
٨٥	١٤	التنزاع	النزاع
٨٨	١٦	بازام	باذان
٨٨	١٧	وبن	وبر
٨٩	٥	عبدالله	عبيدالله
٩٣	١٣	الامويين	الامويون
٩٤	١١	ستين	بيتتين
٩٨	٩	احرب	احرق
١٠٢	٢٤	مكة	ملكة
١٠٣	١١	لى	الى
١٠٩	١٨	اورت	واوردها
١١١	٥	انشروا	انتشروا
١٣١	١٥	صعداء	صعدة
١٤٥	١٢	تلطبى	تطلبى
١٨١	١١	وسار الناس	وسار في الناس
١٨٧	٢٢	وافاهم من قبائل	وافاهم قبائل
١٨٨	٢	فاستولى	فاستولوا
١٨٩	٦	يرفع	برفع
١٩٠	١٠	لصبحيه	لصياصيه
١٩٠	١٦	ادى	وادى
٢٠٩	٦	الظرف	الظروف
٢٠٩	١٢	مركز	مركزا
٢١١	١٠	العمل	العمال
٢١٩	٧	اشتراه	اشتراها
٢٤١	٥	(٢)	تلغى
٢٤٧	١٣	(١)	(11)
٢٦٦	٢٥	هامش (٣)	يلغى
٢٦٧	١٣	وبعه	وبعد
٢٦٨	١٧	ظهن	ظهر
٢٨٠	٢	٦	٧

ملحوظة : توجد بعد الاخطاء المطبعية يمكن ان يدركها القارىء بسهولة

الثمن (٦٥٠) فلسا

طبع بمطبعة دار الجاحظ ـ بغداد

